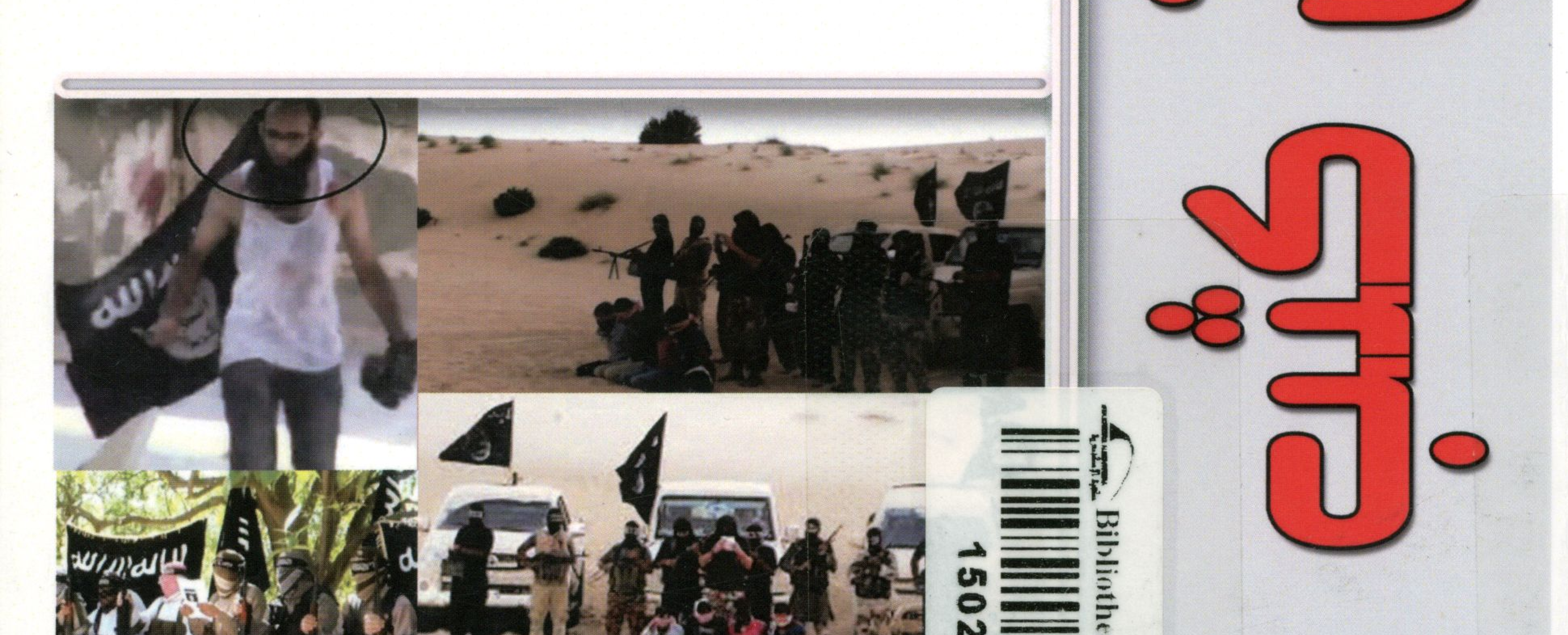
أ.د جهاد عودة

د. امنية سالم

الدواعش في مصر

جدل حول: الجماعات الجهادية





الدواعش في مصر

ا.د. جهاد عودة
د. أمنية سالم

الناشر
المكتب العربي للمعارف

عنوان الكتاب : الدواعش في مصر
اسم المؤلف : أ.د جهاد عودة و د. امنية سالم
تصميم الغلاف : شريف الغالي

الناشر
المكتب العربي للمعارف

٢٦ شارع حسين خضر من شارع عبد العزيز فهمي
ميدان هليوبوليس – مصر الجديدة – القاهرة
تليفون/ فاكس: ٠١٢٨٣٣٢٢٢٧٣-٢٦٤٢٣١١٠
بريد إلكتروني : Malghaly@yahoo.com

الطبعة الأولى ٢٠١٥

رقـــم الإيداع : ٢٠١٤/١٦١٠
الترقيم الدولي : I.S.B.N. 978-977-276-842 4-

فهرس الكتاب

مقدمة

لم يعد الإرهاب ظاهرة حديثة على المجتمعات البشرية، بل من أقدم الظواهر التي شهدتها المجتمعات البشرية، فهي ظاهرة مرتبطة بالاحتقان والعنف، وتكاد تكون من أولى الظواهر التي ارتبطت بظهور الإنسان على كوكب الأرض.

جميع الدول دون استثناء واجهت هذه الظاهرة، وعانت منها على اختلاف مستوياتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية، وغيرها، وقد يختلف شكل مواجهة الدول لموجات الإرهاب؛ فتارة تكون المواجهة عنيفة، وتارة تكون معتدلة، ويسهل معالجة الدولة لها.

في مصر مثلاً عانت من الإرهاب لعقود طويلة، وكانت أشد موجات الإرهاب قسوة في التسعينيات، حيث تمكنت حينئذ الدولة المصرية من مواجهة هذه الموجة العتيدة بالعديد من المعالجات، فمزجت المعالجات الأمنية بالفكرية، وهو ما جعل معالجة الدولة حينئذ تؤتي ثمارها.

في أعقاب الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١ ظهرت في مصر مشاهد أصبحت شبه يومية لاحتقانات سياسية واجتماعية وطائفية، ويعقب هذه المشاهد عنف دموي غير مبرر، وغير محدد الفاعل، وانتشر مصطلح الطرف الثالث، الذي أصبح كلمة السر والصندوق الأسود لكل مشهد دموي في مصر.

مع كل احتقان يقع ضحايا من مصابين وقتلى من الطرفين، والفاعل طرف ثالث مجهول غير محدد منْ هو، لسنوات ظل الطرف الثالث غير معروف؛ حتى وصول الرئيس المعزول محمد مرسي لسدة الحكم، وهنا بدأت مواجهات الاحتقان السياسي والمجتمعي والإعلامي تصل ذروتها.

فمعترضو مرسي والرافضون وصول ممثل من جماعة الإخوان المسلمين لسدة الحكم، لم يتوانوا لحظة لانتقاده، ورفض العديد من المؤسسات الرسمية العمل معه، وهو ما جعل فترة حكمه التي دامت عامًا، فترة إدارة غير مكتملة وغير ناجحة.

إلى أن قامت حركة تمرد بالحشد للنزول في ٣٠ يونيو لعزل مرسي من منصبه، ونزلت الجماهير وامتلأت الميادين بالمصريين الغاضبين من عدم الاستقرار، واستمرار الاحتجاجات والمظاهرات كل جمعة تحت أي شعار، مما هدد حياة المواطن المصري البسيط.

وبعدما تم عزل محمد مرسي في ٣ يوليو، بدأت مصر تشهد منذ هذا التاريخ العديد من الحوادث الإرهابية من اغتيالات لضباط الشرطة والجيش، وزرع القنابل بدائية الصنع في الأماكن العامة من جامعات وأسواق، ومحلات تجارية كبرى.

وأيضًا زرع عبوات بمحطات مترو الأنفاق والسكك الحديدية، وتعطيل المرور وقطع الطرق وغيرها. ناهيك عن سيناء التي أصبحت قطعة من جمرة نار، لا تتوانى الأخبار شبه اليومية عن تفجير كمائن للشرطة والجيش بسيناء.

وأصبح الشعب المصري يستفيق يوميًا على أخبار تكوين وتشكيل جماعة مسلحة جديدة، تارة كتائب حلوان، وأخرى كتائب شركس، وثالثة جماعة المنصورة، ورابعة أنصار بيت المقدس، ثم تتحول لولاية سيناء وغيرها.

لم يعد الشعب المصري يشعر بأمان، فالمحيط العربي والإقليمي مفتت، وتمكنت الجماعات المسلحة التكفيرية من تفتيت العديد من الدول العربية كسوريا، وليبيا، واليمن وغيرها.

وظهرت جماعة مسلحة تكفيرية أطلقت على نفسها تنظيم الدولة الإسلامية «داعش»، نصبت أبو بكر البغدادي خليفة عليها، تدعو لإقامة الخلافة الإسلامية، ولا تؤمن بفكر الحدود والدولة القومية. وتهدف لتفتيت كافة النظم السياسية العربية وإقامة دولة الخلافة الإسلامية. وتمكن هذا التنظيم من السيطرة على أجزاء ليست بالقليلة في سوريا والعراق وليبيا. وارتكبوا من الحماقات ومشاهد القتل الجماعي، والتمثيل بالقتلى وإقامة الحدود بلا أساس ودون اكتمال كافة الأركان كحد الزنا، مما جعل الكثيرين يخشون هذا التنظيم الوحشي.

جدير بالذكر أن تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» أصبح على حدود مصر بتواجده في ليبيا، علاوة على الفيديوهات التي ينشرها، والتي يؤكد فيها أن مصر أصبحت هدفًا مباشراً للتنظيم. وزاد الأمر خطورة محاولة التنظيم لعقد تحالفات مع جماعات إسلامية مسلحة مثل أنصار بيت المقدس، التي يدور الصراع بين قادتها حول مبايعتها لتنظيم الدولة الإسلامية.

في خضم هذه الأحداث تكون المحصلة شعور المواطن المصري بالخوف من تحول الأوضاع في مصر للعراق ولسوريا. ويتخوف فعلاً من وجود داعش في مصر، أو تحالف بعض الجماعات الإسلامية التكفيرية المسلحة لتنظيم الدولة الإسلامية، وبهذا يصبح لدينا دواعش في مصر.

في هذا الإطار يأتي هذا الكتاب، الذي يبحث في أصل الفكر التكفيري وجذوره، ذلك الفكر الذي فرّخ الجماعات الإسلامية المسلحة التكفيرية في مصر، ونُلقي الضوء على تنظيم الدولة الإسلامية.. النشأة والجذور الفكرية والتمويل والتسليح وغيرها، من أمور تتعلق بهذا التنظيم، الذي صار مُهددًا، ليس فحسب للأمن القومي المصري بل للأمن القومي العربي ككل.

كما نلقي الضوء على الجماعات الإسلامية المسلحة في مصر، والتي صارت أكثر وضوحًا في الساحة المصرية في أعقاب الثلاثين من يونيو، وماهية هذه الجماعات وجذورها الفكرية وأهدافها ومدى تعامل الدولة معها.

ونقوم أيضًا بتحليل أهم الأحداث الإرهابية، التي مثلت نقطة تحول في مسار معالجة الدولة للإرهاب. ونختتم بطرح آليات مقترحة لمُتخذ القرار المصري، قد تُعينه حول مواجهة الإرهاب والفكر التكفيري في مصر في هذه المرحلة.

الكتاب جاء مناقشًا لظاهرة حالية، وغير ثابتة تتصف بالتغير كل لحظة وكل يوم فيها يستجد عليها الكثير من الأمور؛ لذا فكان لزامًا الإشارة إلى بعض الملاحظات الفنية بالكتاب وأخرى بالظاهرة محل البحث.

أما الملاحظات الفنية بالكتاب فهي:

١- أنه تم الاعتماد بشكل أساسي على المواد الإخبارية والصحفية، وعلى البيانات التي نشرتها تلك الجماعات عبر مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة.

٢- إن الظاهرة لازالت مستمرة يوميًا، وهناك المزيد من الأحداث والتفاعلات التي ربما تقلب كافة التحليلات رأسًا على عقب؛ لذا ربما يحدث تجديد في تحليلات هذا الكتاب لاحقًا، ويُعاد نشره مرة أخرى لملاحقة الجديد فيها.

٣- كان هناك اختلاف في حجم مباحث فصول الكتاب، فهناك فصول احتوت على مباحث كبيرة الحجم، وهناك فصول أخرى، كانت أقل عددًا، ويرجع ذلك لتركيز المؤلف على القضايا الهامة في التحليل والعرض عن الأخرى، ولاسيما أن هذا الكتاب هو جزء من سلسلة

تتناول تنظيم الدولة الإسلامية بالتحليل؛ لذا فقد تم مراعاة عدم تكرار بعض المعلومات التي قد ترد في كتب أخرى من هذه السلسلة.

أما الملاحظات على الظاهرة محل البحث:

١. أن الجماعات محل البحث في الكتاب هي الجماعات الأكثر نشاطًا حاليًا على الساحة المصرية، وقد تظهر غيرها في الفترة القادمة، أو ربما تندمج بعض هذه الجماعات مع بعضها البعض، وتكوِّن كيانًا جديدًا يكون أكثر تأثيرًا في الفترة القادمة؛ لذا فهي جماعات على سبيل المثال وليس الحصر، وخُصت بالذكر لأنها الأكثر تأثيرًا حاليًا.
٢. الدواعش في مصر هو مصطلح أطلقه الباحث على كافة الجماعات الإسلامية التكفيرية المسلحة، التي قد تتحالف مع تنظيم الدولة الإسلامية داعش، وعلى الجماعات الإسلامية التكفيرية المسلحة في مصر التي تتشابه في الأسلوب والمنهجية والجذور الفكرية مع تنظيم الدولة الإسلامية داعش؛ لذا فهو مصطلح من قِبل الباحث؛ لكي يسهل عليه التعامل مع الظاهرة محل البحث.
٣. الإرهاب هو نتاج حتمي للفكر التكفيري، الذي يقوم على إقصاء الآخر، وإطلاق العموميات على الظواهر، وتقديس الذات وتنزيهها عن الأخطاء، وعلى إغراق الآخر في الأخطاء والكفر؛ لذا فإن نقاشنا لقضية الفكر التكفيري والإرهاب هما في المرحلة الحالية في مصر وجهان لعملة واحدة، وذلك لأنه على الرغم من كون أن للإرهاب أوجهًا عدة؛ إرهاب فكري وديني، وسياسي واجتماعي وأمني وغيره. إلا أن الإرهاب الذي تواجهه مصر الآن، هو أحد أشكال الإرهاب الفكري

الديني، والفكر التكفيري يشتمل في معاملته للإرهاب، فيبدأ بالإرهاب اللفظي حتى الإرهاب المادي؛ لذا كانت الظاهرتان وجهين لعملة واحدة في الوقت الراهن في مصر.

٤. أن مواجهة الدولة للإرهاب قد تختلف من فترة لأخرى، وأنه في الفترة محل البحث والإعداد لهذا الكتاب، اقتصرت إلى الآن مُعالجة النظام للإرهاب القائم على الحلول الأمنية فقط، وهو ما لم يؤتِ حتى الآن ثماره.

٥. أن الصراع القائم في مصر هو صراع سياسي بالأساس، ويدور الصراع حول شرعية النظام: هل الشرعية للرئيس المعزول محمد مرسي الذي وصل لسُدة الحكم بالانتخاب، أم أن الشرعية هي للرئيس الحالي عبد الفتاح السيسي الذي أيضًا قد وصل لسدة حكم مصر بالانتخاب. ونظرًا لأن جوهر حقيقة الصراع الدائر في مصر هو صراع سياسي؛ فإن كلاً من الطرفين يحسم توظيف بعض الأدوات، فبينما يستخدم الأول الدين وتُحسن جماعته والجماعات المتحالفة معها توظيف الدين كشعار لحقيقة وجوهر الصراع، فيتم توظيف هذا الشعار للحشد والتعبئة. فإن الآخر يستخدم فزاعة الأمن القومي المصري، رغم كل الاعتراف بالتهديدات التي تواجه الأمن القومي المصري داخليًا وخارجيًا؛ إلا أنه لا يُنكر حسن توظيف هذه المهددات لشرعية النظام وللحشد والتعبئة. وفي خضم هذا الصراع الدائر يقبع الشعب المصري تائهًا، لا يدري أين الحقيقة، أما الشباب فيتنازعهم الطرفان، فتارة يكونون تبعًا لذلك، وتارة يتعاطفون مع ذاك. فحدثت الفرقة وتم التقسيم الواضح الذي يؤثر بالسلب على لُحمة هذا الوطن وقوة نسيجه.

٦. الشاهد أن جماعة الإخوان المسلمين قد خسرت العديد من شعبيتها ومكانتها لدى العديد من طوائف الشعب المصري، بل وقد تشوهت صورتها لدى العديدين، وبالتالي فهي بحاجة لعقود؛ لكي تتمكن من العودة مرة أخرى للساحة السياسية المصرية.

٧. الشاهد أيضًا أن النظام الحالي تتراجع شعبيته ووجوده، وتتراجع مكانته، وإلى الآن لم ينعم المواطن المصري برخاء ولا باستقرار، ومازال يُعاني بل ازدادت معاناته، وهو ما قد ينعكس بالسلب في المراهنة على صمود هذا الشعب واستمرار تأييده للنظام الحالي.

٨. باقٍ من اللعبة السياسية الدائرة في مصر الجماعات الإسلامية المسلحة، التي قد يُحسم الصراع لصالحها، وفي هذا السيناريو ربما نتوقع لمصر لا قدر الله سيناريو أشبه بالعراق وسوريا.

٩. ختامًا لا مجال للشك أن مصر تواجه مهددات عاصفة بأمنها القومي وبقائها، والأخطر في الحالية المصرية أنها تواجه تحديات قادمة من الخارج، من البيئة الإقليمية سواء من ليبيا أو العراق أو سوريا أو اليمن وغيرها، وتحديات أخرى داخلية تنبع من نمو نشاط الجماعات الإرهابية المسلحة التكفيرية؛ علاوة على الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والعراقيل التي تعرقل المسيرة السياسية وغيرها من التحديات الداخلية. ومما لاشك فيه أن جُملة هذه التحديات بحاجة لقيادة سياسية رشيدة ودولة متمسكة شعبًا وقيادة ومؤسسات لمواجهة جُلّ هذه التحديات. وأن الصراع السياسي الدائر الآن هو من أهم المهددات الداخلية للأمن القومي المصري التي تعصف بأمن واستقرار البلاد.

لذا كان لزامًا علينا إلقاء الضوء على ماهية الفكر التكفيري، ووجوده في مصر، وأهم الجماعات التي تؤمن بهذا الفكر، والسيناريوهات المحتملة

للإرهاب وتأثيرها على مستقبل الدولة وبقائها، وفي الختام نُلقي بالظلال على أهم الآليات المقترحة لإدارة هذه الأزمة والخروج منها بأقل الخسائر الممكنة. حفظ الله مصر ووقاها شرّ الفتن.

الفصل الأول

الفكر التكفيري: الجذور والنشأة ووجوده في مصر

يتناول هذا الفصل في مبحثيه الأول والثاني ماهيــة الفكــر التكفيــري وجذوره ونشأته وروافده، ثم يتناول المبحث الثاني نشأة وجذور الفكر التكفيري في مصر وأسباب انتشاره.

وذلك في تمهيد للقارئ لمعرفة معلومات أكثر حول الخلفيــة الفكريــة للجماعات التكفيرية المسلحة التي انتشرت في الوطن العربي مؤخرًا.

المبحث الأول: تعريف وملامح الفكر الجهادي التكفيري

يتناول هذا المبحث توضيح ماهية الفكر الجهادي التكفيري، وأسباب نشأته وكيفية ظهوره وتطوره، وفي ذلك أهمية للقارئ؛ حيثُ إن تنظيم داعش هو أحد نماذج التنظيمات التكفيرية، التي تتبنى هذا النوع من الفكر، بل ومثَّلت أقصى درجات تطرفه؛ لذا كان حريًا علينا إلقاء الضوء على هذا النوع من الفكر.

الفكر التكفيري هو الفكر الذي لا يلتزم بالنسق القيمي والفكري والتشريعي والأصولي، الذي أسسه عامة علماء المسلمين منذ بعثة النبي (صلى الله عليه وسلم)، وعُرف باسم «أهل السنة والجماعة»، ومن ثمَّ فهو فكر على هامش النسق الرئيسي، لما يعتقده عامة المسلمين وعلماؤهم، وهو فكر يستند إلى النصوص العامة، دون أن يزاوج بينها وبين ما يقيد إطلاقها أو يخصص عمومها أو يقلب معانيها بين اللغوي والشرعي.

وكان ظهور الفكر التكفيري في تاريخ المسلمين مع الخوارج، الذين رفعوا شعار «إن الحكم إلا لله»، في مواجهة الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لما قبل الصلح أو التحكيم بينه وبين أنصار معاوية، وقد أشار النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى الخوارج وسماتهم في حديثه المعروف، حين قسم ذهيبة جاءته بين الناس.. فقام رجل إليه يجذبه وهو يقول: «اعدل يا محمد».. فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): «ويلك.. ومنْ يعدل إذا لم أعدل».. فقام إليه عمر يريد قتله فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم):

«دعه فإنه يخرج من ضأضئي هذا قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام، يقرؤون القرآن، لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين، كما يمرق السهم من الرمية، يحقرون صلاتكم إلى صلاتهم وصيامكم إلى صيامهم».

هنا ندخل في عالم السمات النفسية لهؤلاء الخوارج الذين خرجوا على علي بن أبي طالب (رضي الله عنه).. فهم صغار في السن لا يملكون عقلاً يجاوز اللحظة التي يعيشونها، فهم لا يعرفون المقاصد، ولا ما وراء النصوص، ولا علاقة لهم بالواقع أو العالم؛ مندفعين، تحكمهم العواطف، عندهم جرأة على ذوي الهيئات من العلماء والحكام، كما فعل ذو الخويصرة التميمي مع النبي (صلى الله عليه وسلم)، وكما فعل الخوارج مع عبد الله بن خباب بن الأرت، حيثُ قتلوه وزوجته؛ لأنه يقول بموالاة الخلفاء عثمان وعلي رضي الله عنهما.

يقوم النسق الفكري للفكر التكفيري على تكفير المسلمين بالمعصية، حيثُ يرى هذا النسق أن «الإيمان هو العمل؛ فإذا ضاع منه شيء، فقد ضاع كله ويخلّد صاحبه في النار». فمن فعل المعصية من المسلمين، فقد نقض التوحيد والشهادتين، وصار من أهل الخلود في النار. على عكس ما يذهب إليه أهل السنة والجماعة؛ حيثُ يؤمنون بأن الإيمان هو عقيدة مركبة، وإن ذهب بعضها لا يذهب أصله، فمن عمل معصية، فإنه يظل مسلمًا، وأنه في مشيئة الله، إن شاء عذّبه، وإن شاء عفا عنه. كما في قوله تعالى «إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ». فهناك ذنب واحد لا يغفره الله سبحانه وتعالى، إلا بالتوبة، وهو الشرك الأكبر المُخرِج من الملة، وما دون ذلك من ذنوب فهي عند الله تعالى، إن شاء عذَّبه، وإن شاء عفا عنه؛ حتى لو لم يتُب.

لذا فإن النسق الفكري الخوارجي التكفيري مخالف لنسق التيار الرئيس في الفكر الإسلامي، وهو فكر أهل السنة والجماعة، الذي يقوم على الوسطية

والعدل والأخذ في الاعتبار إنسانية الإنسان وأيضًا سعة رحمة الديان تجاه عباده«[١]».

الفكر التكفيري والإرهاب

إن أي فكر يجب أن يكون له مردود، والتكفير هو أسوأ لوثة أصابت العقول، فلا يمكن أن يكون هناك تكفير دون أن يتبعه تفجير وقتل، فالخوارج عندما كفَّروا سيدنا عليًا بن أبي طالب لم يفكروا في مآثره، وقتلوه بدم بارد، وأنهوا الخلافة الراشدة. وأن كل الجماعات التي تكفِّر لابد أن يتبعها القتل والذبح، فتلك الجماعات التي تذبح الناس باسم الإسلام لكنها في الأساس تذبح الإسلام.

والتنظيمات التكفيرية الحديثة قائمة على فكرة التكفير بالجملة والقتل بالوظيفة، كأنصار بيت المقدس وقتلهم للشرطة والجيش، وأيضًا هناك القتل بالاسم أو المذهب وهو صناعة ميليشية شيعية، والقتل بالجنسية، كقتل كل ما هو أميركي أو إسرائيلي، فالأصل في الإسلام أن النفس معصومة من القتل«[٢]».

وعند البحث في القرآن الكريم والسنة نجد أنه لم يرد مصطلح الإرهاب في القرآن الكريم، وإنما وردت لفظة (الرهبة) من خلال مشتقاتها، ولكن ليست ذات دلالة اصطلاحية تترادف مع المصطلح الشائع الآن، وإنما لها دلالة

---

[1] - د/ كمال حبيب، مدى انتشار الفكر التكفيري.. وأسبابه، الموقع الإلكتروني للجماعة الإسلامية مصر.
http://egyig.com/Public/articles/books_studies/14/50813066.shtmlhttp://egyig.com/Public/articles/books_studies/14/50813066.shtml

[2] د. ناجح إبراهيم، الفكر التكفيري يتبعه قتل وإرهاب اليوم السابع بتاريخ ٢٠١٤/٠٩/١٦، جريدة اليوم السابع، تاريخ الاطلاع ٢٠١٤/١١/٠٩،
http://www1.youm7.com/story/2014/9/16

اصطلاحية لما يطلق عليه في الإستراتيجية (الردع)، الذي يعني تخويف الطرف الآخر عن طريق خلق شعور لديه بأن مخاطر الإقدام على عمل يضر مصلحة الآخر أكبر بكثير مما قد يجنيه جراء الإقدام على تنفيذ خطته.

بينما ينصرف مصطلح الإرهاب إلى استخدام أو التهديد باستخدام القوة (غير المشروعة) ضد أبرياء (مدنيين)؛ لتحقيق أهداف سياسية، تتعدى دائرة الفعل المباشر؛ لتشمل أطرافًا أخرى، فإن الإسلام يرفض هذا النمط من التعامل، سواء أكان على مستوى الفرد، أم على مستوى الأمة والأمم الأخرى، انطلاقًا من مبادئ أساسية مهمة منها اختصاص العقوبة بالفاعل وعدم جواز تعديها للآخر، ولعل قوله تعالى (ولاتزرُ وازرة وزِر أخرى) (فاطر/١٨) خير تأكيد على ذلك، وأن السلم مقدم على الحرب في العلاقة مع الآخر. ومع هذه الحقيقة، فإن الفكر الإسلامي (باعتباره قراءة بشرية للمعطى الإلهي)، والذي يخضع لعوامل ذاتية وأخرى موضوعية، يحمل في داخله الفكر الإرهابي (إذا صح التعبير)، على الأقل في بعض القراءات الشاذة، لاسيما الفكر التكفيري الذي ارتبط بالخوارج في الفترة الأولى من فترات الإسلام، ولكنه تحول فيما بعد إلى عناوين تطلق على حركات سياسية ودينية على مر الزمان؛ حتى أننا نجد من يطلق هذا العنوان على الحركات السلفية التكفيرية في هذا الزمان.

ساهمت عوامل دولية ومحلية لإبراز الإسلام بصورة الدين الإرهابي، يمكن إجمالها بالآتي:

أولاً: الدوافع الدولية

ارتبط ظهور الإرهاب الإسلامي على الأقل- في صورته الإعلامية الغربية بمرحلة انهيار القطبية الثنائية، وسعي الولايات المتحدة الأميركية لأسباب ترتبط بطبيعة الحضارة الأميركية إلى خلق بديل يعيد العالم إلى الثنائية

(ولكن ليست القطبية التنافسية)، وإنما إلى القطبية التصارعية، ولم يعد أمام الولايات المتحدة من بديل سوى الإسلام ليس كدين، وإنما كممارسات وأفكار إسلامية، مع إدراك الولايات المتحدة بأن واقع الإسلام والمسلمين لا يقوى على هذه المواجهة في ظل التفوق العلمي والعسكري بين الطرفين.

تعود عملية الاختيار لأسباب منها عالمية المشروع الإسلامي (والدين يقف بالضد على الأقل من الناحية الفكرية والنفسية من العولمة الأميركية)، في حين أن باقي التيارات الفكرية لا تتصف بهذه الصفة، فضلاً عن أن الواقع يؤكد الوجود الإسلامي في أغلب مناطق العالم، وتحديدًا في المناطق ذات القيمة الحيوية للولايات المتحدة الأميركية.

مع وجود تيارات ساهمت بشكل أو بآخر على تشجيع أمريكا على السير قدمًا في مشروع استبدال الخطر الأحمر بالخطر الأخضر، وربما من بينها التيارات التي تعاملت بـ(دعوى التقاء المصالح) مع الاستخبارات الأميركية، وتلقت دعمًا إعلاميًا ولوجستيًا واستخباراتيًا منها في مدة الصراع مع الوجود السوفيتي في أفغانستان، فإن المساحة الأوسع من التيارات الإسلامية تتخذ موقف الرفض لأي موقف أميركي. وربما الذي ساعد على هذا الاختيار هو استحضار الإرث التاريخي التصارعي للعلاقة ما بين الطرفين، وما لهذا الاستحضار من إسقاطات على ذهنية المخطط الأميركي والإستراتيجي، والتي تكشف عدم رغبة الطرفين تجاوز هذا الإرث أو استبداله بالنمط التعاوني في تحقيق مصالح الإنسانية، وربما تكون الدراسات التي أعطت للإسلام هذه المكانة في الرؤية

الإستراتيجية الأميركية المستقبلية تنطلق من ذاك الإرث ممزوجًا بالتاريخ الظلامي للعلاقة المعاصرة بين الطرفين»[٣].

وإذا كانت الولايات المتحدة- وبحكم فلسفتها للحياة- فتشت عن بديل يحرّك فيها دوافع التأهب والاستعداد لصراع مستقبلي، فإن الفكر الإسلامي في زوايا منه وفّر لها الفرصة الذهبية، التي ساهمت في عملية الاختيار، رغم أن الإرهاب ظاهرة عالمية وغير مقترنة بالدين الإسلامي أو بالمسلمين ومنطقتهم، وهو أمر نود توضيحه في الفقرة اللاحقة.

ثانيًا: محفزات وصف الإسلام بالإرهاب (من الناحية الإسلامية)

كما قررنا سابقًا أن الإسلام كدين يرفض الإرهاب، بل ويرفض استخدام القوة لمبررات تبشيرية، بل جعل إرادة الإنسان هي الفيصل في قبوله وعدمه (لا إكراه في الدين)، ولم يرتب أثرًا حول حق الحياة في حالة الرفض؛ إلا في الحالات التي يشكل فيها وجود الرافض خطرًا على حياة المجموع أو انتهاكًا لحق الحياة لدى الآخر، وهي المعبر عنها قرآنيًا بقتل النفس بدون وجه حق والإفساد في الأرض، ولكن خطاب بعض التيارات الإسلامية حافل بعناوين الكراهية والحقد على الآخر، بل ورفض كل ما هو غير إسلامي، حتى العلم، أو نجد بعضهم يدعو إلى أمية الأمة الإسلامية، بدعوى أن المدارس الحالية تدرس علومًا غربية وتخربّ عقول الناشئة.

إن توفر ثقافة الحقد والكراهية وأحيانًا إلغاء الآخر (فكريًا ودينيًا) مع وجود بيئة ساذجة، تموج فيها الخرافات والأساطير، وتعتمد على منهج النص

---

[3] - د. خليل الربيعي، الإسلام والإرهاب.. دورية النبأ العدد رقم ٧٤، تاريخ الاطلاع ٢٠١٤/١١/١٠. http://www.annabaa.org/nbahome/nba78/009.htm

دون إعمال للعقل فيه، ساهمت على خلق أو زيادة مساحة الفئة المعارضة للغرب في الإسلام، من خلال استغلال مواقف سياسية معينة للحكومات الأميركية (كالصراع العربي- الصهيوني) واحتلال أفغانستان وما تلاه من احتلال العراق، في حين نجد أنها تقف موقف الرضا وتلهج بالحمد والثناء لأنظمة حكم متعفنة، أذاقت شعوبها الويل، وهي سبب في تخلفها، كما هو الحال في الموقف من نظام المجرم صدام حسين، والموقف الحالي؛ إذ تتحالف قوى الظلام التكفيرية مع بقايا النظام في إشاعة الفوضى والرعب في العراق، دون أن تمتد أفعالها؛ لتشمل قوات الاحتلال إلا نادرًا.

لم يقتصر الأمر على الموقف السياسي، بل نجد أن الثقافة الإسلامية (عند بعض التيارات) تحاول جاهدة عزل أتباعها من خلال اعتماد مبدأ (عدم التشبه بالكفار)، بالرغم من أن هذا المبدأ حتى لو افترضناه صحيحًا لا يتصف بالإطلاق الموضوعي وربما الإطلاق الزماني؛ إذ نجد هذه التيارات تضع عصارة أفكارها الساذجة؛ لتحرّض على أعياد اليهود والنصارى تحت عناوين تثير العامة من المسلمين كحرمة التشبه بأعياد المشركين، في حين أن الأمر يرتبط بطريقة إظهار علاقتهم مع زمان يختزن ذاكرتهم دروسًا وعِبرًا، ويلهم الحاضر تلك الدروس والعبر.

كما أن ما يتصف به قطاع واسع من الإسلاميين هو بساطة التفكير السياسي وغياب عناصر التحليل لموقف الآخر؛ إذ في الوقت الذي تسعى الولايات المتحدة جاهدة لجعل الإسلام خطرًا على البشرية، على الأقل في أذهان ساسة الغرب، قدّم هذا التيار ما يساعدها على ترسيخ هذا الأمر لدى أتباعها، من خلال إقدام هذا التيار على جملة من العمليات الإرهابية ضد مصالح وأهداف دول غربية وفي مناطق ليست غربية، كمهاجمة سفارتي أمريكا في كينيا

وتنزانيا ومهاجمة المدمرة كول في سواحل اليمن، وجاءت أحداث أيلــول ٢٠٠١ لتخلق حالة من (الإسلاموفوبيا) لدى الغربيين؛ إذ دفعت هذه الأحداث الشــعوب إلى الاصطفاف وراء مقولة الخطر الإسلامي.

بين الحين والآخر تسمع تهديدات تصدر من هذه الجهة (الإسلامية) أو تلك لهذه الدولة الأوربية (رغم قناعتنا أنها لا تمتلك المصداقية في التنفيذ)، ولا سيما بعد سعي الغرب للقضاء على الخلايا الناشطة لهذه المنظمات ومحاصــرة الخلايــا النائمة، إلا أن من شأن مثل هذه التهديدات أن تعزز القناعــة بــأن مــا ذكــره هنتنغتون يمثل حقيقة (على الأقل ما يرتبط منها بالصراع الإسلامي- الغربي).

في الوقت الذي كان على تلك الحركات أن تعيد النظــر فــي تفكيرهــا وممارساتها؛ لتحصر المواجهة بينها وبين أمريكا (حكومة) فقط نجدها تمعن في تقديم الأدلة على إرهابية الإسلام، مــن خــلال خطــف الرهــائن الأوربيــين والآسيويين واعتماد أساليب في القتل يشمئز منها المسلم قبل غيــره، بــدعوى إخافة العدو؛ لتعزيز القناعة لدى الآخر بضرورة محاربة هــذا التيــار لإنقــاذ المسلمين أولاً منه وخلق سياج أمني لأوربا وأمريكا يصد أمواج التخلف القادمة إليهم من هذا التيار.

زيادة على هذا، فإن هذه التيارات ارتقت بإســتراتيجيتها مــن الإطــار الوطني والقومي إلى الإطار العالمي؛ إذ أصبح العالم ساحة لنشاطاتها الإرهابية، الأمر الذي تطلب (على الأقل من وجهة النظر الأخرى) التحــالف لمواجهتــه، وهو أمر ساهم في تعزيز اعتبار الإسلام مصدر خطر على البشرية في قــادم زمانها، كما ساهم في خلق ما يسمى بــ(التقنين الدولي) لمعالجة مشكلة الإرهاب من خلال دخول الأمم المتحدة ومنظمات إقليمية في مواجهة خطــر الإرهــاب الإسلامي؛ وفق صياغة قرارات دولية لها طابع الإلزام.

كما أن وجود الأقليات المسلمة في أوربا وأمريكا ساهم في دعم التوجه الإسلامي العالمي لمواجهة الآخر في عقر داره؛ إذ إن أغلب مَنْ خطط ونفذ أحداث أيلول كانوا من المسلمين المتواجدين في أوربا وأمريكا، وهو أمر يعكس شيوع ثقافة قيمية تتعارض مع قيم الإسلام التي تدعو إلى مجازاة الإحسان بالإحسان وليس بالإساءة، فهم يطالبون الآخر بالالتزام بمبادئ حقوق الإنسان واحترام خيارات الشعوب، وهم يتجاوزون هذه الخيارات فيما يرتبط الأمر بالعالم الآخر، بدعوى صليبيته وعدم أهليته للبقاء ما لم يتحول إلى الإسلام.

ولعل ثقافة (دار الحرب ودار السلام) التي لازالت تهيمن على الوسط الفكري والإسلامي، تعكس لنا مدى الثنائية في التقسيم، والذي يتجاهل رؤية الإسلام للآخر؛ إذ إن هؤلاء يحصرون الحرب بالآخر مهما كان موقفه من الإسلام، فضلاً عن أن الرؤية الإسلامية المعاصرة ينبغي لها أن تتحرك في ضوء معطيات الواقع الدولي المعاصر، ولا تكون أسيرة الاستقطاب الفكري السابق.

أخيرًا مثلما سعت الولايات المتحدة الأميركية إلى إيجاد بديل عن الاتحاد السوفيتي المنحل، فإن بعض التيارات الإسلامية هي الأخرى وجدت عدوًا لها ينطلق من اعتبارات دينية ومن قراءات غير واعية لمجمل موضوع العلاقة مع أهل الكتاب، تمثل هذا العدو المزدوج بـ(الصليبية والصهيونية)، وشكلوا تحالفًا فيما بينهم سمي بـ(الجبهة العالمية لجهاد اليهود والصهيونية)، التي تشكلت من منظمات (جهادية) إسلامية تتباين في رؤيتها لأولويات العدو (الداخل أم الخارج)، ولكن يبدو أن ابن لادن استطاع أن يغير من هذه الأولويات؛ ليجعلها تصب في اتجاه تقديم الخارج على الداخل، ومثل هذا الإجراء ساعد على

الاستقطاب الدولي على الأقل في إطار رؤية الآخر، في حين أن هذه الجبهة، لا تمتلك من مقومات البقاء فضلاً عن التنفيذ الكثير»[٤].

4- المرجع الأسبق ذكره.

المبحث الثاني: الفكر التكفيري في مصر

يتناول هذا المبحث نشأة الفكر التكفيري في مصر، وأسباب نشأته، ويناقش هذا المبحث المدى المتوقع لانتشار مثل هذا النوع من الفكر في مصر، وتأتي أهمية هذا المبحث حيثُ إن الكتاب يناقش ظهور الدواعش في مصر؛ ونظرًا لأن داعش هي أحد نماذج التنظيمات التكفيرية، كان حريًا كشف نشأة الفكر التكفيري في مصر وعوامل انتشاره؛ لتوضيح كيف مُهدت الأرض لظهور الدواعش في مصر.

نشأة الفكر التكفيري في مصر

عرفت مصر إشكالية التكفير والهجرة في السجون الناصرية في الستينيات، فقد طالع عالم أزهري اسمه علي عبده إسماعيل كتب الخوارج القديمة، وطرح إشكالية تكفير الحاكم والدولة المصرية التي تعذب الإسلاميين في السجون، وتبعه في ذلك شكري مصطفى، الذي أسس جماعة التكفير والهجرة، وكان أطلق عليها «جماعة المسلمين».. وبدأ هذا الشاب يؤسس لتعريف جديد للمسلم، وتعريف جديد للعلوم الإسلامية، وتبعه شباب من طلبة الجامعات في ذلك الوقت، وقد أقدمت الجماعة على قتل الشيخ الذهبي عام ١٩٧٧م وطرحت في المعتقلات جدالاً حول فكر التكفير، وهو ما جعل جماعة الإخوان المسلمين تكتب كتاب «دعاة لا قضاة»؛ أي أن الدعوة هي وظيفة المسلم، وليس الحكم على الناس، فذلك شأن الله سبحانه وتعالى.

أسباب انتشار الفكر التكفيري في مصر

١- وجود أزمة عميقة في المجتمع: فالفكر التكفيري ينتشر في أوقات الأزمات، ففي زمن علي بن أبي طالب كانت هناك أزمة انتقال سلطة في المجتمع الإسلامي، وأزمة تحول المجتمع من مجتمع بسيط إلى مجتمع أكثر رفاهية. وفي الفترة الناصرية في مصر وجدت أزمة متصلة بطبيعة الدولة وموقفها من الإسلام، وخاصة في ظل سياق التحول نحو الفكر الاشتراكي والميثاق. وفي الفترة التي انتعش فيها فكر القاعدة ارتبطت بتحول في رؤية الغرب تجاه العالم الإسلامي، واعتباره عدوًا، وصعود فلسفة صدام الحضارات وتحولها إلى واقع وسياسة على يد المحافظين الجدد، واحتلال بلدان في العالم العربي كالعراق، وفي العالم الإسلامي كأفغانستان.

واليوم هناك أزمة في مصر هي أزمة انتقال السلطة والتحول إلى نظام سياسي جديد.

الفكر الخوارجي التكفيري: هو فكر احتجاجي، ومن ثمّ فإنه ينتعش في ظل وجود نظم سياسية تفتقد إلى الشرعية والإنجاز خاصة في المجال الاقتصادي – الاجتماعي، كما أنها نظم ينتشر فيها الفساد وتغيب أسس وقواعد الحساب والمسئولية، ومن ثم فإن النظم التي يتسع فيها الفقر والبطالة والمهمشين، ويغيب فيها العدل الاجتماعي، وتهتز المكانة للمجتمعات التقليدية، ويعصف الحراك الاجتماعي بقواعد المجتمع، هي نظم تستدعي الفكر التكفيري، فهو راية للاحتجاج الاقتصادي – الاجتماعي، يرفع راية تعطي معنى دينيًا لذلك الاحتجاج، وفي الخبرة الإسلامية عرفت مناطق المغرب العربي حركات احتجاج خوارجية للتعبير عن التهميش والظلم الاجتماعي وغياب قواعد العدل في ظل الدولة الأموية وغيرها.

وجود فائض طاقة في المجتمع، لا يتم استخدامه على الوجه الأكمل، بسبب غياب المشاريع القومية التي تستوعب طاقة شباب الأمة، وهذا يفسر لنا انتشار الفكر التكفيري في أوساط الشباب وفي العالم العربي ومصر.

الديموجرافيا تقول إن مجتمعاتنا هي مجتمعات شباب (١٨-٢٥)، وهذه الفترة العمرية هي أكثر الفترات التي يستجيب فيها الشباب للأفكار الغريبة، أو يرى أنه من حقه أن يقرر لمجتمعه ما يجب عليه أن يفعله.. وهنا نجد حديث السلفية الجهادية في سيناء عن حقها في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، دون وعي أن قرار المجتمع الإستراتيجي لا تقرره فئة من المجتمع وإنما يقرره صناع القرار السياسي، معبرًا عن الدولة جميعها، وسوف نرى في تاريخ فكر التكفير والخوارج بشكل عام أنهم حدثاء الأسنان – أي صغار في السن.

٢- التأويل الديني لمفهوم الحاكمية.. بمعنى أن الحكم لله، وهو ما يعني التكفير لفئات واسعة ممن يعملون في الدولة كحكام أو مستشاريهم.. أو من يوجهون القرار أو يصنعونه في دوائر الحكم والسياسة والقضاء والتعليم وغيرها.. بل قد يمتد الحكم بالتكفير؛ ليشمل من يلجأ إلى هذه الجهات من أفراد المجتمع نفسه،وهنا يستند هؤلاء إلى تأويل قوله تعالى «وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ» وغيرها من آيات سورة المائدة، ولا يقبلون تأويلات الفقهاء المسلمين القدامى، بأن هذا كفر دون كفر، أو أن هذا كفر عملي وليس كفرًا اعتقاديًا.

فعلماء السلف فرّقوا بين الكفر الاعتقادي، الذي يعتقد أن حكم غير الله وشرائعه أفضل وأعدل وأحسن لسياسة الناس من حكم الله، وبين من لا يعتقد ذلك، وهناك أحكام للضرورة والتدريج وغيرها.

إن أحكام الديار التي يسكنها المسلمون اليوم أصبحت ديار كفر؛ لأنها لا تعلوها أحكام الشريعة الإسلامية، وهو ما يعني أن الأوطان والديار التي يقيم فيها

المسلمون اليوم لم تعد ديار إسلام، وهنا تنشأ في نفس من يذهب لتلك التأويلات مفاهيم غريبة، مثل استحلال أموال من يقيمون فيها، واعتزالهم، وعدم مشاركتهم فيما يفعلون، وحرمة التعامل مع مؤسسات الدولة بل وقتالها باعتبارها طائفة ممتنعة عن الالتزام بتنفيذ أحكام الشريعة، وتحول دون تطبيقها.

٣- مفاهيم الولاء والبراء، التي تجعل الشعور بالانتماء هي للدولة التي تحكم بالشريعة.. ومن ثم فإن الدولة التي لا تحكم بالشريعة، وتذهب مذاهب العلمانية الغربية، يجب التبرؤ منها، والعمل على مقاومتها وإسقاطها لإقامة الدولة المسلمة، أو إقامة الخلافة الإسلامية التي سقطت بتآمر دولي عام ١٩٢٤ م.. ويمكن لمفاهيم الولاء والبراء أن تؤسس لموقف حركي في مواجهة الدولة والجماعة التي يعيش فيها هؤلاء المتأولون يصل إلى حد القتال والمواجهة.. كما حدث في أحداث العنف التي واجهتها مصر في التسعينيات، وتلك التي تواجهها سيناء الآن. العالم كله يتآمر على العالم الإسلامي ودياره كلها ديار كفر.. ومن ثم فهي مقصودة بالحرب والقتال.. وتلك هي العلاقة الرئيسية مع هذا العالم.. ولا يستخدم أولئك لفظ مدني وعسكري للتمييز في توجيه العنف والقتال تجاههم بحسب مراتبهم وأعمالهم.. وإنما هم يستخدمون مصطلح دار الكفر ودار الإسلام وديار الكفر، تقصد عالم الإسلام بالتآمر والاستغلال وفرض الهيمنة وهم يدعمون النظم المستبدة المرتدة التي لا تحكم بالشريعة.

٤- السمات النفسية الخاصة لمن يذهب لفكر التكفير، فهو يرى كل ما حوله من عوالم وأفكار وبشر مناقضًا للإسلام، ومن ثم يجب أن يتم إعادتهم إليه عن طريق إعادة تعريف الإسلام والعلم والعالم والدار، وكأنه يكتشف لأول مرة هذه المفاهيم التي كانت موجودة أصلاً.

فإعادة الاكتشاف وتمثل الهداية للعالم هي تعبير عما أطلق عليه «النفسية المهدوية»، التي ترى نفسها مخلِّصة العالم من آثامه وشروره؛ ليعم الخير ويزول الظلم.. وهذه النفسية المهدوية منفصلة عن العالم والواقع، وتركز في عالم ماضٍ من السلفية التي عبرت عن انتصار الإسلام وقوته.

٥- الضغوط الغربية على العالمين العربي والإسلامي عن طريق زرع الكيان الصهيوني في فلسطين وطرح المسألة الشرقية.. بمعنى القضاء على دولة الخلافة الإسلامية، وهناك الازدواجية الغربية في التعامل مع إسرائيل تجاه قضايا العالم العربي.. وهناك المجتمعات الغربية المتجهة إلى الأصولية، فأصبحنا أمام الأصولية الإنجيلية.. ثم الأصولية اليهودية.. وهو ما أنتج أصولية عربية – إسلامية لمواجهة تلك الأصوليات.. وفي حالة سيناء هناك وضع إقليمي متمثل في التجاور الجغرافي مع فلسطين وغزة والتداخل معهما.. وهو ما يفرض بإلحاح ثقل التواجد الصهيوني على النفس المصرية السيناوية والفلسطينية معًا.. وهو ما يستدعي أفكارًا ذات طابع تكفيري تجاه من يحول بين هؤلاء الشباب وقتال اليهود والصليبيين.

٦- الجهل بالدين وبأدوات التخريج العلمي والقياس الفقهي.. خاصة أن كل من يذهب للتكفير لم يتلق تعليمًا دينيًا مدرسيًا.. ومن ثم فإنه لا يملك الأدوات التي تمكنه من الفهم للأحكام الشرعية وتطبيقها على الواقع.. كما أنه لا يمكنه أن يسبر الفروق بين أنواع الواقع المختلفة التي تطبق فيها الأحكام.

كما أن التأمل في المقاصد الشرعية للأحكام ليست داخلة في اهتمام هؤلاء التكفيريين.. ومن ثم فهم يرفضون آليات إدارة المجتمعات المعاصرة، مثل

اختيار الحكام عن طريق صناديق الاقتراع أو تأسيس أحزاب سياسية أو اعتبار البرلمانات أداة حديثة للتشريع فيما يحقق مصالح الناس.

كما أنهم يتمسكون بظواهر مثل أن السيادة لله، ووضعها في تعارض مع سلطة الشعب، واعتباره مصدرًا للسلطات.. كما أن استدعاء أفكار مثل حكم الديار والطائفة الممتنعة وتكفير الحكام وغيرها دون مراعاة الواقع وفروق الدهور والعصور يقود إلى الذهاب للتكفير.

مدى انتشار الفكر التكفيري في مصر

الفكر التكفيري ليس له قبول أو انتشار في مصر.. لأن فكرة التكفير تحمل بذور فنائها وهي غير قابلة للتواجد أو الاستمرار.. كما أن الفكر السلفي الجهادي الممزوج بالعنف ليس له انتشار أو قبول، بعد المراجعات الواسعة التي قامت بها التنظيمات الكبرى في التسعينيات، كما أن ظهور التيار السلفي وانتشاره قلّص التواجد التكفيري في محافظات الدلتا والصعيد.

ويمكننا القول إن الفكر التكفيري والسلفي الجهادي، ينتشر الآن بدرجة قوية في سيناء باعتبارها منطقة بعيدة عن سلطة الدولة، وحين تغيب الدولة وسلطتها يتعاظم تواجد الفكر التكفيري والسلفي الجهادي؛ لأنه فكر فوضوي يرفض فكرة السلطة، ويغلب فكرة المجتمع الذي يعيش وفق الأعراف بعيدًا عن القوانين والمؤسسات؛ ولأن سيناء يغلب عليها العرف، ويغلب عليها القبيلة كوحدة اجتماعية، فإنها أقرب لمزاج الفكر التكفيري والسلفي الجهادي.

وتشير المعلومات إلى ارتباط بعض التكفيريين في سيناء بأفكار مماثلة على الجانب الآخر في غزة؛ حيثُ تختلط فكرة التكفير بالقتال في مواجهة الكيان الصهيوني.

كما أن هناك تواصلاً مع بعض من يحملون هذا الفكر في محافظات الدلتا مثـل محافظة المنوفية، وربما في بعض محافظات الصعيد كالفيوم، اللتـين تتسـمان عامة بكثافة الشعور الديني مع مشاكل اقتصادية واجتماعية حادة.

لا يمثل الفكر التكفيري خطرًا على المدى المتوسط والبعيد، وإنما يمثل خطـرًا على المدى القصير في أوقات الأزمات كما تشير العديد من الدراسات. ومن ثم فإنه إذا استطاعت الدولة المصرية بعد الثورة استكمال أهـدافها فـي «العـيش والحرية والكرامة الإنسانية والعدالة الاجتماعية».. فإن ذلك سيؤدي إلى تهميش الفكر التكفيري والسلفي الجهادي. أما إذا أخفقت التحولات الانتقالية في استلهام أهداف الثورة المصرية فإن ذلك سيؤدي إلى تعاظم الفكر التكفيـري والسـلفي الجهادي«[5]».

---

[5]– د. كمال حبيب، مدى انتشار الفكر التكفيري.. وأسبابه، المرجع السابق ذكره.

الفصل الثاني

داعش وظهورها في المنطقة العربية

المبحث الأول: ماهية تنظيم الدولة الإسلامية «داعش»

يدور هذا المبحث حول توضيح للقارئ ماهية تنظيم الدولة الإسلامية والمشهور إعلاميًا باسم داعش، وأسباب ظهور هذا التنظيم، ومرجعيته الفكرية، ومصالحه وأهدافه بالمنطقة، ومن أين تأتي مصادر تمويله؟، جُل هذه التساؤلات سنحاول أن نطرح لها أوجهًا في هذا المبحث.

بين عشيّة وضحاها سمعنا بتنظيم جديد يُسمى داعش، وارتبط بأبشع أنواع المظاهر من القتل الوحشي الهمجي، وتطبيق حدود الله دون مراجعة أو التأكد من وقوع الحادث، علاوة على العديد من الظواهر التي سمعنا عنها من جهاد النكاح وغيرها، وفي هذا الإطار شوهد توسع هذا التنظيم في السيطرة على مواقع عدة بالعراق وسوريا، وأعلن هذا التنظيم عن توجهاته وبأنه لا يؤمن بالحدود ولا بالدول القومية، وبأنه سيحول كافة الدول العربية لخلافة إسلامية موحدة تحت إمرة الخليفة أبو بكر البغدادي.

وفي ظل ذلك انتشرت المقالات المؤيدة والمعارضة، دون محايد لهذه الظاهرة، فأنصار الفكر الإسلامي الجهادي والفكر التكفيري استقبلوا ظهور هذا التنظيم بالترحاب البالغ، وإعلان التأييد والمبايعة، في حين استقبل الآخرون هذا التنظيم بأنه بلاء على الإسلام والمسلمين، وبأنه القشة التي ستقسم ما تبقى من دول عربية.

وبين هذا وذاك يأتي هذا العرض لماهية تنظيم الدولة الإسلامية المعروف إعلاميًا بداعش. آملين بأن يجُلي بعضًا من الغموض حول هذا التنظيم. وجدير بالذكر أنه مازال الكثير عن هذا التنظيم سوف يتضح بالوقت، مع ظهور مزيد من الوثائق واكتمال التفاعلات الإقليمية والدولية مع هذا التنظيم.

منْ هو داعش؟

هو تنظيم مسلح إرهابي يتبنى الفكر الجهادي التكفيري، ويهدف إلى إعادة «الخلافة الإسلامية وتطبيق الشريعة»، واتخذ من العراق وسوريا مسرحًا لعملياته (وجرائمه). ويطلق على نفسه اسم «الدولة الإسلامية في العراق والشام»، هذا هو اسمها الكامل الذي تم اختصاره بجمع الأحرف الأولى من الكلمات؛ لتصبح «داعش»، وهذا هو الاسم الأكثر ذيوعًا إعلاميًا.

متى ظهر «داعش»؟

أُعلن تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام» (داعش) للمرة الأولى عن نفسه في نيسان (أبريل) ٢٠١٣، وقُدم على أنه نتيجة اندماج بين تنظيمي «دولة العراق الإسلامية» التابع لـ«للقاعدة» وجبهة «النصرة» السورية، إلا أن هذه الأخيرة رفضت الاندماج على الفور، وهو ما تسبب في اندلاع معارك بين الطرفين في كانون الثاني (يناير) ٢٠١٤. واعترض «داعش» علناً على سلطة زعيم تنظيم «القاعدة» أيمن الظواهري، ورفض الاستجابة لدعوته إلى التركيز على العراق وترك سورية لجبهة «النصرة».

أثار ظهور هذا التنظيم العديد من التساؤلات الجدلية حول نشأته وممارساته، وأهدافه وارتباطاته، وانقسمت الآراء فهناك من رأى أن داعش أحد فروع القاعدة في سوريا، وآخرون يرون أن داعش تنظيم مسلح إرهابي مستقل، وآخر يرى أنه صنيعة بشار الأسد للقضاء على المعارضة، وآخرون يرون أنه صنيعة أميركية صهيونية بالمنطقة، وبين كافة هذه الآراء تقبع التحليلات السياسية والإستراتيجية للبحث في هوية وحقيقة منشأ داعش.

الخلفية الفكرية لتنظيم داعش

هناك من يُعيد جذور هذا الفكر السلفي الجهادي، إلى أول خلاف في فجر الإسلام بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، بعد قضية التحكيم بينهما، والتي كان من نتائجها انتهاء عهد الخلافة، وتأسيس أول نظام ملكي وراثي في الإسلام، في النصف الأول من القرن الهجري، وكان من نتائج ذلك التحكيم ظهور رافضين له، سُموا بـ«الخوارج».

لكن إذا ما سلمنا بأن «الخوارج» هم من أسسوا لأول فكر متشدد في تاريخ الإسلام، إلا أن فكرهم كان ينطلق من موقف سياسي معارض للتحكيم، الذي اعتمد للحسم في الخلاف بين علي ومعاوية، وبموجبه انتقل الحكم من زمن الخلافة إلى زمن الحكم عن طريق التوريث. وذهب الخوارج إلى حد تكفير خليفتهم علي بن أبي طالب، بعد واقعة «التحكيم»، ولم يعترفوا بحكم معاوية، وسيتبنون وجوب الثورة على أئمة الجور والفسق والضعف، أي الأئمة الذين يبررون نتائج التحكيم سواء بتبريره أو بقبوله كأمر واقع أو بالخنوع له.

هذا النوع من التفكير التكفيري سيجد من يؤسس له فقهيًا. وسيتجسد بجلاء في المذهب الفقهي لأحمد بن حنبل (٧٨٠-٨٥٥م)، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب الحنبلي في الفقه الإسلامي. ويقوم هذا المذهب الذي يعتبر من أكثر المذاهب السنية محافظة، على الاعتماد على النص والابتعاد عن الاجتهاد والتأويل؛ واضعًا بذلك اللبنات الأولى لتأسيس الفكر التكفيري، رغم أن مؤسس هذا المذهب لم يتورع في حياته عن تكفير من كان يحالفه من فرق أخرى كالشيعة والمرجئة والخوارج والمعتزلة.

رغم مرور كل هذه القرون، مازال فكر هذا الفقيه أحمد بن تيمية (٦٦١-٧٢٨م) وفتاواه مثارًا للجدل بين جمهور فقهاء الإسلام. فإذا كان أنصاره يعتبرونه مجددًا أحيا الدين، فإن خصومه يصفون فكره بالغلو والتشدد، ويتهمونه بنشر الفكر المتطرف والإرهاب.

وفي القرن الثامن الميلادي سيواجه صاحب هذا المذهب فكر «المعتزلة»، الذين كانوا يقولون بخلق القرآن، وهو نفس الرأي، الذي كان يتبناه خلفاء تلك الحقبة من التاريخ الإسلامي، وفرضوه على الفقهاء والقضاة، لكن ابن حنبل عارضهم فتعرض للسجن والتعذيب دون أن يثنيه ذلك عن مذهبه الذي صار له اتباع كثر من بعده.

ويعتقد دارسو هذا المذهب أن المحنة التي تعرض لها مؤسسه، هي التي أدت إلى تبلور وانتصار الاتجاه المتطرف داخل أهل السنة والجماعة في تاريخ الإسلام. لذلك ينظر إليه كثيرون على اعتباره المؤسس التاريخي للتوجه السلفي، الذي يعتبر اليوم مرجعًا للحركات السلفية الجهادية، بما فيها حتى تلك التي لعبت دورًا كبيرًا في قيام الدولة السعودية أواخر القرن الثامن عشر الميلادي«[6]».

بداية التشدد الفكري

لكن هذا الفكر سيتخذ منحى متشددًا، وسيتجسد في فتاوى فقيه عاش قبل سبعة قرون، هو أحمد بن تيمية (٦٦١-٧٢٨م)، اتخذ منه مرجعًا لتبرير تشدده

[6] علي أنوزلا، هل مهدت «الوهابية» الطريق لصعود فكر «داعش» التكفيري؟، تاريخ الاطلاع ٢٠١٤/١١/١٠
http://ar.qantara.de/content/lbhth-n-jdhwr-fkr-dsh-fy-ltrykh-lslmy-hl-mhdt-lwhby-ltryq-lswd-fkr-dsh-ltkfyr

وتطرفه. فرغم مرور كل هذه القرون مازال فكر هذا الفقيه وفتاواه مثارًا للجدل بين جمهور فقهاء الإسلام. فإذا كان أنصاره يعتبرونه مجددًا أحيا الدين، فإن خصومه يصفون فكره بالغلو والتشدد، ويتهمونه بنشر الفكر المتطرف والإرهاب.

ويعد ابن تيمية الذي يوصف بـ«شيخ الإسلام» صاحب تأثير كبير على «الصحوة الإسلامية» بتياراتها المختلفة، وخاصة التيار السلفي الجهادي، الذي تعتبر تنظيمات مثل «القاعدة» و«داعش» إحدى نتائج هذا النوع من الفكر المتشدد الذي ينتصر للنص على حساب العقل.

فكر أحمد ابن تيمية سيجد من يحييه بعد ستة قرون من وفاته، إنها العقيدة «الوهابية»، التي تشترك معه في الكثير من القواسم، بل ويعتبر أتباع هذا الفكر ابن تيمية الأب الروحي لهم. فـ«الوهابية» قامت على أساس أن المسلمين عاشوا ستة قرون في جهل وضياع منذ وفاة شيخ الإسلام، ابن تيمية، إلى أن ظهر محمد بن عبد الوهاب الذي يعتقد أتباعه أنه أحيا الدعوة وأعاد الناس إلى العقيدة الصحيحة. ومن أجل تحقيق هذه الغاية يتبنى فكرة الجهاد كأسلوب لإعادة إقامة دولة الإسلام أو دولة الخلافة.

منْ يعيد استقراء تاريخ بدايات انتشار «الوهابية» في بداية القرن التاسع عشر، سيكتشف الكثير من أوجه الشبه ما بين النهج العنيف، الذي كانت تتبعه هذه الحركة بعد تحالفها مع آل سعود لفرض وجودها، وما بين العنف الذي يتبناه تنظيم «داعش» لفرض أفكاره وبسط نفوذه.

فما تشهده اليوم مدن العراق وسوريا من تدمير للمساجد والحسينيات الشيعية وللمزارات والقبور الصوفية، ومن محاكمات شرعية تقيم الحدود وتنفذ

الإعدامات الجماعية العشوائية، نكاد نجد شبيهًا له في تاريخ حركـــة آل ســـعود المسنودة بالفكر الوهابي، ما بين عامي ١٩٠٤و١٩٢٥، حيثُ قاموا بتدمير مقابر أهل البيت، وصحابة الرسول محمد، واجتثوا المساجد وبيوت الأولياء، ودكـــوا القباب والمزارات.

تذكر كتب التاريخ أن حرب آل سعود، المسنودة شرعيًا مـــن طـــرف «الوهابية»، ذهب ضحيتها سبعة آلاف قتيل، وانتهت بإقامة المملكة الســـعودية التي تعهد ملوكها بتبني الفكر الوهابي المتشدد كمذهب رسمي للدولة، يقوم على فرض تطبيق الشريعة واعتماد قوانينها الصارمة، وهو ما يقول اليـــوم تنظـــيم «داعش» إنه يسعى إلى الوصول إليه .

يروي أمين الريحاني في كتابه «تاريخ نجد الحديث وملحقاتـــه» (ص: ٢٨و٢٩) إن الحادث الخطير في دعوة محمد عبد الوهاب هو قطعـــه لشـــجرة «الذيب» في منطقة الجبيلة، التي كان يتبرك بها الناس، فتبعه أنصاره في تدمير القباب وتحطيم القبور بما فيها قبور أصحاب النبي محمد. أما الحـــادث الثـــاني الأكثر خطورة حسب الريحاني، في دعوة مؤسس الوهابية، فكان هو رجم امرأة اتهمت بالزنا في ساحة عمومية. يصف الريحاني: «رجمت الزانيـــة! فســـرى خبرها سير البرق في البوادي والحضر، ووقع وقع الصاعقة في القلوب الأثيمة والقلوب الطاهرة، فسكت أناس، وصاح آخرون».

ويذكر الريحاني أن أمير منطقة الإحساء كتب إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب ينذره ويدعوه إلى التراجع عن غيّه، مما حمل الشيخ على الهجرة خوفًا على حياته، فتلقفه أمير ذو طموح كبير هو محمد بـــن ســـعود، أميـــر منطقـــة الدرعية آنذاك، فتعاهدا على عقد العهد الذي جمع بين عقيدة المصـــلح وســـيادة

الأمير. عهد «المذهب والسيف»، الذي مازال يجمع بين الوهابيين وآل سعود إلى يوم الناس هذا، ويجسده العلم الوطني السعودي الذي يجمع ما بين كلمة التوحيد وصورة السيف المسلول.

لكن مع مرور الوقت لم تكن علاقة آل سعود دائمًا على خير مع «الوهابية»، بحيث كانت تمر كثيرًا بلحظات توتر، أدت إلى ظهور تيارات فكرية من داخل الفكر الوهابي تعادي النظام السعودي وتدعو إلى مقاتلته. ولعل أبرز هذه التيارات هي تنظيم «القاعدة»، الذي أسس أسامة بن لادن معلناً عودة التفكير الجهادي إلى أرض الإسلام.

عودة الفكر الجهادي

هذا النوع من الفكر التكفيري الجهادي سيجد مبررًا له للعودة مجددًا إلى أرض الإسلام، كرد فعل هذه المرة على القمع، الذي تعرضت له بعض الحركات الإسلامية في دول قمعية في مصر وسوريا في النصف الثاني من القرن العشرين. ومع حرب أمريكا في أفغانستان سيتم تشجيع هذا الفكر رسميًا من قِبل أنظمة عربية، وقفت إلى جانب أمريكا في حربها ضد الروس في أفغانستان، قبل أن ينتقل نفس الفكر إلى العراق، وهذه المرة ضد أمريكا وبدعم من أنظمة عربية، كانت تقف ضد التدخل الأميركي في العراق.

وما بين حرب أفغانستان واحتلال العراق، سينتشر هذا الفكر في أوساط الشباب المتدين، الذي سيتبنى العنف داخل بلدانه لتحقيق قناعاته. وأغلب هؤلاء الشباب هم الذين شكلوا مقاتلي تنظيم «القاعدة»، ويشكلون اليوم إحدى أذرع جيش «داعش» وحطب حربها داخل العراق وسوريا، يغذيهم حلمهم بإعادة حكم الخلافة إلى بلاد العرب، وإقامة دولة الإسلام على الأرض بقوة الحديد والنار.

خلفية تاريخية لظهور تنظيم داعش

كان «داعش» يعمل في بداياته في العراق تحت اسم «جماعة التوحيد والجهاد»، ثم تحول إلى تنظيم «القاعدة في بلاد الرافدين»، بعد تولي أبو مصعب الزرقاوي قيادته في ٢٠٠٤ ومبايعته زعيم «القاعدة» السابق أسامة بن لادن. واشتهر التنظيم الجديد ببث مقاطع فيديو على شبكة الإنترنت تظهر إعدامات وقطع رؤوس.

وبعد مقتل الزرقاوي في حزيران (يونيو) ٢٠٠٦ على يد القوات الأميركية في العراق، انتخب التنظيم «أبا حمزة المهاجر» زعيمًا له. وبعد أشهر تم إعلان تشكيل «دولة العراق الإسلامية» بزعامة «أبي عمر البغدادي». لكن القوات الأميركية تمكنت في نيسان (أبريل) ٢٠١٠ من قتل البغدادي ومساعده أبي حمزة، فاختار التنظيم «أبا بكر البغدادي» خليفة له. وخلال الفترة الممتدة بين العامين ٢٠٠٦و٢٠١٠ تمكنت القوات الأميركية والعراقية من إضعاف التنظيم بشكل كبير، بعدما تم تشكيل قوات «الصحوة» العراقية من مقاتلي العشائر في المناطق السنية، وقتلت أو اعتقلت ٣٤ من كبار قيادييه.

عقب انسحاب القوات الأميركية من العراق في نهاية ٢٠١١، شنّ تنظيم «دولة العراق الإسلامية» حملة تفجيرات عنيفة في المدن العراقية وخصوصًا في العاصمة بغداد، خلّف هذا التفجير آلافًا من الضحايا. وعرض الأميركيون مبلغ عشرة ملايين دولار مكافأة للقبض على البغدادي أو قتله. ورد التنظيم بحملة أطلق عليها «كسر الجدران»، شملت عشرات الهجمات على السجون العراقية، وأدت إلى الإفراج عن المئات من معتقليه، وخصوصًا من سجني التاجي وأبو غريب الشهير. وفي نيسان (أبريل) ٢٠١٣ أعلن أبو بكر البغدادي

في تسجيل صوتي أن جبهة «النصرة» هي امتداد لتنظيمه، وأعلن دمج التنظيمين تحت مسمى واحد هو «الدولة الإسلامية في العراق والشام». لكن «النصرة» سارعت في اليوم التالي إلى رفض عرض الاندماج. وهنا نشبت الخلافات والصراعات بين التنظيمين، وقرر البغدادي نقل نشاط تنظيمه إلى سوريا، حيثُ سيطر على إقليمي الرقة ودير الزور، واستعاد أسلوب الزرقاوي بتنفيذ إعدامات بحق عناصر من جماعات أخرى منافسة.

سرعان ما بدأ التنظيم في خوض معارك مع أكثر من جبهة في الداخل السوري، واحدة ضد «النصرة» وثانية ضد «الجيش السوري الحر» التابع لائتلاف المعارضة السورية، وثالثة ضد الأكراد السوريين الذين قرروا إقامة نوع من «الحكم الذاتي» في مناطقهم في شمال سورية. وفي شباط (فبراير ٢٠١٤) تمكن مقاتلو «داعش» من اغتيال ممثل الظواهري في سورية المدعو «أبو خالد السوري» بتفجير مقره في مدينة حلب، وتسللت قوات من «داعش» إلى مدينتي الفلوجة والرمادي، واحتلتهما بعد أشهر من تصاعد العنف في محافظة الأنبار، ومع أن القوات الحكومية استعادت السيطرة على الرمادي بعد بضعة أيام إلا أن الفلوجة بقيت تحت سيطرة المقاتلين المتشددين.

شن «داعش» هجومًا أدى إلى سيطرة سريعة على مدينة الموصل، ثاني أكبر المدن العراقية، بعد انسحاب القوات الحكومية العراقية منها. ووسع التنظيم سيطرته إلى محافظة صلاح الدين التي تربط وسط العراق بشماله وتضم مدينة بيجي، حيثُ أكبر مصافي النفط العراقية، وحاول الاقتراب من محافظة كركوك الغنية بالنفط والمتنازع عليها، إلا أن قوات البشمركة الكردية سارعت إلى احتلال المحافظة بعد انسحاب الجيش العراقي.

بعد سيطرة «داعش» على مناطق واسعة من العراق، تشمل معظم محافظة الأنبار السنية في غرب العراق، تم إعلان في ٢٩ حزيران (يونيو ٢٠١٤) قيام «دولة الخلافة الإسلامية» بقيادته، ومبايعة زعيمه أبي بكر «خليفة» للمسلمين، وتغيير اسم التنظيم إلى «الدولة الإسلامية» فقط. تطرق بيان «داعش» إلى «إلغاء الحدود» بين العراق وسورية، ودعا المسلمين إلى الهجرة إلى «دولة الخلافة». ولقد ذاع التنظيم شريط فيديو لخطبة ألقاها البغدادي في الجامع الكبير في مدينة الموصل، دعا فيها المسلمين إلى طاعته. وظهر في الشريط بلحية رمادية طويلة، وقد ارتدى عباءة وعمامة سوداوين، ومثّل هذا أول ظهور علني لداعش وأميرها.

قام تنظيم داعش بعد وقت قصير من إعلان «دولة الخلافة» بتهجير المسيحيين من الموصل إلى مناطق بغداد والمناطق الكردية في شمال العراق، ثم لم يلبث أن بدأ في اعتقال الضباط السابقين في الجيش العراقي، ما أدى إلى توتر كبير مع «حزب البعث» العراقي واندلاع اشتباكات بين الجانبين. وبعد هذا التمدد الجغرافي الكبير للتنظيم، اعتمد التنظيم تنويع مصادر دخله لتمويل عملياته ودفع رواتب مقاتليه، وصار يبيع بأسعار منخفضة النفط الخام والبنزين من الحقول والمصافي النفطية التي استولى عليها في سوريا والعراق على السواء. كما فرض رسومًا على محطات بيع الوقود بالتجزئة، وعلى المركبات والشاحنات التي تنقل بضائع إلى مناطق سيطرته. وذهب عدد من المراكز الفكرية والبحثية لتقدير جنود ومقاتلي داعش بحوالي خمسة أو ستة آلاف مقاتل في العراق وسبعة آلاف في سورية، ومن ضمن وأشهر هذه المراكز مركز بروكنجز.

وفيما يتعلق بالجنسيات، يقول الخبير في الحركات الإسلامية رومان كاييه من «المعهد الفرنسي للشرق الأوسط» إن معظم المقاتلين على الأرض في سورية، هم من الجنسية السورية، لكن قادتهم يأتون غالبًا من الخارج بعدما اكتسبوا خبرة قتالية في العراق والشيشان وأفغانستان. أما في العراق فمعظم المقاتلين من العراقيين. ويضم التنظيم قرابة ألفي مقاتل من أصل مغربي من الناطقين بالفرنسية قدموا من فرنسا وبلجيكا، وبينهم خمسة يتولون مناصب قيادية.

منْ هو «أبو بكر البغدادي» أمير داعش؟

في الشهر الرابع من العام ٢٠١٠، وتحديدًا ١٩ أبريل، قامت القوات الأميركية بتنفيذ عملية عسكرية في منطقة الثرثار، استهدفت منزلاً كان فيه أبو عمر البغدادي وأبو حمزة المهاجر، وبعد اشتباكات عنيفة بين الجانبين واستدعاء الطائرات تم قصف المنزل ليقتلا معًا. وبعد أسبوع واحد اعترف التنظيم في بيان له على الإنترنت بمقتلهما، وبعد حوالي عشرة أيام انعقد مجلس شورى الدولة الإسلامية في العراق؛ ليختار أبي بكر البغدادي خليفة لأبي عمر البغدادي، والذي يمثل اليوم (أمير الدولة الإسلامية في العراق والشام، داعش)... فمنْ هو هذا الأمير؟

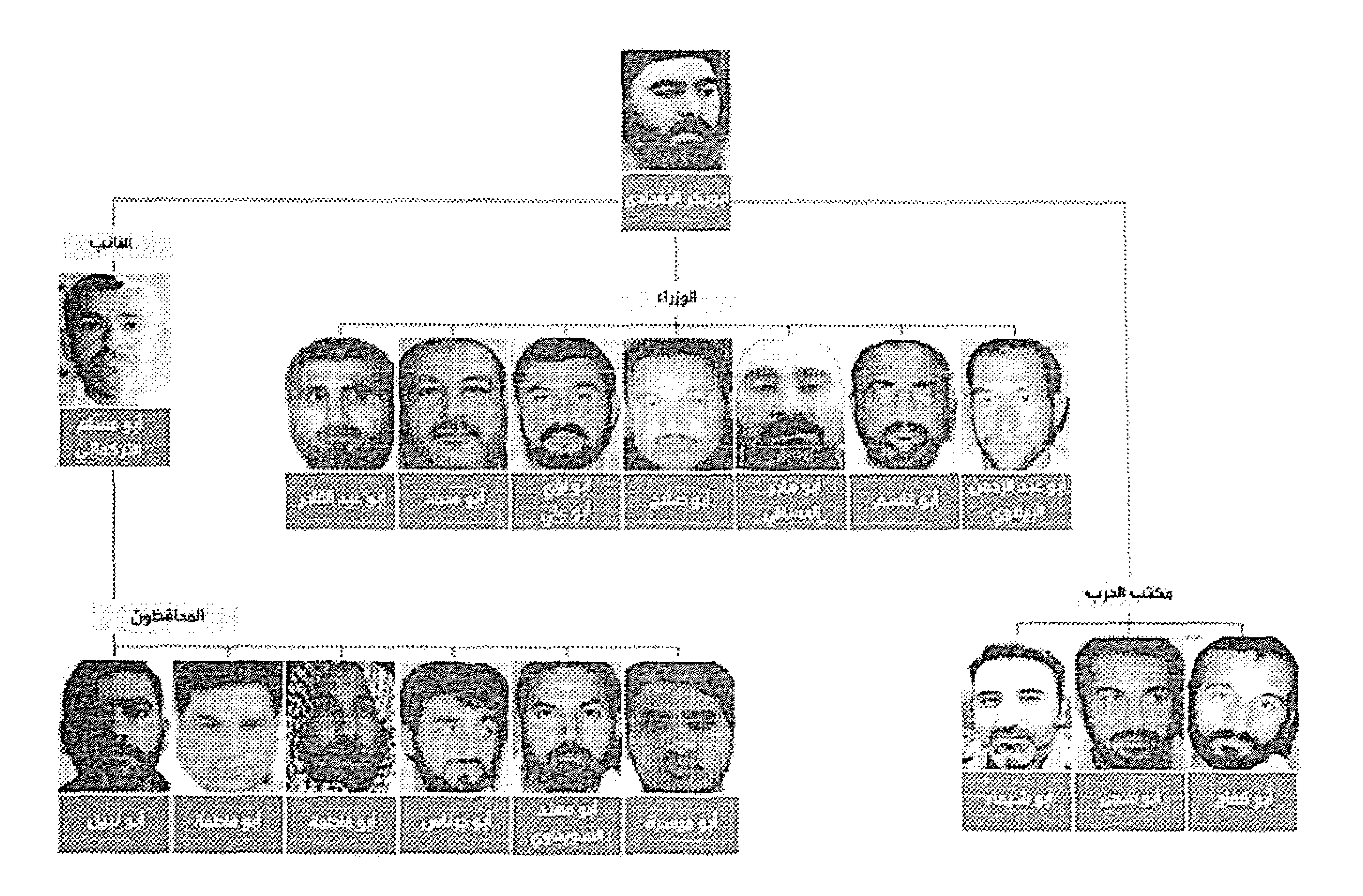
إبراهيم بن عواد بن إبراهيم البدري المولود عام ١٩٧١ في مدينة سامراء العراقية، له العديد من الأسماء والألقاب «علي البدري السامرائي»، «أبو دعاء»، الدكتور إبراهيم، «الكرار»، وأخيرًا «أبو بكر البغدادي». هو خريج الجامعة الإسلامية في بغداد، درس فيها البكالوريوس، والماجستير والدكتوراه، وعمل أستاذًا ومعلمًا وداعية. ولد البدريا في عائلة تتبع العقيدة

السلفية التكفيرية، ووالده الشيخ عواد من وجهاء عشيرة البوبـدري العراقيـة، وأعمامه دعاة في العراق حسب ما يشاع. بدأ البغدادي نشـاطاته منطلقًـا مـن الجانب الدعوي والتربوي؛ إلا أنه ما لبث أن انتقل إلى الجانب الجهادي، حيـثُ ظهر كقطب من أقطاب السلفية الجهادية، وأبرز منظريها في محافظتي ديـالي وسامراء العراقيتين. أولى نشاطاته بدأت من جامع الإمام أحمـد بـن حنبـل، مؤسسًا خلايا مسلحة صغيرة في المنطقة، قامت بعدد من العمليات الإرهابيـة، وشاركت في حروب الشوارع التي شهدها العراق في السنوات الماضية. أنشـأ بعدها أول تنظيم أسماه «جيش أهل السنة والجماعـة» بالتعـاون مـع بعـض الشخصيات الأصولية، التي تشاركه الفكر والنهج والهدف، ونشّط عملياته فـي بغداد، سامراء وديالي، ثم ما لبث أن انضم مع تنظيمه إلـى مجلـس شـورى المجاهدين؛ حيثُ عمل على تشكيل وتنظيم الهيئات الشرعية في المجلس، وشغل منصب عضو في مجلس الشورى حتى إعلان دولة العراق الإسلامية.

جمعت أبا بكر البغدادي، علاقة وثيقة بأبي عمر البغدادي، وصلت إلـى حد أن الأخير أوصى قبل مقتله بأن يكون أبو بكر البغدادي خليفته في زعامـة الدولة الإسلامية في العراق، وهذا ما حدث في السادس عشر من أيـار ٢٠١٠، حيثُ نصّب أبو بكـر البغـدادي أميـرًا للدولـة الإسـلامية فـي العـراق. وللدولة الإسلامية في العراق تاريخ دموي طويل، فمنذ تولي أبي بكر البغـدادي زعامة هذا التنظيم (وبعيدًا عما نفذته القاعدة قبله في العراق في عهد الزرقاوي ومن تبعه)، قام التنظيم بتنفيذ عدد كبير من العمليات والهجمات الإرهابية التـي حصدت أرواح الآلاف من العراقيين، أشهرها كانت عملية مسجد أم القرى فـي بغداد التي أسفرت عن مقتل النائب العراقي خالد الفهداوي، وهجمات انتقاميـة لمقتل زعيم تنظيم القاعدة السابق أسامة بن لادن، حيثُ شن عدة عمليات إرهابية

في العراق أدت إلى استشهاد المئات من رجال الجـيش والشـرطة العراقيـة والمواطنين، وتبنى عبر الموقع الإلكتروني التابع لتنظيم القاعدة في العراق أكثر من ١٠٠ هجوم انتحاري انتقامًا لمقتل بن لادن، تلاها عدة عمليات في العـراق كعملية البنك المركزي، ووزارة العدل، واقتحام سجني أبو غريب والحوت.

ما الهيكل التنظيمي لداعش؟



كشفت صحيفة «التلغراف» البريطانية، عن هيكل القيادات التابع لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام «داعش»، وعلى رأسه أبو بكر البغـدادي، والذي نصّب نفسه خليفة للمسلمين.

الصحيفة وفي تقرير نشرته أكدت أن «الجيش العراقي عثر، أثناء تفتيش منزل عضو تنظيم الدولة الإسلامية، على وثائق تحوي تفاصيل دقيقة عن الهيكل التنظيمي للخلافة المزعومة».

وأشارت إلى أنه «خلافًا للقياديين السابقين، مثل أبو مصعب الزرقاوي، الذين عملوا على مركزية القيادة، فقد عيّن البغدادي نائبًا له لإدارة كل شيء، بدءًا بالمخازن العسكرية، مرورًا بالهجمات بالقنابل، وصولاً إلى الشؤون المالية للخلافة».

وأوضحت الصحيفة أن أبا بكر البغدادي أو «إبراهيم البدري» يترأس هرم الهيكل التنظيمي لداعش، فيما يعد «أبو مسلم التركماني» النائب الأول للبغدادي واسمه فاضل الحيالي، وهو ضابط سابق من تلعفر.

وأضافت أن «أبو عبد الرحمن البيلوي»، اسمه عدنان إسماعيل نجم، هو المسئول العسكري الأول في «داعش»، لقي مصرعه أثناء غارة عسكرية للجيش العراقي في الموصل، أما مسؤول استقبال العرب وتأمين الانتحاريين فيتحملها أبو القاسم واسمه عبد الله أحمد المشهداني، في حين يتولى «أبو هاجر العسافي» أو محمد الدليمي مهمة البريد في «داعش» وهي مسؤولية مهمة في التنظيم تُعنى بالتنسيق ونقل التعليمات، أما المالية فهي من صلاحيات «أبو صلاح» أو موفق الكروموش، ويعد «أبو علي» وكنيته الأخرى «أبو لؤي» المسئول الأمني العام عن التنظيم، واسمه عبد الواحد خضير أحمد، ويبقى ملف السجناء في عهدة «أبو محمد» أو «بشار إسماعيل الحمداني» ويتولى «أبو عبد القادر» أو شوكت حازم الفرحات «المسؤولية الإداري العامة في التنظيم»«[7]».

وأشارت التليغراف إلى أن مكتب الحرب في «داعش» ينقسم إلى ثلاثة أقسام يتولى مسؤولية التفخيخ فيها «أبو كفاح» أو خيري عبد حمود الطائي، في

---

[7] – ماهر فرغلي، الهيكل التنظيمي لـ«داعش» ونواب ووزراء دولة «أبوبكر البغدادى»، جريدة الوطن بتاريخ ٢٠١٤/٠٧/٠٤،
http://www.elwatannews.com/news/details/514331

حين يتحمل عوف عبد الرحمن العفري المكنى بـ «أبو سجى» مسؤولية الشؤون الاجتماعية في التنظيم بما فيها الرواتب والإعانات وإعانة الأسر، أما الثالث فهو «أبو شيماء» أو فارس رياض النعيمي المسئول عن مخازن السلاح بالكامل في التنظيم.

وأوضحت الصحيفة أنه بالنسبة للمناطق لـ«داعش» فيعد «أبو ميسرة» أو أحمد عبد القادر الجزاع مسؤول التنظيم في بغداد، و«أبو مهند السويداوي» أو عدنان لطيف السويداوي مسؤوليتها في الأنبار، و«أبو جرناس» على الحدود السورية العراقية، أما في الفرات الأوسط فيتولى «أبو فاطمة الجحشي» أو أحمد محسن الجحيشي مسؤولية «داعش» في تلك المناطق التي يعتقد أنه قتل، و«أبو فاطمة» أو «نعمة عبد نايف الجبوري» في كركوك، وكان «أبو نبيل الزبيدي» المسؤول عن محافظة صلاح الدين، قبل مقتله مطلع الشهر الحالي.

مجالس داعش لتنظيم إداراتها

ذكرت صحيفة «ديلي ميل» البريطانية أن البغدادي شكّل سلسلة من المجالس المنفصلة المكلفة بإدارة كافة أمور التنظيم، موضحة أن هناك مجلسًا من الوزراء المستشارين له وفريق من ٢٤ محافظًا إقليميًا، ويعين كل محافظ فريقًا من القادة لضمان تنفيذ التعليمات، كما يعين «مجلس الشورى» أو«مجلس الحرب»، ومهمته إبداء النصائح فيما يتعلق بالشؤون العسكرية والدينية، وهؤلاء يتمتعون بنفوذ كافٍ لإقالة البغدادي نفسه إذا قرروا ذلك.

ذكرت الصحيفة أن المعلومات المفصلة عن طريقة عمل التنظيم الإرهابي وأسماء نواب البغدادي والأقسام المختلفة لداعش، توصلوا إليها من خلال كارت ذاكرة خاص بالرجل الثاني المقتول في التنظيم، عبد الرحمن البيلاوي.

أوضحت «ديلي ميل» أن البغدادي القائد العام للتنظيم عيَّن نائبين للإشراف على العمليات في سوريا والعراق، مشيرة إلى أن فاضل أحمد عبد الله الحيالي (اسمه الحركي أبو مسلم آل تركماني)، المسؤول عن العمليات في العراق، في حين يتولى شخص يدعى أبو علي الأنباري، مسؤولية العمليات في سوريا.

وعيّن البغدادي أيضًا مجلسًا من ٧ أشخاص يقدمون له تقارير بشكل مباشر، كما يقدمون له المشورة بشأن سياسات العمل داخل التنظيم، ومن بين أعضاء هذا المجلس شوكت حازم الفرحات، ويمد البغدادي بالمشورة بشأن قضايا الإدارة العامة، وعبد الواحد خضير أحمد (أبو لؤي) وهو مختص بالجانب الأمني.

وبينما يعمل مجلس الوزراء كهيئة استشارية يتولى ١٢ محافظًا في سوريا، و١٢ محافظًا في العراق مسؤولية ضمان تنفيذ تعليمات «الخليفة»، ويتحمل كل محافظ مسؤولية منطقة محددة من المناطق التي يسيطر عليها «داعش»، ويعين فريق من المستشارين مكلفين بإدارة كافة شؤون الحياة اليومية، كما أن المحافظ مسؤول عن ٨ مجالس، وهي:

–المجلس المالي (إدارة بيع النفط وشراء الأسلحة والأمتعة)

–مجلس القيادة (صياغة وتنفيذ القوانين)

–المجلس عسكري (الدفاع عن المناطق التي تخضع لسيطرة داعش)

–المجلس القانوني (الجريمة والعقاب)

– مجلس مساعدة المقاتلين (تمويل المقاتلين ومساعدتهم)

-مجلس الأمن (الأمن الداخلي)

-مجلس الاستخبارات (جمع المعلومات)

-المجلس الإعلامي (التصريحات والدعاية للتنظيم)

ونقلت الصحيفة عن شبكة «سي إن إن» الإخبارية قولها «إن أعضاء مجلس الشورى يتمتعون بنفوذ، فرغم تعيينهم من قبل البغدادي نفسه، لديهم أيضًا القدرة على معاقبته أو حتى إطلاق النار عليه أو غيره من كبار الشخصيات في «داعش»؛ إذا ثبت أنهم خالفوا الشريعة الإسلامية«[8]».

من أين تُمول داعش؟

تتضارب الأنباء حول مصادر تمويل هذا التنظيم، فهناك آراء تذهب أن تمويل داعش يأتي بشكل كبير من نظام الأسد، وهناك من يتهم بعض دول الخليج وخاصة السعودية بدعمه من أجل التصدي للنفوذ الإيراني المتزايد في المنطقة.

وهناك من يقول إن التنظيم في كل من سوريا والعراق يجمع جزءًا من موارده المالية عن طريق الجزية والإتاوات التي يفرضها على سكان المناطق التي يسيطر عليها.

8- منة الله الحريري، بالصور الهيكل التنظيمي لداعش، جريدة المصري اليوم، بتاريخ ٢١/٩/٢٠١٤، http://www.almasryalyoum.com/news/details/528287

وأبرزت الـ«سي إن إن» مصادر تمويل حركة داعش الإرهابية في عدة نقاط:

١- الابتزاز:

يرى مجلس العلاقات الخارجية بالولايات المتحدة أنه في الوقت الذي أصبحت الموصل تحت سيطرة الحكومة العراقية عام ٢٠١٣ قامت حركة داعش بفرض حوالي ٨ ملايين دولار شهريًا كطريقة للابتزاز النقدي ودفع ضريبة لصالحها من جانب الشركات المحلية، ومع استيلاء الحركة القمعية على مساحات واسعة من العراق، تقوم بفرض مزيد من الضرائب على كافة المدن، مما زاد من نسبة الأموال المتدفقة عليها بدخولها مزيدًا من المدن، فضلاً عن تقليصها حجم المساعدات الإنسانية التي كانت تقدمها منذ سنوات ماضية.

٢- المخدرات والخطف وغسل الأموال

تتعامل حركة داعش بأحدث الوسائل التقنية خلال اتصالها بمنظمات المافيا العالمية، في الوقت الذي تستبعد فيه التعامل مع الحركات الجهادية الثورية ذات الموارد المادية الضئيلة مقارنة بالمافيا.

صرح مراسل شبكة «ديلي بيست جوش روجين» لشبكة سي إن إن بأن حركة داعش تتفوق في أنشطتها الإرهابية، التي امتدت للخطف والسرقة والقتل والتهديدات؛ فضلاً عن تجارة المخدرات ومخططات غسيل الأموال.
وذكرت الشبكة الأميركية أنه تم اختطاف عشرات المواطنين الأتراك والهنود بحدود المناطق الواقعة بشمال غرب بغداد، وطالبوا الحكومة والسفارات بدفع فدية لإطلاق سراحهم.

٣- الكهرباء

كشفت تقارير صحيفة نيويورك تايمز أن حركة داعش تبيع الكهرباء من محطات توليد الطاقة بالمدن التي استولت عليها بشمال سوريا لصالح حكومة الأسد.

وأكدت التقارير أنهم يتصرفون بكامل الحرية، مضيفة أن الحركة قامت بخطوات مماثلة للسيطرة على محطات إنتاج الكهرباء بالعراق في الأسابيع الأخيرة، وبيع الطاقة التي تنتجها لصالح جماعات تابعة لها.

٤- الوقود

يُعد شمال سوريا من أهم المناطق الغنية بالنفط، التي سيطرت عليها حركة داعش بالفعل؛ لتتحكم في كافة المدن بالشمال السوري، حيثُ قامت على الفور ببيع النفط الخام الذي تنتجه تلك المناطق إلى الحكومة السورية.

ومع تقدم الحركة واستيلائها على مزيد من المدن، تزداد الغنائم التي تحصدها من المدن المختلفة على حسب ثرواتها، خاصة بعد هجومها على مصفاة النفط في «بيجي»، التي تُعد أكبر منشأة نفطية بالعراق.

٥ -الجهات المانحة:

قال مراسل ديلي بيست جوش روجين لشبكة «سي إن إن»، إن حركة داعش تتلقى تمويلاً ودعمًا من عشرات السنوات من قِبل العديد من الدول، والمنظمات الإرهابية.

ويؤكد غونتر ماير مدير مركز أبحاث العالم العربي في جامعة مـــاينز الألمانية «أنه لا يوجد سجل حسابي متاح يكشف عن مشاركة حكومـــة إحـــدى الدول في نشأة وتمويل داعش كمنظمة». لكنه لا يتشكك مطلقاً في مصدر أموال داعش ويقول في تصريحات لــ DW: «إن داعش تحصل على دعم مـــن دول خليجية وفي مقدمتهم السعودية وأيضًا قطر والكويت والإمارات».

ويوضح ماير أن سبب تمويل دول خليجية سنية لداعش هو دعم مقاتلي الحركة ضد نظام بشار الأسد في سوريا. من ناحية أخرى يشير ماير إلى وعي السعودية بالمخاطر التي قد تنتج عن عودة مقاتلي داعش السعوديين وإمكانيـــة انقلابهم على النظام السعودي نفسه. يرى ماير أن مصدر التمويل الأكبر لـــيس الحكومة نفسها وإنما «شخصيات سعودية ثرية»«[٩]».

في هذا الإطار توجه الحكومة العراقية أصابع الاتهام بشـــأن تمويـــل داعش، للسعودية إذ قال رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي بشكل مباشر (يوم الثلاثاء ١٧ حزيران/يونيو ٢٠١٤) إنه يحمّل السعودية مسؤولية الدعم المـــالي لداعش. وقد قوبلت هذه التصريحات برفض الولايات المتحدة، حليف السعودية إذ وصفت جين بساكي، المتحدثة باسم الخارجية الأميركية، تصريحات المالكي بـــ«العدائية وغير الدقيقة».

٦- غنائم فتح المدن

وضع مقاتلو داعش أيديهم فور دخولهم للموصل في أوائل يونيو علـــى مناجم الذهب، ووفقاً لتقديرات شبكة «سي إن إن» فإن ثروة داعش تتجاوز حاليا

---

[9]- http://www.dw.de/%D9%85%D9%86

ملياري دولار، وهو ما يتعدى بكثير ثروات حركة طالبان وتنظيم القاعدة، في الوقت الذي تتلقى فيه حركة داعش بعض التمويلات الصغيرة أيضًا من دول تونغا وكيريباتي.

استيلاء داعش على أكثر من ٤٢٠ مليون دولار من البنك المركزي في الموصل، والحصول على أموال من بنوك أخرى في المدينة والمناطق الأخرى التي تسيطر عليها، يمكنها من تجنيد المزيد من «الجهاديين». ووفقًا للمدون البريطاني إليوت هيغينز؛ فإن الأموال التي صارت الآن تحت تصرف داعش تمكنها من «دفع ٦٠٠ دولار شهريًا لـ ٦٠ ألف مقاتل لمدة عام واحد». وتشير التقديرات إلى أن عدد المقاتلين في صفوف داعش يبلغ حاليًا نحو عشرة آلاف شخص.

يعتقد تشارلز ليستر أن داعش تدفع أموالاً على الأقل للمقاتلين الأجانب في صفوفها، وربما للقوات كلها أيضًا. من ناحية أخرى تتولى داعش كما يقول ليستر، دعم الخبز والماء والوقود في المناطق التي تسيطر عليها؛ علاوة على إصلاح وتشغيل الخدمات الأساسية ولكنها أمور تتكلف المال. من غير المستبعد أن تنفق داعش المال أيضًا على التسليح كما يشير الخبير ماير، فبعد أن استولت داعش على الكثير من الأسلحة الأميركية لدى دخولها الموصل، يمكن أن تنفق داعش الآن المال في السوق العالمية للحصول على المزيد من الأسلحة الحديثة.

تسليح داعش

كشفت دراسة أجرتها منظمة تُعنى بالنزاعات المسلحة وتجمع معلومات عن تسليح داعش، أن التنظيم يحصل على ذخائره من إحدى وعشرين دولة، بينها الولايات المتحدة وروسيا. وكشفت المنظمة أن التنظيم استولى على معظم

ذخائره من القوات الأمنية في سوريا والعراق كغنائم، أو اشتراها من بعض عناصر هذه القوات عبر السوق السوداء.

البحث الذي نُشر في صحيفة «نيويورك تايمز» أظهر أن ٨٠% من ذخائر الخرطوش، التي يستخدمها التنظيم، صنعت في الصين والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي سابقًا وروسيا وصربيا، إضافة إلى دول أخرى مثل إيران.

العينات التي اعتمدها البحث شملت ١٧٣٠ خرطوشة، صُنعت منذ عام ١٩٤٥ حتى العام الحالي، استولى عليها مقاتلون أكراد من موقع لتنظيم داعش.

26%من هذ العينات صينية و١٩% منها خراطيش أميركية، و٨,٥% منها خراطيش روسية تبيعها شركة SPORTING SUPPLLIES INTERNATIONALالأميركية.

هذا التنوع في مصادر تسليح التنظيم يظهر، حسب البحث، براعة مقاتليه في تسليح أنفسهم مع توسيع مناطق نفوذهم.

أما كيفية حصول داعش على الذخائر فيوضح البحث أن مقاتلي التنظيم يجمعون الأسلحة بأساليب عدة منها:

-الغنائم التي يستولي عليها من المعارك.

-الجماعات المعارضة التي تنضم إليه .

-ومن بعض العناصر التي وصفها البحث بالفاسدة في القوات العراقية والسورية عبر السوق السوداء.

وبحسب قائد في المعارضة السورية؛ فإن داعش يختار خلال معاركه مع قوات الأسد الجبهات التي فيها مستودعات أسلحة يمكن أن يحصل منها على غنائم أكثر.

وعلى ضوء هذه المعطيات يحذر البحث من خطورة تزويد الأسلحة عبر وكلاء في المنطقة، ويشير إلى أن القوات الأمنية التي تتسلم الذخائر ليست قادرة على الاحتفاظ بها، ما ينذر المدافعين عن التدخل الأجنبي في سوريا والعراق بعواقب وخيمة.

كشفت صحيفة «وورلد تريبيون» الأميركية النقاب عن أن تركيا، واحدة من الدول التابعة لحلف شمال الأطلنطي «الناتو»، التي ساهمت في تسليح تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام «داعش» منذ عام ٢٠٠٣.

وقالت الصحيفة، في سياق تقرير أوردته على موقعها الإلكتروني إن تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام «داعش» يتلقى شحنات أسلحة من الكتلة الشرقية السابقة للاتحاد السوفيتي. وإن «داعش» طلبت الحصول على أسلحة مضادة للدبابات وصواريخ وقذائف هاون ودروع واقية ووسائل اتصال من خلال جبهات في أوروبا، وأشارت تلك المصادر إلى أن الأسلحة والمعدات تم الحصول عليها من قبل حلفاء الاتحاد السوفيتي السابق مثل بلغاريا وكرواتيا ورمانيا وأوكرانيا.

وقال مصدر دبلوماسي إن تدفق أسلحة «داعش» كان بدعم من دول حلف الناتو، وخاصة تركيا حيثُ قال المصدر إن أجهزة المخابرات التابعة للناتو سهّلت عملية شحن الأسلحة من وإلى أوروبا تحت ستار المساعدات الإنسانية لسوريا.

وأضاف بقوله: «أجهزة الأمن الغربية كانت مسئولة عن اختيار موردي سلاح موثوق بهم من دول أوروبا الغربية، لنقل الأموال وتسليم إمدادات إنسانيه قاتلة إلى الشرق الأوسط».

وأوضح المصدر أن «داعش» بدأت في طلب الحصول على أسلحة ومعدات عسكرية في مطلع عام ٢٠١٣.. مشيرًا إلى أن كرواتيا وردت لداعش مدرعات لنقل الجنود وقاذفات صواريخ، بينما كانت رومانيا تبيع دبابات القتال الرئيسة، وأوكرانيا كانت تزودها بعربات القتال التي يستخدمها جنود المشاة لديها، بينما قال إن بلغاريا كانت تورد الذخائر إلى التنظيم.

وقال المصدر الدبلوماسي: إن تركيا ويوغوسلافيا السابقة لعبتا دورًا رئيسًا في تسليح «داعش».. لافتين إلى أنه تم دعم التنظيم من خلال تجنيد قوات في البوسنة وبلغاريا وكوسوفو للمشاركة في الحرب الدائرة في العراق وسوريا«[١٠]».

[10]- صحيفة أمريكية: تركيا لعبت دورًا رئيسيًّا في تسليح «داعش»،
http://www.albawabhnews.com/735157

المبحث الثاني: مصر على خريطة المصالح الداعشية

يبحث هذا المبحث في الأهداف الغربية والأميركية بالمنطقة وظهور داعش كأداة أميركية جديدة لتحقيق هذه الأهداف والمصالح وموقع مصر في خريطة هذه المصالح

بادئ ذي بدء؛ فإن منطقة الأحداث هي المنطقة العربية، التي تداول الغرب تسميتها بمنطقة الشرق الأوسط كمصطلح يمحي مصطلح الوطن العربي لعدة دلالات أهمها؛ محور الهوية العربية، لتفتيت الوطن العربي ووحدته وتماسكه وأي سبل لإيجاد وحدة عربية، علاوة على شمول العديد من الدول غير العربية من أجل إذابة الهوية العربية والإسلامية، كما سلف الذكر، وكان من أهم الدول التي حرص الغرب والولايات المتحدة على إدماجها هي إسرائيل بالمنطقة؛ لذا كان لزامًا أن يتبنى مفهومًا مُغايرًا لمفهوم الوطن العربي تحقيقًا لمصالحه ومصالح إسرائيل الحليف الإستراتيجي.

حين أطلق ألفرد ماهان المصطلح كان يقصد به المنطقة الواقعة بين الهند والجزيرة العربية. ويدخل الخليج العربي ضمن هذه المنطقة. وحسب مفهوم المعهد الملكي للشؤون الدولية، الذي تأسس في لندن سنة ١٩١٩ برئاسة المؤرخ أرنولد توينبي، فإن تسمية الشرق الأوسط شملت «شرق البحر المتوسط»، وبصورة خاصة منطقة الهلال الخصيب ومصر وتركيا واليونان وقبرص وإيران. وإبّان الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ – ١٩٤٥، توسع استخدام مصطلح الشرق الأوسط؛ ليشمل كافة المشرق العربي ومصر والسودان وتركيا وإيران وأفغانستان. وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وسَّع معهد الشرق الأوسط الذي تأسس في واشنطن سنة ١٩٤٦ استخدام المصطلح المذكور؛

ليشمل فضلاً عن المنطقة أعلاه، كلاً من باكستان وآسيا الوسطى والأقطار العربية في شمال أفريقيا.

ومنذ ذلك التاريخ أطلق مصطلح الشرق الأوسط على تلك المنطقة من قبل وزارة الخارجية الأميركية، وعلى العشرات من مراكز الدراسات والبحوث والأقسام العلمية المتخصصة في الجامعات الأميركية. ومع بداية إعلان تأسيس إسرائيل على الأرض العربية فلسطين في ١٤ أيار ١٩٤٨ بدأ البعض من الكتاب والسياسيين الغربيين يروِّجون لهذا المصطلح رغبة منهم في تثبيت كيان إسرائيل والسعي لدمجه ضمن المنطقة، وعلى هذا الأساس تعاملت أجهزة الإعلام والدوائر الغربية مع أقطار جامعة الدول العربية على أنها أقطار شرق أوسطية.

لقد أصبح معلومًا أن مصطلح الشرق الأوسط هو أكثر من مصطلح جغرافي، فهو مصطلح سياسي واقتصادي، يضم بين جناحيه أقوامًا من عروق شتى عربية وتركية وفارسية، ومن أديان شتى إسلامية ومسيحية ويهودية، وتمتد حدوده؛ لتحتوي الوطن العربي، ولكن مجزأً، مبتدئًا بمصر دون الشمال الأفريقي ثم إسرائيل، وتعانق ذراعاه أقطارًا تصل إلى أفغانستان وحتى جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية شمالاً.

وفي هذا الإطار تأتي معظم خطط إستراتيجيات الغرب والولايات المتحدة الأميركية مرتكزة على الوطن العربي لما له من أهمية إستراتيجية تتمثل في:

- أهمية اقتصادية: تتبع الأهمية الاقتصادية في المنطقة بسبب وجود النفط فيها، ويُقدر احتياطي النفط في الشرق الأوسط بـ٦٦% من احتياط النفط العالمي. في نهاية القرن العشرين أنتج الشرق الأوسط حوالي ثلث الإنتاج العالمي من النفط، وتعتبر هذه المنطقة المزود الرئيسي للنفط للعالم المتطور وخاصةً أوروبا، الولايات المتحدة الأميركية، روسيا واليابان، وهذا أعطى لبعض الدول في الوطن العربي قوة اقتصادية أثرت كثيرًا على شعوب المنطقة. النفط العربي موجود بكثرة في منطقة الخليج العربي، وعلى هذا الأساس، تحاول الدول الكبرى أن تشرف على المنطقة، واليوم المشرف الوحيد على المنطقة هو الولايات المتحدة الأميركية. وهناك صفة خاصة للنفط في الشرق الأوسط أنه غير مكلف، فمن كل بئر نفط تستخرج كميات كبيرة ولا حاجة لحفر آبار كثيرة وعميقة.

أهمية إستراتيجية: كلمة إستراتيجية هي كلمة يونانية الأصل من كلمة إستراتيجوس ومعناها قائد عسكري ذو أهمية كبيرة، فللمنطقة العربية أهمية إستراتيجية كبيرة جدًا بين المناطق المحيطة بها، فهي حلقة وصل أو جسر بين دول وقارات العالم. وبالتالي فإن الشرق الأوسط يشكل المجال الذي تلتقي فيه قارات أوربا وأفريقيا وآسيا، ويضم البحار: المتوسط والأحمر والأسود، إلى جانب بحر العرب وبحر قزوين والخليج العربي والمحيط الهندي، كما يتحكم بأهم المضايق في العالم، هرمز، باب المندب، قناة السويس، البوسفور، الدردنيل، وتروي أراضيه أنهار مهمة كدجلة والفرات والنيل والأردن، وهو موطن الحضارات القديمة ومهد الأديان السماوية، ويضم فوق ذلك كله أكبر ثروة نفطية في العالم.

- منطقة الشرق الأوسط مجال إستراتيجي حيوي للقوى الصناعية الرأسمالية في الغرب؛ لأنه يُؤمن في السلم والحرب، تدفق النفط والاستثمارات والمواد الأولية، إلى جانب الممرات المائية والبحار والقواعد العسكرية البرية والبحرية والجوية والمخازن الإستراتيجية، التي تقوم بدور مهم في تعزيز الإمكانات اللوجستية وتوسيع القدرة للسيطرة على العالم. وهذا ما جعل الولايات المتحدة تربط أمنها القومي بأمن الشرق الأوسط الذي يمس مصالحها القومية، ويشكل الدعامة الحيوية في سياستها الكونية إلى جانب أوربا، وكان تشكيل قوة الانتشار السريع الأميركية سنة ١٩٨٠ دليلاً واضحًا على ذلك، فقد حدد رونالد ريغان رئيس الولايات المتحدة في الأول من أيلول ١٩٨٢ هدف هذه القوة بقوله: «علينا وضع سياسة مشتركة مع أصدقائنا وحلفائنا واستخدام القوة إذا ما اقتضت الضرورة للدفاع عن منطقة الشرق الأوسط.».

- لذلك بذلت محاولات غربية عديدة لدمج منطقة الشرق الأوسط، ومن ضمنها الدول العربية في إطار إقليمي، لعل من أبرزها التصريح الثلاثي في ٢٠ أيار ١٩٥٠ والذي أصدرته الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، وكان الهدف من هذا التصريح ضمان أمن إسرائيل وتهديد العرب؛ إذا فكروا في استعادة أراضيهم بالقوة، وتركيز مبدأ الحفاظ على الوضع الراهن وتقديم ضمانات أمنية واضحة لهذا الكيان؛ لذلك نص على ضرورة الاحتفاظ بمستوى معين من القوات المسلحة ومعارضة قيام سباق تسلح بين الدول العربية وإسرائيل.

يُعد مؤتمر مدريد الذي عقد سنة ١٩٩١ بمثابة عملية انطلاق لترسيم «خريطة جديدة لمنطقة الشرق الأوسط». وفي مؤتمر مدريد سنة ١٩٩١طرحت فكرة السوق الشرق أوسطية بمبادرة إسرائيلية وأميركية مع الجماعة الأوربية والبنك الدولي.

ويعد شيمون بيريز رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق من أشهر الداعين لهذه الفكرة. فقد ركز عليها في خطابه الذي ألقاه في المؤتمر السنوي لحزبه حزب العمل في أيلول ١٩٩١ وتحدث عن التكامل بين ثلاثة عناصر متوفرة في الشرق الأوسط وهي: وفرة موارد المياه التركية، وسعة السوق الاستهلاكية المصرية ومقدرة التكنولوجيا الإسرائيلية، وخلص إلى أن اتحاد هذه العوامل الثلاثة ممولة بفوائض نفط الخليج العربي، تستطيع أن تحقق لإسرائيل ما تريد، ويجعلها جزءًا من المشروع الاقتصادي الشرق أوسطي الجديد، فيتعزز عندئذ أمنها ويتحقق رخاؤها، ثم عاد فوسّع الفكرة من خلال كتابه «الشرق الأوسط الجديد»، الذي ترجم إلى اللغة العربية أكثر من مرة في عمان بالأردن.

وتشير بعض الدراسات إلى أن مشروع الشرق الأوسط الجديد قُدم لأول مرة من قبل (التجمع من أجل السلام)، وهي هيئة غير حكومية تشكلت في القدس سنة ١٩٦٨، بهدف تشجيع المبادرات الرامية لإزالة أسباب الصراع العربي – الإسرائيلي، وتضم الهيئة كتابًا ومفكرين ومثقفين وصحفيين. ويقول بيريز إنه طرح المشروع سنة ١٩٨٥ وسمَّاه بمشروع مارشال الشرق الأوسط، وأن الدكتور مصطفى خليل رئيس الحزب الوطني الديمقراطي في مصر آنذاك شارك في وضع تفاصيل هذا المشروع. وترافقت الدعوة إلى إنشاء النظام

الاقتصادي الشرق أوسطي مفاوضات السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين، والتي نجم عنها اتفاق غزة – أريحا «[11]».

ولئن كانت فكرة النظام الشرق أوسطي الجديد وفق مفهوم مستشار الأمن القومي الأميركي (مارتن إنديك) في إدارة كلينتون الأولى، تعني إعادة هيكلة هذه المنطقة على بنى جديدة أو مفهوم (بيريز)، الذي يقصد به إقامة «نظام التفاعلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، يرتكز على اعتبارات التقارب الجغرافي والتعاون المشترك على مختلف الأصعدة»؛ فإنها تهدف في الوقت نفسه إلى مواجهة مشروع العرب الحضاري المستقل، وإضعاف المرتكزات السياسية والاجتماعية والثقافية للنظام العربي، وذلك من خلال إلغاء المقاطعة لإسرائيل وتدعيم قدراتها السياسية والعسكرية، وفتح الأبواب أمام نموذج الغرب الرأسمالي بأفكاره وقيمه وإعادة ترتيب التوازنات الإقليمية في المنطقة، وبما يضمن دمج إسرائيل فيها وإنهاء الصراع العربي الإسرائيلي، وإقامة علاقات عربية- إسرائيلية في إطار مشروعات شرق أوسطية مشتركة.

هذا فضلاً عن أن هذا النظام يعطي دورًا لتركيا الجارة الشمالية للعرب منسجمًا مع النظام العالمي الجديد المرتبط إلى حد كبير بالإستراتيجية الأميركية، ومحكوم كذلك بمدى تدعيم تركيا لعلاقاتها مع إسرائيل، وخاصة على الأصعدة الأمنية والعسكرية والاقتصادية.

---

[11]- صلاح عبد العاطي، مشروع الشرق الأوسط وتداعياته على الأمن القومي العربي. http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=88815، تاريخ الاطلاع ٢٠١٤/١١/٢٩

إن مشروع النظام الشرق أوسطي إذن يرتكز على أسس سياسية واقتصادية، ولا يشترط توفر هوية ثقافية وحضارية متماثلة؛ لأنه يضم قوميات وأجناسًا وأديانًا شتى. ومن هنا فإن ثمة تناقضًا واضحًا بين المفهومين العربي والغربي لهوية هذه المنطقة المهمة من العالم، وجوهر هذا التميز هو التركيز العربي على التاريخ والثقافة والقول بوجود أمة عربية ذات مشروع حضاري سياسي متكامل، بينما يركز الغرب على الجغرافية والاقتصاد والاعتبارات الإستراتيجية؛ للتأكيد على وجود شرق أوسط جديد كبير، يختلط فيه العرب مع الكرد والأتراك والإيرانيين والفرس والإسرائيليين والهنود والباكستانيين والأفغان وغيرهم من الشعوب، والقاسم المشترك للجميع هو تبني الديمقراطية والحرية والابتعاد عن العنف والاندماج بالاقتصاد العالمي (اقتصاد السوق)، والسعي باتجاه الإصلاح السياسي والتعليمي والاجتماعي، وهي ذات الأسس التي يرتكز عليها المشروع الأميركي الجديد المعروف بالشرق الأوسط الكبير.

الشرق الأوسط الكبير

ظهر المصطلح في عهد إدارة الرئيس الأميركي جورج دبليو بوش، حيثُ يشير تقرير اللجنة الأميركية للأمن القومي في القرن الحادي والعشرين، والذي وضع في شباط ٢٠٠١ بعنوان «البيئة الأمنية الكونية الجديدة في الربع الأول من القرن الحادي والعشرين»، وقد تضمن التقرير عددًا من الدراسات والأبحاث عن المناطق المختلفة في العالم ومن بينها وثيقة «الشرق الأوسط الكبير».

فالتقرير يُعّرف منطقة الشرق الأوسط الكبير بأنها: «تلك المنطقة التي تضم كلاً من العالم العربي، إسرائيل، تركيا، آسيا الوسطى، القوقاز، ومنطقة شبه القارة الهندية، وتمثل هذه المنطقة، كما جاء في التقرير أكبر مستودع للطاقة في العالم،

كما أنها ساحة نزاع بين عدة قوى طموحة، تسعى لفرض الهيمنة على المنطقة، وللولايات المتحدة حلفاء فاعلون في هذه المنطقة، كما أن لها مصالح ذات أهمية، إلى جانب ذلك فإن المنطقة تشهد تطورًا واسع النطاق لأسلحة الدمار الشامل، ولم يكن من قبيل الصدفة، أن شهدت هذه المنطقة حربًا كبيرة للولايات المتحدة وذلك في سنة ١٩٩١. كما أنها المنطقة الوحيدة بالعالم التي تتجه الولايات المتحدة إليها؛ لتوسيع نطاق انتشارها العسكري؛ وذلك منذ نهاية الحرب الباردة«[١٢]».

أكد واضعو التقرير أن منطقة الشرق الأوسط الكبير، منطقة شديدة الأهمية مصدر متاعب في الوقت نفسه، خاصة وأن نظم الحكم في المنطقة، باستثناء كل من إسرائيل والهند وتركيا، هي نظم استبدادية، وتفتقر المنطقة إلى نظم ديمقراطية مؤسسية، بالإضافة إلى ذلك فإن هذه المنطقة تعد موطنًا للاتجاهات الإسلامية المتطرفة سياسيًا، والتي إن لم تكن تشكل مصدرًا للتهديد لمجتمعاتها وجيرانها فهي على الأقل مصدر مهم للقلق وعدم الاستقرار.

في العاشر من تموز سنة ٢٠٠٢ قدّمت مؤسسة (راند) للدراسات تقريرًا وضعه (لوران مورافيتش) المحلل الإستراتيجي فيها، إلى هيئة السياسة الدفاعية في وزارة الدفاع الأميركية. ويتكون التقرير من أربع وعشرين نقطة، خصصت لدراسة الوضع في المنطقة العربية، ويخلص التقرير إلى اقتراح ما يصفه بأنه الإستراتيجية الكبرى للشرق الأوسط. يقول التقرير بالحرف ما يلي: العراق هو المحور التكتيكي، السعودية هي المحور الإستراتيجي، مصر هي الجائزة.

---

[12]- المرجع السابق ذكره.

لمزيد من المعلومات انظر في سمعان بطرس فرج الله، الرؤية الكويتية لأمن الخليج، في: عبد المنعم المشاط «محرر» أمن الخليج «دراسة في الإدراك والسياسات»، جامعة القاهرة، مركز البحوث والدراسات السياسية، ١٩٩٤، ص٢٨-٥٩

لا يقول كيف، ولا بأية طريقة ولا متى، إلا أنه يرسم صورة للأوضاع في العالم العربي، تدل بما لا يدع مجالاً للشك أن الولايات المتحدة الأميركية عازمة على إجراء تغييرات جوهرية في هذه البلدان، ويظهر التقرير صعوبة إجراء التغييرات، ويقدم «صورة قاتمة جدًا بل هي موصدة الأبواب» على أي نوع من التغيير لا الآن ولا في المستقبل؛ إذا لم تتولَ الولايات المتحدة الأميركية بنفسها، ومن خلال أساليب وطرق مختلفة، مسؤولية العمل على إحداث هذا التغيير، ويضم التقرير تحت عنوان «ماذا أنتج العالم العربي؟!.» مجموعة من النقاط أبرزها: أن المشكلات الديموغرافية والاقتصادية باتت مستعصية بسبب الفشل في تأسيس سياسات تضع الازدهار والرخاء هدفًا لها، والدول العربية كلها هي إما دولاً فاشلة أو دولاً مهددة بالفشل، وإن التوترات بين العالم العربي والعالم الحديث بلغت ذروتها، وأزمة العالم العربي، نتيجة ذلك كله، تتعرض للتصدير إلى بقية العالم، ومن الملاحظ أن التقرير يتجاهل حقائق الأوضاع في العالم العربي، وأبرزها أن وجود إسرائيل واحتلالها الأراضي العربية هو من أبرز أسباب العنف في هذه المنطقة«[١٣]».

اعتمد كولن باول، في مبادرته، على إحصاءات كانت قد وردت في تقرير للأمم المتحدة صدر سنة ٢٠٠٢ حول التنمية البشرية في الشرق الأوسط، فالعالم العربي مثلاً يترجم سنويًا حوالي (٣٣٠) كتابًا أجنبيًا؛ أي ما يعادل خُمس ما تترجمه دولة مثل اليونان. وهناك حوالي ٥٠ مليون عربي سوف يدخلون سوق العمل في العقد القادم، وعشرة ملايين طفل في سن دخول المدارس لا تتوفر لهم هذه المدارس، وهناك ٦٥ مليونًا لا يحسنون القراءة والكتابة، لذلك دعا باول العرب إلى أن يندمجوا بمنظومة التجارة العالمية، خاصة وأن حصة الدول

---

[13] المرجع السابق ذكره.

العربية من الصادرات العالمية؛ إذا ما استثنينا النفط، لا تمثل حاليًا سوى واحد بالمائة. وقد وعد باول بتخصيص مبلغ ٢٩ مليون دولار لما أسماه دعم انضمام الدول العربية إلى منظمة التجارة العالمية، في شهر أيلول عام ٢٠٠٢، أعلنت (كوندليزا رايس) مستشارة الأمن القومي الأميركي، أن الولايات المتحدة تريد «تحرير العالم الإسلامي، ونشر الأسلوب الديمقراطي في ربوعه أولاً. وثانيًا تريد تغيير الأنظمة السياسية العربية». من هنا بدأ الحديث في أميركا، وفي ضوء تداعيات أحداث ١١ من أيلول ٢٠٠١ والمتمثلة بسلسلة الهجمات التي تعرضت لها مراكز القرار السياسي والاقتصادي والأمني الأميركي، يتجه نحو مطالبة الدول العربية والإسلامية بتغيير وتعديل المناهج الدراسية بحيث لا تتعارض مع «القيم والمفاهيم التي تنطوي عليها الثقافة الأميركية والغربية!!». ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل دعا المسئولون الأميركان إلى إلغاء المدارس الدينية، كونها تشكل من وجهة النظر الأميركية الرسمية، معامل لتفريخ العناصر المعادية للحضارة الغربية.

في السابع من آب ٢٠٠٣ عادت كونداليزا رايس مرة أخرى؛ لتتحدث عن المشروع الأميركي الخاص بالتغيير في الشرق الأوسط وذلك عبر مقال لها في صحيفة واشنطن بوست بعنوان (تأملات في التحول المنتظر بالشرق الأوسط)، جاء فيه أن الولايات المتحدة سبق لها أن تعهدت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بقليل، بتحويل أوربا في المدى البعيد، وقد التزمت بذلك مع الأوربيين بالديمقراطية والازدهار وما تمكنا من تحقيقهما اليوم يتعين على الولايات المتحدة وأصدقائنا وحلفائنا العمل من أجل تحقيق تحول في المدى البعيد في جزء آخر من العالم وهو الشرق الأوسط. وتضيف رايس إلى ذلك قولها إن

مهمة الولايات المتحدة الجديدة هي العمل مع قادة الشرق الأوسط الساعين للتقدم باتجاه ديمقراطية أكبر وتسامح وازدهار وحرية»[١٤].

تربط رايس بين حرب العراق الأخيرة وظهور فرص جديدة لما تسميه، فرصة خاصة للتقدم من أجل بلوغ أجندة إيجابية بالنسبة للشرق الأوسط، قادرة على تعزيز الأمن في المنطقة وفي كل العالم، وتقول لقد بدأنا نشهد التزامًا جديدًا من أجل تحقيق السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وأضافت أن الحل يكمن في نشوء دولتين: إسرائيل وفلسطين تعيشان جنبًا إلى جنب في سلام وأمن.

وفيما يتعلق بالعراق تقول إنه بالطريقة ذاتها التي حوّلت ألمانيا الديمقراطية إلى عنصر أساسي في أوربا، يمكن لعراق متحول أن يتحول إلى محور مهم في شرق أوسط مختلف.

تعترف رايس بأن مسيرة تحول الشرق الأوسط لن تكون سهلة، وستأخذ وقتًا من جانب الولايات المتحدة وأوربا، وأعادت رايس إلى الأذهان المبادرة الأميركية بشأن الشرق الأوسط، وقالت إن الرئيس الأميركي جورج دبليو بوش أطلق مبادرة خاصة بالشرق الأوسط، تهدف إلى أن نتحد في عملية بناء مستقبل أفضل عن طريق مشروعات ملموسة، وبالإضافة إلى ذلك اقترح إيجاد منطقة تجارة حرة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط، خلال عقد من الزمن؛ كي تشكل شعوب المنطقة دائرة أوسع للفرص، وتختتم رايس مقالها بالقول إن الشرق الأوسط، بالرغم من كل مشكلاته، يمثل منطقة فيها الكثير من القوى الكامنة؛ إذ

[14]- لمزيد من المعلومات انظر في أحمد يوسف أحمد، المواقف العربية من العدوان على العراق «أفكار أولية»، في: د.حسن نافعة، نادية محمود مصطفي «محرران»، العدوان على العراق: خريطة أزمة ومستقبل أمة، جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، مركز البحوث والدراسات السياسية، ١٩٩١، ص١٦-٣٩.

إنه مليء بأناس موهوبين بإمكانهم، عندما يتمتعون بحرية سياسية واقتصادية أكبر، وتعليم أفضل وأكثر حداثة، التمتع بتقدم عصرنا من أوسع أبوابه، والولايات المتحدة عاقدة العزم على مساعدة الشرق الأوسط عن طريق تطوير قواه الكامنة بكل طاقاتها، وهذا ما سنفعله؛ لأننا نريد حرية أكبر وفرصًا أفضل لشعوب المنطقة، وكذلك أمنًا للناس في الولايات المتحدة والعالم قاطبة »[١٥].

ووفقًا لتصريحات كبار المسئولين الأمريكيين، فإن إدارة الرئيس الأميركي بوش دعت في حزيران ٢٠٠٤ الحكومات العربية وحكومات دول جنوب آسيا؛ لتبني إصلاحات سياسية كبرى، ومنها إقامة نظم للمحاسبة فيما يتصل بانتهاكات حقوق الإنسان، وبالذات ما يتصل منها بحقوق المرأة، وكذلك العمل على طرح بعض الإصلاحات الاقتصادية، وفي الوقت نفسه سيتم توجيه الحوافز للدول التي تختار التعاون، وستعرض الدول الغربية توسيع فرص الارتباط السياسي، وتوسيع فرص المساعدات، وكذلك تسهيل شروط الاشتراك في عضوية منظمة التجارة العالمية، وتجميد بعض الإجراءات الأمنية تجاه رعايا الدول العربية والإسلامية، وإمكانية توفير شكل للشراكة في صنع السلام، تمامًا كما حدث مع دول الكتلة الشرقية السابقة. ولا يزال الرئيس الأميركي بوش وعدد من المسئولين الأمريكيين مستمرين في الحديث عن مشروعهم.

ففي ٦ تشرين الثاني ٢٠٠٣ ألقى الرئيس الأميركي بوش أمام الصندوق القومي للديمقراطية كلمة قال فيها: إن إنشاء منطقة تجارة حرة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط خلال عشر سنوات كافية لإدخال شعوب المنطقة في دائرة

---

[15]– لمزيد من المعلومات انظر في أحمد إبراهيم محمود، حرب الخليج الثالثة: الانعكاسات الإستراتيجية على البيئة الإقليمية، في أحمد السيد النجار، نكبة العراق: الآثار السياسية والاقتصادية، ص١٢–٦٥.

متسلسلة من الفرص، وأضاف: إن العالم يعيش عصرًا من الحرية، وأن الولايات المتحدة تنوي الالتزام بتعزيز الديمقراطية في الشرق الأوسط، على نحو مماثل لموقفها في أوربا وآسيا، ووجه الرئيس الأميركي تحذيرًا لسوريا وإيران. وقال إن قادة سوريا تركوا إرثًا من القمع والتعذيب والبؤس والخراب. ودعا الحكومة الإيرانية إلى أن تستجيب لمطالبة الشعب الإيراني بالأخذ بمبادئ الديمقراطية، وإلا ستفقد آخر محاولات التمسك بالشرعية، وأعرب عن اعتقاده بأن مبادئ الإسلام تتوافق مع المبادئ الديمقراطية، وأن ما يجري في بلدان الشرق الأوسط لا علاقة له بالدين الإسلامي، والأمر لايعدو أن يكون تخلفًا سياسيًا واقتصاديًا. وقال «إن نقص الحرية في الكثير من دول الشرق الأوسط يؤدي إلى آثار سلبية خطيرة على شعوب المنطقة، من بينها الفقر وحرمان النساء من حقوقهن الأساسية».

ووصف بوش سياسة الولايات المتحدة السابقة تجاه حكام سوريا وإيران وحتى مصر بأنها فاشلة وتساءل: (هل الشعوب في الشرق الأوسط بعيدة إلى حد ما عن الوصول إلى الحرية، أنا بالنسبة لي كشخص لا أعتقد ذلك). وقال إن السياسة الأميركية التي امتدت نحو ستين عامًا في تأييد حكومات لا تلتزم بالحرية السياسية لم تكن موفقة، وإن واشنطن قد تبنت (إستراتيجية مستقبلية جديدة للحرية في الشرق الأوسط).

في الوثيقة التي أعدها «مجلس السياسات الدفاعية» في وزارة الدفاع الأميركية بإشراف ريتشارد بيرل أيلول ٢٠٠٢، مسألة لا يمكن تجاهلها، وهي أن الولايات المتحدة الأميركية بعد احتلال العراق مصممة على صنع شرق أوسط جديد، وكما جاء في هذه الوثيقة: لن يبقى من النظام الإقليمي العربي إلا الذكريات

وأرشيف الملفات الخاصة، التي سيتم حفظها في مكتبة الكونغرس للمطالعة!! فما الذي سيفعله العرب إزاء ذلك؟!

مع انطلاق وكيل وزير الخارجية الأميركية المكلف بالشؤون السياسية (مارك غروسمان) في جولة هدفها شرح مشروع الشرق الأوسط الكبير، والتي بدأت في أواخر شباط ٢٠٠٤، صرّح السيد أحمد ماهر وزير خارجية مصر عقب اجتماع تحضيري لقمة شرم الشيخ العربية، قائلاً: لن ننتظر أحدًا كي يدلنا على الإصلاح ومضمونه ... نحن نرحب بأن يتعاون معنا من يريد أن يتعاون في الإصلاحات، لكنه شدد على أن الدول العربية، تقوم بالإصلاحات اقتناعًا بأهميتها، واستجابة لمتطلباتها الداخلية، وانطلاقًا من ثقافتها ودينها وتراثها«[16]».

في آذار ٢٠٠٤ انعقد اجتماع مجلس وزراء خارجية الدول العربية؛ حيثُ ناقش ورقة قدمتها كل من مصر والسعودية وسوريا، تشير إلى أن الإصلاح ينبغي أن يبدأ من الداخل، وأن ثمة خطوات إصلاحية قد بدأت في بعض البلدان العربية لكنها متفاوتة من حيثُ الوسائل والغايات. ومما قاله وزير الخارجية المصري يتضح أن إدخال إسرائيل وأفغانستان في مشروع إصلاح الشرق الأوسط ليس صحيحًا، فالمسألة ليست تجميع متناقضات.

ولقد دعا النقاد ذوو الاتجاهات اليمينية والمحافظة الأمريكيون في أعقاب إسقاط النظام العراقي، إلى تبني سياسة تغيير الأنظمة في كل من سوريا وإيران والسعودية والضغط على مصر، فيما شكك خبراء أمريكيون في شؤون الديمقراطية بنجاح خطط بوش وقال (توماس كاروثرز) الباحث في مؤسسة كارنيغي للسلام في دراسة نشرها مؤخرًا (إن أنظمة الحكم في الشرق الأوسط

---

[16]– صلاح عبد العاطي، مشروع الشرق الأوسط وتداعياته على الأمن القومي العربي، المرجع السابق ذكره.

قد تقبل بإصلاحات محدودة كوسيلة للحفاظ على قبضتها على السلطة، وليس من أجل الديمقراطية) «[١٧]».

ويصف المشروع صورة الشرق الأوسط الكبير، بوضعه الحالي حيثُ استند إلى تقارير التنمية البشرية للعالم العربي، ويقول إنها مُرّوعة، وتتضح القتامة بالظواهر التالية: أن مجموع إجمالي الدخل المحلي لبلدان جامعة الدول العربية الـ (٢٢) هو أقل من نظيره في إسبانيا،حوالي ٤٠ % من العرب البالغين ٦٥ مليون شخص، أميون، وتشكل النساء ثلثي هذا العدد، سيدخل أكثر من ٥٠ مليوناً من الشباب، سوق العمل بحلول ٢٠١٠، وسيدخلها ١٠٠ مليون بحلول ٢٠٢٠، وهناك حاجة لخلق ما لا يقل عن ٦ ملايين وظيفة جديدة لامتصاص هؤلاء الوافدين الجدد إلى سوق العمل، إذا استمرت المعدلات الحالية للبطالة، سيبلغ مجموع العاطلين عن العمل في المنطقة ٢٥ مليوناً بحلول ٢٠١٠.

يعيش ثلث المنطقة على أقل من دولارين في اليوم، ولتحسين مستويات المعيشة يجب أن يزداد النمو الاقتصادي في المنطقة أكثر من الضعف من مستواه الحالي الذي هو دون ٣ % إلى ٦% على الأقل.

في إمكان ٦,١ % فقط من السكان استخدام (الإنترنت)، وهو رقم أقل مما هو عليه في أي منطقة أخرى في العالم، بما في ذلك بلدان أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، لا تشغل النساء سوى ٥,٣ % فقط من المقاعد البرلمانية في البلدان العربية، بالمقارنة، على سبيل المثال، مع ٤,٨ % في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، عبر ٥١ % في أفريقيا من الشبان العرب الأكبر سناً عن رغبتهم في

---

[17] – جيف سيمو نزد، عراق المستقبل: السياسة الأمريكية في إعادة تشكيل الشرق الأوسط، بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٤، ص١٢–١٧

الهجرة إلى بلدان أخرى، وفقًا لتقرير التنمية البشرية للعام ٢٠٠٢ والهدف المفضل لديهم هو البلدان الأوربية.

ذكر المشروع أن تلك الإحصائيات، تعكس حقيقة مهمة، وهي أن المنطقة تقف عند مفترق طرق، ويمكن للشرق الأوسط الكبير أن يستمر على المسار ذاته؛ ليضيف كل عام المزيد من الشباب المفتقرين إلى مستويات لائقة من العمل والتعليم، والمحرومين من حقوقهم السياسية، ويمثل ذلك تهديدًا ليس لاستقرار المنطقة وحسب، وإنما للمصالح المشتركة لأعضاء مجموعة الدول الصناعية الثماني «[١٨]».

ويطرح المشروع البديل: أن الإصلاح هو الطريق الوحيد لمعالجة المشاكل الاقتصادية والتربوية والسياسية. ويربط المشروع بين مبادرتي (الشراكة الأوربية المتوسطية) و(مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط) من جهة، وما يسميه بـ (جهود إعادة الإعمار المتعددة الأطراف في العراق وأفغانستان)، ويقول إن ما يجري في العراق وأفغانستان يعد لمجموعة الثماني فرصة تاريخية، ينبغي أن تصوغ في قمتها شراكة بعيدة المدى مع قادة الإصلاح في الشرق الأوسط الكبير، خاصة وأن هذا المشروع يحظى بدعم وتأييد نشطاء وأكاديميين ورجال أعمال وممثلي القطاع الخاص في أرجاء المنطقة.

ويشير المشروع إلى أن مجموعة الدول الصناعية الثماني، تستطيع أن تتفق على أولويات مشتركة للإصلاح بحيث تعالج النواقص التي حددها تقريرا الأمم

---

[18]– جيف سيمو نزد، عراق المستقبل: السياسة الأمريكية في إعادة تشكيل الشرق الأوسط، المرجع السابق ذكره.

المتحدة حول التنمية البشرية عبر: تشجيع الديمقراطية والحكم الصالح، بناء مجتمع معرفي، توسيع الفرص الاقتصادية.

ويذهب المشروع بعيدًا في تفاصيل كل من البنود الثلاثة، فيرى أن الديمقراطية والحكم الصالح يشكلان الإطار الذي تتحقق داخله التنمية، فالديمقراطية والحرية ضروريتان لازدهار المبادرة الفردية، لكنهما مفقودتان إلى حد بعيد في أرجاء الشرق الأوسط الكبير. ويحرض المشروع الدول الصناعية؛ لكي تتبنى الفكرة، وتبدي تأييدًا واضحًا للإصلاح الديمقراطي في المنطقة، وذلك من خلال ما يأتي:

• التزام مبادرة الانتخابات الحرة، سواء في مجال الانتخابات الرئاسية أو البرلمانية أو البلدية مع البلدان التي تظهر استعدادًا جديًا لإجراء انتخابات حرة ومنصفة، ويمكن للمجموعة أن تقدم مساعدات تقنية لمرحلة ما قبل الانتخابات، وأن تشجع على الزيارات المتبادلة والتدريب على الصعيد البرلماني، وإنشاء معاهد للتدريب على القيادة خاصة بالنساء المهتمات بالمشاركة في التنافس الانتخابي على مواقع في الحكم، أو إنشاء منظمات المجتمع المدني غير الحكومية، هذا فضلاً عن تشجيع الإصلاح القانوني والقضائي «[19]».

ويُلفت المشروع الانتباه إلى ضعف وسائل الإعلام المستقلة في الشرق الأوسط وفي العالم العربي، ويقول إن هناك أقل من ٥٣ صحيفة لكل ١٠٠٠ مواطن عربي، بالمقارنة مع ٢٨٥ صحيفة لكل ألف شخص في البلدان المتطورة. وكما أن الصحف العربية التي يتم تداولها تميل إلى أن تكون ذات نوعية رديئة،

19– عبد الجليل محمد حسين كامل، «الشرق الأوسط الكبير، دراسة تحليلية مقارنة للمشاريع الأمريكية في المنطقة»، رسالة ماجستير، (جامعة القاهرة : كلية الاقتصاد والعلوم السياسية)، ٢٠٠٨، ص١٥–١٨.

ومعظم برامج التليفزيون في المنطقة، والذي تعود ملكيته إلى الدولة، تقليدية وغير مشوّقة وضعيفة؛ إذ تفتقر إلى التقارير ذات الطابع التحليلي الذي يقدم المعلومة الصحيحة. وقد أدى ذلك إلى غياب اهتمام الناس وقلة تفاعلهم مع وسائل إعلامهم سواء المطبوعة أو المسموعة أو المرئية. ويدعو المشروع إلى ضرورة رعاية زيارات متبادلة للصحفيين ووضع مناهج وتأسيس معاهد؛ لتدريبهم وتقديم زمالات دراسية للطلبة؛ كي يداوموا في مدارس للصحافة في المنطقة أو خارجها، وتنظيم ندوات تدريب بشأن قضايا مثل تغطية الانتخابات أو ما شاكل ذلك«[٢٠]». بأن الإصلاحات لابد آتية، ومن الطبيعي أنها ستحاول إصلاح ما أفسدته أنظمة الحكم العربية طيلة النصف قرن الماضي، ويقينًا أننا مع الذين يذهبون إلى أن الإصلاح والتغيير ينبغي أن يكون من الداخل، وأن العرب يعانون من نواقص كثيرة على صعيد التنمية والحرية وحقوق الإنسان والمرأة، كل هذه النواقص جاءت نتيجة ظروف داخلية وخارجية، يتعلق بعضها بطبيعة البنى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية الضعيفة، لكن البعض الآخر هو بسبب ما يواجهه العرب من تحديات، وأبرزها إهمال إسرائيل والمجتمع الدولي كله لحقوق الشعب الفلسطيني، وخاصة في مجال تقرير مصيره وإقامة دولته الحرة المستقلة.. وبدون حل هذه القضية فإننا نشك بقدرة العرب على التفاعل إيجابيًا مع المتغيرات الدولية الجديدة.

وفي هذا الإطار تجلت أطماع الغرب والولايات المتحدة الأميركية بالمنطقة العربية، ولقد كان للحرب الأميركية على العراق العديد من التداعيات السلبية والتي تمثلت في:

---

[20]- ياسمين أحمد إسماعيل، «الحرب على العراق في ضوء أحكام الشرعية الدولية.. دراسة سياسية قانونية لقرارات مجلس الأمن٢٠٠١-٢٠٠٤»، رسالة ماجستير، (جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ص١٧-٨٧.).

- ✓ تفتيت العراق مؤسسات وجيشاً، وإثارة الفتنة، وتفتيت النسيج واللُحمة الوطنية بين أبناء الشعب العراقي.
- ✓ نشر الثقافة والنزعة العرقية والطائفية.
- ✓ العودة بدلاً من الانتماء للدولة القومية للانتماء القبلي أو العرقي.
- ✓ تحقيق الغرب وإيران والولايات المتحدة الأميركية لمصالحهم بالعراق من خلال السيطرة على آبار النفط والمواقع الإستراتيجية.
- ✓ تدمير واحد من أهم وأكبر الجيوش العربية.
- ✓ ظهور جماعات مسلحة إرهابية متعددة، فلقد أصبحت العراق مرتعًا للإرهاب والجماعات المسلحة.

ومن هنا كانت العراق أرضًا خصبة لظهور تنظيم الدولة الإسلامية بها، وقبل البدء في أهداف داعش في مصر، والتي هي جزء من أهدافها العامة بالمنطقة العربية ككل، نستعرض أهداف ومصالح داعش في المنطقة العربية:

تم إنشاء داعش كبديل طائفي ضد الحكومة العراقية وضد إيران وسوريا في بغداد، فتكتيكات الولايات المتحدة كانت ولا تزال تتجه نحو نهاية اللعبة الإستراتيجية، فأمريكا تستخدم داعش بثلاث طرق، لمهاجمة أعدائها في الشرق الأوسط، وكذريعة للتدخل العسكري الأميركي في الخارج، بجانب استخدامها في الداخل لخلق تهديد محلي الصنع.

فداعش هي أداة يستخدمها الغرب لتفتيت الدول العربية وإنهاء الدول القومية بمنطقة الشرق الأوسط، وعموم الفوضى فيه لإعادة تشكيله مرة أخرى بما يتراءى مع مصالحهم في المنطقة، وهو ما أطلقت عليه كونداليز رايس الفوضى الخلاقة.

فمنذ انهيار الخلافة العثمانية في أوائل القرن العشرين، بذلت الدول الغربية قصارى جهدها لتقسيم العرب، ولكن التحالف السوري الإيراني يأتي ضد هذه العقيدة.

لذلك تحاول الولايات المتحدة الأميركية الآن تفكيك ما وصفه رئيسها السابق «جورج بوش» الابن بمحور الشر، والمتمثل في سوريا وإيران، وذلك بعد التقسيم الجغرافي للعراق، والذي يساعد فيه ملك الأردن «عبد الله الثاني»، حيثُ يظل الهدف الإستراتيجي للولايات المتحدة وحلفاء إسرائيل في الشرق الأوسط هو محاولة تغيير النظام في سوريا أو طهران.

وبالرغم من الحرب الدائرة بين فيما يُسمى قوات التحالف وداعش، ورغم ما تم تحديده من أهداف، حيثُ حدد وزير الدفاع الأمريكي شاك هاجل، ورئيس الأركان المشتركة مارتن ديمبسي في جلسة مجلس الشيوخ عددًا من الأهداف العملياتية لحرب الولايات المتحدة الأميركية على تنظيم داعش هي:

- قطع مسارات تمويل التنظيم.
- بناء تحالف دولي لضرب داعش.
- تدريب وتمويل المعارضة السورية لمواجهة داعش.
- دعم الجيش العراقي والبشمركة الكردية والعشائر السُنية لمواجهة التنظيم.

وهناك ملاحظات على هذه الأهداف تتمثل في:

• أن تدريب وتمويل المعارضة السورية لن يكون لمواجهة داعش، بمقدار ما سوف يكون ضد نظام الرئيس بشار الأسد، الذي لم تمل القيادات الأميركية الحديث عن أنه (يجب أن يذهب)، كلما بدرت إشارة إلى أنه جزء من الحل، بل وصرحت القيادات الأميركية بأنه سيظل جزءًا من المشكلة.

وفي هذا الإطار، ربما كان الجزء الأكثر وضوحًا وتفصيليًا في الخطة الأميركية للعمليات هو- فقط- ما يتعلق بضرب نظام بشار، أو تحجيم قدراته أو القضاء عليه؛ إذ وجهت القيادة الأميركية إنذارًا إلى سوريا بألا تحاول الطائرات السورية التحرك من قواعدها والتعرض للهجوم الجوي الأمريكي، وبما يثير بعض الشكوك- هنا- إذ إن أمريكا بعد رفضها (التنسيق) مع سوريا، تقيد الطيران السوري إزاء هجمات لم تتضح وجهتها أو أهدافها بعد.. ومن جهة ثانية فإن الإدارة الأميركية طالبت الكونجرس بخمسمائة مليون دولار من أجل تسليح المعارضة السورية وتمويلها وتدريبها، وتزويدها بأجهزة إلكترونية أثبتت فعالية في نوع البيئة والمعارك المنتظرة.

إن هذا هو الجزء الوحيد الذي تم إعلانه في ميزانية العمليات، والمدهش- كذلك- أنه اقترن بأن تطلب واشنطن من المملكة العربية السعودية تدريب خمسة آلاف من المعارضة السورية في المملكة، إذن هناك فاتورة أخرى للتدريب سوف تدفعها السعودية، ومرة أخرى فإن هذا هو الرقم المالي الوحيد المحدد؛ الذي يوحي بأن ما سوف يجري في سوريا هو الهدف الأساسي للعملية، وأن ما سوف يجري هنالك سوف يكون- في احتمال كبير- ضد نظام بشار بأكثر منه ضد داعش، أو فلنقل إنه لصالح الجيش السوري الحر بأكثر من أي اعتبار آخر.

• دعم الجيش العراقي والبشمركة الكردية والعشائر السُنية (هذا الهدف من أهداف الحملة الأميركية على الديار الشرق أوسطية هو أيضًا بوجهين): لأن تسليح أي من تلك الفئات الثلاث سيظل عامل خطر كبيرًا، طالما أنها مؤسسة على أوضاع طائفية ومذهبية وعرقية، والحقيقة أن ذلك الوضع تخلف عن تدبير مقصود لكل من جاي جارنر أو منْ أدار العراق بعد الغزو، وبول بريمر أول حاكم مدني للعراق بعد الغزو، ونوح فيلدمان واضع دستور العراق، وچيفري فيلتمان مهندس الحزازات في الرافدين كما فعل – نفسه – في لبنان بين قوى ٨ آذار، وقوى ١٤ آذار.

هؤلاء الرجال الأربعة هندسوا لاجتثاث حزب البعث وتفكيك وحل الجيش والشرطة، فانفرط الأساس القومي في البلد، وباتت المحاصصات الطائفية هي التي تحكم كل شيء، وعلى نحو راح شيئًا فشيئًا يمهد للتقسيم، وإن المرء ليتساءل كيف للحملة الأميركية على داعش أن تسلح العشائر السُنية، في ذات الوقت الذي تقيد فيه الميليشيات الشيعية (بدر – جيش المهدي – عصائب أهل الحق – المختار) التي كان المالكي يعتمد عليها، أو تشكل أساسًا للجهاد الكفائي الذي نادى به السيستاني، وكيف يمكن ضمان «سُنية» المعركة، فيما جزء من الجيش العراقي– بالقطع– شيعي، وكيف يمكن ضمان خضوع تركيا لإلزامات المعركة، فيما تنزع أمريكا إلى زيادة تسليح البشمركة الكردية (الجنود الذين لا يهابون الموت)، إن المسالة الكردية شديدة الحساسية بالنسبة للأتراك قياسًا إلى النزاع التاريخي الطويل بين تركيا وحزب العمال الكردي وزعيمه عبد الله أوجلان، كما أن تركيا المهزومة بثورة ٣٠ يونيو المصرية، التي أطاحت بحلمها في إحياء الخلافة، وبعث العثمانية الجديدة، ستجد نفسها وجهًا لوجه مع احتمالات نشأة كردستان الكبرى، التي تضم أجزاء من سوريا والعراق وتركيا

وإيران، يعني بدلاً من أن تتوسع تركيا ستجد نفسها مضطرة إلى التنازل للأكراد، الذين سيمنحهم التسليح الأمريكي تعبيرًا سياسيًا لابد أن يجعلوه سببًا في واقع يفسر فوق الأرض.

أما بالنسبة للجيش العراقي، فإن دعمه أو محاولة بنائه ستظل عصية؛ كون ذلك الجيش عاش لفترة طويلة من الزمن مسيسًا، ثم أنه في إعادة الإنشاء وجد نفسه ينبني على أساس آخر وهو المحاصصة الطائفية، ويخضع لسيطرة شيعية كاسحة، فرضتها إيران وعميلها الأول نوري المالكي، ومن ثم فإن فكرة دعمه ستكون في جوهرها دعمًا لطائفية أو مذهبية الجيش، الذي لم يعد مسيسًا كما كان، ولن يصبح قوميًا بين يوم وليلة، ومن هنا فإن استخدام جيش كذلك ضد جماعات سُنية (مهما كانت درجة وحشيتها)، سيظل محل انتقاد ويخضع لتفسيرات مذهبية بأكثر من منطق حماية الدولة، وفضلاً عن ذلك كله فقد كشفت عمليات اجتياح داعش لشمال العراق والموصل عن حجم بقايا جيش صدام الذي قاده عزة إبراهيم إلى التحالف مع الطريقة النقشبندية ثم مع تنظيم الدولة الإسلامية.

• بناء تحالف دولي لضرب داعش هو هدف ملتبس آخر ذو وجهين للحملة الأميركية؛ لأن التحالف في حقيقة الأمر كان أطلسيًا، تمخض عن مؤتمر الناتو الأخير في نيوبورت بإقليم ويلز البريطاني، وكل محاولات الترقيع التي تمت لإعطائه غطاء يثبت أنه تحالف (دولي) أو (دولي/ إقليمي) جاءت غير مقنعة، ولم يسندها أي تحرك حقيقي من جانب الدول، التي أرادت واشنطن التدثر بها أخلاقيًا ورمزيًا ومعنويًا؛ حتى تنفذ أهدافها الخفية؛ إذ تعرضت الحملة لاعتراضات – قبل أن تبدأ – لأنها اقتصرت (انتقائيًا) على مواجهة تنظيم داعش، فيما المنطقة تعج، وتغص بالتنظيمات الإرهابية، وعلى أية حال فكلها

كانت تنظيمات نشأت بتدبير وتحريض أمـــريكيين وتمويـــل قطـــري بـــأوامر واشنطن، ولكن الولايات المتحدة قررت مواجهة داعش بالذات، وهي تـــرفض مواجهة التنظيمات التي تحوط مصر من الشرق والغرب والجنوب متناسلة بغير حساب، وهي كلها التي سيتعرض جنوب أوروبا (شمال المتوســـط) لخطرهـــا المباشر، وبما يتقاطع مع عقيدة حلف الناتو القتالية التي صيغت بعد انهيار الكتلة السوفيتية، وحددت العـــدو البـــديل Implaceable – enemy (علـــى رأي برنارد لويس) في الإرهاب الإسلامي المتوطن جنوب المتوسط بالدرجة الأولى، وعلى الرغم من أن قوة أوروبا البحرية «اليوروفور» بـــين إيطاليـــا وإســـبانيا وفرنسا والبرتغال كانت توصف من قبل قادة أوروبا علـــى أنهـــا تعبـــر عـــن الشخصية الدفاعية للدول الشريكة فيها وهي مستقلة عن الناتو، فإنها قطعًا سوف تكون مفرزًا أول للاشتباك مع إرهاب جنوب المتوســـط؛ إذ لا يعقـــل أن كـــل مهمتها سوف تكون محاربة الهجرة غير الشـــرعية أو إنقـــاذ الغرقـــى الـــذين يحاولونها.

أمريكا لم تكسب تركيا – كذلك – المرعوبة من خطر الأكراد، والبائسة جدًا بسبب ضياع حلم العثمانية على يد السيسي، أما قطـــر فهـــي تـــدخل إلـــى التحالف في أسوأ أوضاع علاقتها مع أمريكا، وذلك بعد أن طالب إليوت أبرامز نجم المحافظين الجدد الكبير بسحب تنظيم قطـــر لكـــأس العـــالم، وبضـــرورة الانسحاب الأمريكي من قاعدة العديد؛ كون الدوحة قد مولت جماعات الإرهاب في جبهة النصرة وداعش.. يعني أمريكا هاجمت حليفتها قطر التي تحركت في كل شيء بأمرها، لمجرد أن واشنطن قررت تغيير وجهتها والهجوم على داعش صنيعتها المتوحشة. كل ذلك يشكك في تماسك ما تسميه أمريكا تحالفًا دوليًا.

• أما النقطة الأخيرة وهي (استهداف قطع مسارات تمويل التنظيم)، فهي أيضا ذات وجهين، لأن الأمريكان يودون أن يظل داعش على قيد الحياة وفي حالة ضعف؛ ليهددوا به دول الخليج ويبتزوها، ويناوئوا إيران والتنظيمات الشيعية سواء في ميليشيات العراق، أو في لواء أبو الفضل العباس في سوريا، أو في حزب الله بلبنان، وبناء عليه فإنهم لا يريدون – تمامًا – تجفيف موارد التنظيم المالية، وهم يعلمون (منذ تجربتهم مع ابن لادن وتنظيم القاعدة) أن هناك عشرات الوسائل الفنية التي يتم بها تهريب الأموال وغسيلها والتمويه على مصادرها بنحو لا يمكن اكتشافه، بل واستخدام أضلاع الجريمة المنظمة (المخدرات أو الدعارة أو سرقة الأعمال الفنية والتجارة فيها)؛ لتمرير أموال الإرهاب في مسارات سرية بالغة التعقيد لا يمكن للولايات المتحدة أو غيرها اكتشافها جميعًا.

وفي هذا الإطار تتجلى بوضوح خريطة مصالح تنظيم الدول الإسلامية بالمنطقة ككل:

- ✓ إسقاط النظم السياسية العربية وتفتيت الدول القومية
- ✓ نشر النزاعات الطائفية والعرقية والدينية
- ✓ السيطرة على المواقع والمصادر والموارد الإستراتيجية لدول المنطقة
- ✓ تفتيت الجيوش العربية
- ✓ إخضاع المنطقة لحالة حرب دائمة وشاملة من أجل تعزيز سوق السلاح العالمي والذي تعد الولايات المتحدة واحدة من أهم مصادره.
- ✓ تدعيم الجماعات المسلحة لاسيما الإسلامية

هذا الأهداف الحقيقية مخبأة تحت عباءة الشعارات والأهداف الدينية المعلنة والتي تتجسد في:

- ✓ تحقيق الخلافة الإسلامية الرشيدة
- ✓ والحكم بشرع الله
- ✓ إعادة العزة والكرامة للإسلام والمسلمين
- ✓ محاربة أعداء الله من الحكام المستبدين الذين لا يحكمون بشرع الله
- ✓ الدعوة لدين الله وفتح الدول غير الإسلامية
- ✓ إعادة المسلمين لدينهم الحنيف والاحتذاء بسلوك سيد الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
- ✓ محاربة كافة أشكال الغزو الفكري والثقافي القادم من الغرب

مما لاشك فيه أن هذه الأهداف تلقى هوى لدى قلوب وعقول العديد من الشباب المسلم بكافة أنحاء العالم لذا نجد أن من ينضم لداعش ليس فحسب مما يعانون من البطالة والفقر والتهميش والحرمان بل أيضًا من الشباب الذي ينتمي للطبقات التي تمتع بمستوى دخل مرتفع ولديه نزعات دينية.

فهذه الأهداف الدينية العليا تجذب الشباب المتدين أو الراغب في التدين، وبالتالي هذه الأهداف المعلنة قادرة على تحقيق الحشد والتعبئة للمسلمين من كافة بقاع الأرض.

في حين أن ما يتم إذاعته حول الوحشية التي يمارسها ذلك التنظيم قد جعلت الكثيرين يتراجعون عن التعاطف أو الميل لأهدافه ورؤيته، وهو ما جعل

داعش تتراجع في معدلات التأييد الذي كانت تحصل عليه عن بداية ظهورها وهذا مؤشر جيد لربما يكون عاملاً في اندثارها.

ومصر تأتي كحلقة مهمة في حلقات الأهداف الداعشية وذلك للأسباب التالية:

١- مصر الدولة الوحيدة التي أحبطت إلى الآن سيناريو الدولة الفاشلة، الذي رسمته لها الولايات المتحدة الأميركية، بينما نجح في اليمن وليبيا وسوريا على مقربة من هؤلاء الدول، لاسيما إذا وضعنا في الاعتبار حجم الدمار والخراب الذي قد لحق بسوريا.

٢- مصر تمتع بمكانة إستراتيجية لما لموقعها من أهمية جيو إستراتيجية مهمة تربط بين القارة الأفريقية والآسيوية، وتتحكم في معابر هامة للتجارة الدولية أهمها قناة السويس.

٣- الجيش المصري واحد من أهم الجيوش العربية، ولقد حافظ هذا الجيش على تماسكه ووحدته رغم كافة الفتن والأزمات المختلقة منذ ثورة الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١.

٤- الدولة المصرية رغم ما تُعاني لعقود طويلة من أزمات اقتصادية ومجتمعية، وسياسية، إلا أن مصر هي بوصلة العرب، فينما توجهت تتوجه معها الدول العربية لما لها من تاريخ ريادي في حماية الأمة العربية والإسلامية عبر التاريخ.

٥- بعد سقوط العراق وتدمير سوريا وتجزئة السودان، إشعال الفتنة في اليمن على الثروات والحكم، إشعال الحرب الأهلية في ليبيا لم يبقَ من جبهة الصمود العربي إلا مصر، وهي بوابة ودرع حماية الخليج العربي من التفتيت، فأصبح حماية الأمن القومي المصري جزءًا لا يتجزأ من حماية أمن الخليج، وهو ما يفسر الموقف العربي البطولي الذي وقفته دول

الخليج العربي مع مصر، والذي لا يقل أهمية عن دورها في دعم مصر في حرب ١٩٧٣.

٦- بقاء مصر موحدة يعطي أملاً ولو بصيصًا في عـودة الوحـدة العربيـة وحماية الأمن القومي العربي، لاسيما إذا ما توفرت لمصـر قيـادة ذات ميول قومية ووحدوية. وهذا ما يبدو في الرئيس المصري عبـد الفتـاح السيسي، حيثُ يشبهه الكثير من المصريين بالقائد الـزعيم جمـال عبـد الناصر.

جُل هذه الأسباب تجعل مصر في خريطة المصالح الداعشية وتعمل على:

٧- تحاول أن تضع لها قدمًا بمصر، فإذا لم تـتمكن فهـي تسـعى لإقامـة تحالفات مع جماعات إسلامية مسلحة تنتمـي لـنفس المظلـة الفكريـة والعقائدية، أو تتحالف مع جماعات تشاركها نفس الأهداف المعلنة أو غير المعلنة أو الاثنان معًا.

٨- تقديم دعم للعديد من الجماعات الإسلامية التكفيرية المسلحة سواء دعمًـا فنيًا بالتدريب أو دعمًا ماليًا أو لوجيستيًا.

٩- محاصرة مصر وتطويقها عبر تواجدها على حدود ليبيا وتهديدها لمصر لاسيما عبر معبر السلوم وارتباط بعض القبائل بمطروح بقبائل بليبيا.

على أن يُمثل ذلك إستراتيجية تحرك وعمل لتنظيم الدول المصرية لاختـراق مصر.

وبعد استعراض الأهداف الغربية والأميركية بالمنطقة، وكيف أنهم يتمكنـون من صناعة العديد من الجماعات الإرهابية لتحقيق أهـدافهم غيـر المعلنـة

بالمنطقة، وكيف أن داعش هي واحدة من هذه الأدوات والآليات، لتحقيق الأهداف الصهيو أمريكية بالمنطقة.

وأهمية المنطقة ككل لخريطة المصالح الداعشية، والتي هي بدورها خريطة مصالح الصهاينة والغرب والولايات المتحدة بالمنطقة ودور مصر في هذه الخريطة وإستراتيجيات داعش لاختراق مصر.

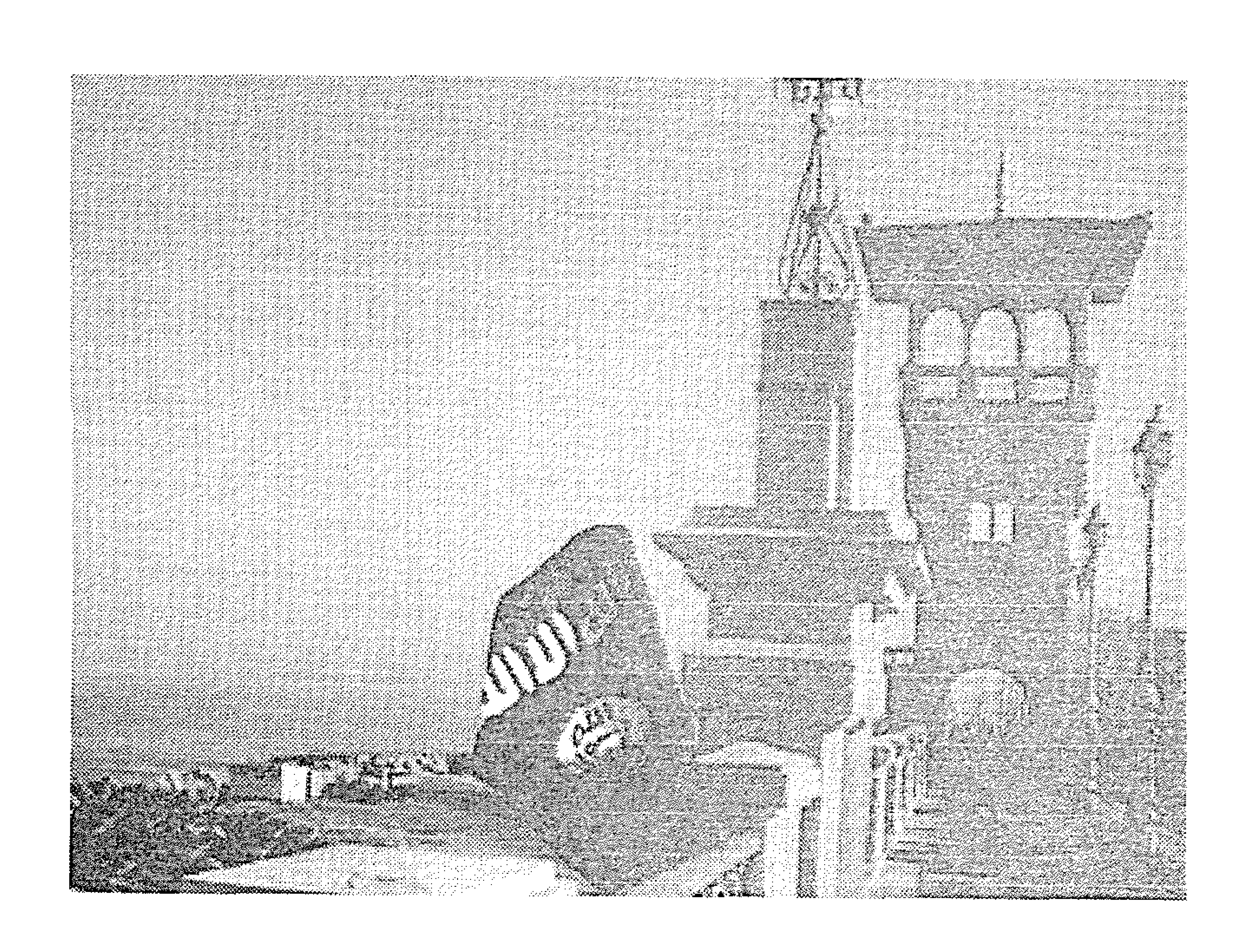
نجد أن تنظيم الدولة الإسلامية يقوم بالعديد من الصفقات والمحاولات؛ لكي يتحالف مع العديد من الجماعات الإسلامية التكفيرية بمصر، وهو ما يظهر في مبايعة أنصار بيت المقدس سابقًا ولاية سيناء حاليًا لتنظيم الدولة الإسلامية وخليفته أبو بكر البغدادي.

وإذا ما استمرت هذه التحالفات ستواجه مصر خطرًا وموجة إرهابية أشد من الموجة الحالية، التي لابد فيها على الجيش المصري أن يحترف فيها حرب العصابات والشوارع، وأن يصل لأعلى درجات الجهوزية، والأهم أن يلتف الشعب المصري حول قياداته وجيشه إلى حين مرور هذا التهديد الجاثم.

الفصل الثالث

الدواعش في مصر

يتناول هذا الفصل في مبحثــه الأول عرضًــا توضــيحيًا للجماعــات الإسلامية المسلحة في مصر، في عرض لنشأة هذه الجماعات وأسباب ظهورها وجذورها الفكرية وكيفية معالجته معها. ويتناول في مبحثه الثــاني الحــوادث الإرهابية الفارقة في الحرب على الإرهاب.



المبحث الأول: الجماعات الإرهابية المسلحة في مصر

ملامح الظاهرة

شاع الفكر التكفيري، وأريقت الدماء في مصر بلـــد الأزهـــر ومنبـــر الوسطية والفكر الإسلامي المستنير، وكان الفهم الخاطئ للآيات القرآنية سببًا في انحراف فكر الجماعات الإرهابية التي تكفر المجتمع وتستبيح الدماء. وفي ظل المواجهات الأمنية التي لم تعد تكفي لمواجهة هذا الفكر، فنحن بدورنا نتســاءل: هل نحن بحاجة إلى مراجعات ومبادرات فقهية جديدة للتصدي لفتاوى القتل باسم الدين، كتلك التي سبق أن أطلقها القادة التاريخيون للجماعــة الإســلامية فـــي السجون المصرية، وكانت سببًا في وقف نزيف الدماء؟!

تداول نشطاء مواقع التواصل الاجتماعي مقطع فيديو لقادة تنظيم الدولة الإسلامية بالشام والعراق «داعش»، وهم يهددون فيه باغتيال الرئيس عبد الفتاح السيسي، ومحاربة الجيش المصري، وقتل أقباط مصر، وإرســال انتحــاريين للأراضي المصرية.

كما هدد التنظيم بتحويل مصر إلى جحيم، قائلاً: «عندنا جهاديون يكفون أنهم يقلبون مصر جحيمًا، ونحن نستعين بالله عز وجل وتقاتل معنا الملائكــة، ولن ينجو من أيدينا أحد، وسنتخلص من السيسي؛ إذ إننا نعلم أن بيننا وبين فتح بيت المقدس قتل السيسي، وسنتخلص من الصليبيين نصارى مصر»، مضــيفاً: «ستتحول أجسادنا أشلاء في سبيل فتح بيت المقدس».

تداول نشطاء موقع التواصل الاجتماعي «فيس بوك»، صورًا نشــرتها وكالة الأنباء الإسلامية «حق»، التابعة لتنظيم الدولة الإسلامية المعروف إعلاميًا بـــ «داعش»، وتظهر الصور أعلامًا لتنظيم داعش مرفوعة بجوار أهرامـــات

الجيزة، وكوبري ستانلي بالإسكندرية. جدير بالذكر أن ضـباط الإدارة العامـة لشرطة السياحة، ألقوا القبض على أربعة روسيين، بينهم طالبان أزهريان، داخل المنطقة الأثرية بالهرم، سبتمبر الماضي، وتبين أن هواتفهم تحمل صورًا لتنظيم داعش، وتم الاشتباه بهم والتحفظ عليهم وإحالتهم إلى النيابة العامة«[٢١]».

أعلنت جماعة أنصار بيت المقدس في مصر الاثنين انضـمامها إلـى داعش في العراق والشام ومبايعة أبوبكر البغدادي.

حيثُ أذاعت في كلمة مسجلة صوتيًا أذيعت في صفحة على تويتر تنشر الجماعة بياناتها فيها «القسم الإعلامي لجماعة أنصار بيت المقدس يقدم كلمـة صوتية بمبايعة ما يسمى خليفة المسلمين أبوبكر البغـدادي وانضـمامها إلـى داعش»، حيثُ نشرت الكلمة على أكثر من موقـع يتـابع بيانـات الجماعـات المتشددة.

كان بيان نشر على موقعين في الثالث من نوفمبر الحالي نسب للجماعة التي تنشط في محافظة شمال سيناء مبايعتها للدولة الإسلامية، لكنها نفـت فـي اليوم التالي إصدار البيان، وقالت إنه لا صلة لها به وإنه لم ينشر في الصـفحة التي تديرها على تويتر.

وكانت مصادر أمنية مصرية قالت قبل أسابيع إن جماعة أنصار بيـت المقدس أقامت صلات مع داعش. وفي نفس الوقت نشرت الجماعة تسـجيلات مصورة لقطع رؤوس أشخاص قالت إنهم تجسسوا عليها لمصـلحة إسـرائيل، وهي طريقة للقتل يتبعها تنظيم داعش الذي سيطر على أجزاء واسعة من العراق وسوريا منذ يونيو.

---

[21]- الموقع الإلكتروني لجريدة المصريون، http://almesryoon.com/%D8% تاريخ الإطلاع ٢٠١٤/١١/١٢

وتشنّ جماعة أنصار بيت المقدس منذ سنوات حملة ضد الحكومة، أودت بحياة المئات من قوات الأمن في شبه جزيرة سيناء وخارجها. وقالت السلطات المصرية إن الجيش والشرطة اللذين يشنان حملة على الجماعة قتلا مئات من أعضائها«٢٢».

تحت عنوان «الذئاب المنفردة» وزّع تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام «داعش» منشورًا على عناصره، يتضمن تفاصيل خطة التنظيم الإرهابي التي أعلن أنه يعتزم تعميمها خلال الفترة المقبلة، واصفًا إياها بأنها تتضمن جوانب كثيرة ومهمة تساعد على إنجاح العمل الجهادي وعلى تسديد ضربة مؤذية وقوية.

المنشور يقول: «إن «الذئب المنفرد» لا يملك تنظيمًا ينتسب إليه ويسيّره ويعطيه الأوامر ويرشده ويزوّده بالسلاح والمال، فهو شخص وحده يخطط وينسق وينفذ، وكل خطوات العملية تتم بيده من غير معرفة أحد، ولا علم لأحد بها، متابعًا أن هذه العمليات الفردية تسبب إحباطًا وارتباكًا لدى أجهزة الدولة، لأنه لا يمكنهم التوصل لأفراد الجماعة والتنظيم والبحث عن الخيوط لإحباط أي عمل ثان أو إيقاف المنفذين الذين خططوا وجهزوا ونفذوا وإنما الأمر كله تم بشخص».

وبرر المنشور الذي أصدره التنظيم لقياداته في جميع الدول العربية، واستهدف تعميمه في مصر على وجه الخصوص اللجوء لخطة «الذئاب المنفردة»، بما وصفه بحدة التضييق الأمني على المجموعات الإرهابية داخلها، مشيرًا إلى أن تحرك عناصر أكثر سيكون لافتًا، وسيقضي على أي تنظيم قبل تكوينه، «كما أن

---

[22]- الموقع الإلكتروني للعربية، http://www.alarabiya.net/ar

تواجد شباب أكثر سئموا من السلمية سبب اللجوء إلى هذه الخطة». وبأنـــه مـــا زالت المعركة مستمرة وهي في أوجها وعظمتها بين الحـــق والباطـــل.. بـــين عساكر الشيطان وأوليائه وبين عساكر الإيمان وأنصاره بين جند التوحيد وبـــين جند الطاغوت.

وأكد المنشور الذي يتم تداوله بين عناصر التنظيم، أن المعركة هـــي معركـــة عقائدية بحتة، متهمًا كل من يشكك في أن المعركة عقائدية بأنه واهم ولا يعيش الواقع وأبعد ما يكون عنه واستطرد: «من يظن أن أمريكـــا لا تقاتلـــك لأجـــل عقيدتك، فقد أخطأ الحسابات والموازين؛ وحتى لو كانت أمريكا تقاتلنـــا لأجـــل مصلحتها وكيانها ونفوذها، فهي تستهدفك لأجل عقيدتك؛ لأن هذه العقيدة هي من تشكل الخطر».

ووجه التنظيم حديثه لأعضائه في هذا المنشور قائلاً: «أقل ما عليك فعلـــه الآن إن لم يتوفر لك طريق للنفير والذهاب لثغور الجهاد، هو أن تعد نفسك للمعركة سواء إعدادًا إيمانيًا أو بدنيًا أو علميًا أو عسكريًا وأي وجه آخـــر مـــن أوجـــه الإعداد التي من شأنها أن تفيدك في المعركة، فكما نعلم أن الإعداد فريضة على كل مسلم حتى في وقت السلم، فكيف بوقت الحرب وحينما يصول العدو في ديار المسلمين منتهكًا للأعراض؟ وقتها نكون نحن إرهابيين والإرهاب فريضة فـــي الدين».

واعتبر المنشور أن أهم وأقوى وأجلّ أنواع الجهاد في الزمن الحالي هو الجهاد الفردي المنفرد «الذئب المنفرد» وفيه فائدة كبيرة ونتائج جيـــدة فـــي القضـــية الجهادية والإسلامية، ففيه يكون المسلم الموحد المجاهد قنبلة موقوتـــة، تنضـــج على نار هادئة، لا يعرف الكفار متى تنفجر عليهم وبأي لحظة وكيف»، محددًا لأنصاره ما يجب عليهم أن يفعلوه؛ كي يكون كل منهم «ذئبًا منفردًا».

ومن ذلك اللجوء إلى «أن تخفي تـديتك واسـتقامتك؛ ولأن الأجهـزة الأمنيـة والمخابرات دائمًا ما تراقب المساجد، فالأفضل أن تقلل ذهابك للمساجد، فمـثلاً أن تصلي أيامًا ولا تصلي أخرى في المسجد، وألا تصـلي السـنن والنوافـل بالمسجد؛ لأنه غالبًا ما يكون هناك لأجهزة الأمن عيون، والشـخص الملتـزم بالفرائض بوقتها، والسنن علامة عندهم على التديّن والالتزام»، وتابع المنشور موصياً أتباع التنظيم بحلق اللحية وعدم إطلاقها «على الأقل في الفترة التي تبدأ بها للتخطيط في العمل؛ لأنك مضطر لذلك، وإذا ما حلقت لحيتك، أو تركت سنة من السنن أو أي شيء ديني ظاهر من ملبس أو تصرفات أو كلام، فـإن هـذه الخطوات تبعد الشبهات عنك».

شدد التنظيم على ضرورة أن يكون «الذئب المنفرد» على دراية وعلم بجميـع المواد المتفجرة وكيفية تكوينها، وأن يلتزم بعدم البوح بأي معلومـات لـلأم أو الزوجة أو الأخت، موضحًا أن «الذئب المنفرد لا يمكن لأي جهاز مخابراتي أن يتنبأ بما سيفعل وأين ومتى ومنْ هو أصلاً؛ لأنه في التنظيمات المسلحة عادة ما تكون المخابرات لها خيوط أو تتبع لبعض أفراد التنظيم أو تراقب فردًا مـنهم، وتراقب بمن يتصل وبمن يلتقي»، مبيناً أن الأهداف كثيرة وواسعة، يمكـن أن يستهدفها الذئب الجهادي المنفرد، ولا يمكن حصرها بعدد أو نوع معين، ملخصًا أهم هذه الأهداف في المفاصل الحيوية والرئيسية للدولة من برلمانات ووزارات الدولة؛ وخصوصًا السيادية «وزارة الـدفاع والداخليـة والخارجيـة والأمـن القومي»، وكذلك وزارات هي عصب الدولة مثل وزارة المالية والبترول».

تابع المنشور أن من الأهداف كذلك المجمعات الحكومية؛ وخصوصًـا الأمنيـة منها، وكذلك الشركات التجارية الحكومية الداعمة لسياسـات تلـك الحكومـة وأجهزة الإعلام، وما يؤدي إلى غضب الشعب والشارع ضد حكومتهم ويقومون

بالضغط عليهم، خاصة إن تم استهداف ما يخدمهم، ويهدم مصالحهم، وعرفوا على سبيل المثال أن الاستهداف لمحطات الطاقة التي تزودهم بالكهرباء أو محطات المياه، جاء بسبب سياسات حكومتهم الظالمة المعتدية على منفذي العملية «فلا شك أن هذا يخلق جوًا من الضغط والتنافر بين الشعب والحكومة، وهذا أكثر ما يخدمهم».

أكد التنظيم ضرورة اللجوء إلى الاغتيالات، وأن تستهدف تلك الاغتيالات نوابًا في البرلمان أو وزراء في الدولة أو جنرالات وضباط جيش وأمن ومخابرات، وكذلك اغتيال رجال أعمال ورؤساء شركات تدعم الحكومة.«[23]»

وعلى الصعيد نفسه أكد اللواء هاني عبد اللطيف الناطق باسم وزارة الداخلية المصرية أن قطاع الأمن ضبط خلايا إرهابية مرتبطة بـ«داعش» في محافظة دمياط.

وأشار إلى أن أعضاء الخلايا «اعترفوا بمغادرتهم مصر إلى تركيا وتسللهم منها إلى سوريا، والانضمام لأحد المعسكرات الإرهابية، وتلقيهم التدريبات البدنية والفكرية والعسكرية ودورات متخصصة في إعداد العبوات المتفجرة والمشاركة في تنفيذ عمليات إرهابية».

وأفاد الناطق باسم الوزارة أن الأجهزة الأمنية تمكنت من ضبط أربع خلايا إرهابية «ضمت ٣٤ عنصرًا بحوزتهم عبوات ناسفة وأسلحة نارية وبيضاء وكميات من الذخائر وكميات كبيرة من المواد الكيميائية وأدوات تصنيع العبوات الناسفة وزجاجات مولوتوف معدة للاستخدام وألعابًا نارية وأجهزة لاسلكي وكومبيوتر وكاميرات تصوير وعددًا كبيرًا من الهواتف المحمولة». وأضاف

---

[23]- الموقع الإلكتروني لجريدة اليوم السابع، http://www.youm7.com/story

اللواء عبد اللطيف أن «المتهمين متورطون في ارتكاب العديد مــن الحــوادث الإرهابية.»[24]

لقد ظهر الفكر الجهادي في مصر منذ سبعينيات القرن الماضي، وقويت شوكته بعد مقتل السادات، وقد تشكلت النواة الأولى لتنظيم القاعدة في ذلك الحين على الأراضي المصرية، ومنه انتقل إلى أفغانستان للجهاد ضد قوات الاتحاد السوفيتي، وخلال التسعينيات شهدت مصر عددًا من الأعمال الإرهابية، لم تلبث أن عادت مرة أخرى بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ من خلال التفجيرات المتكررة لخطوط الغاز المتجه لإسرائيل والأردن.

ولا نستطيع إنكار أن «سيناء» أصبحت على الخريطة الجهادية منذ مطلع التسعينيات وحتى الآن، ولكن ما حدث من مراجعات لبعض الجماعات، وملاحقة الأجهزة الأمنية للباقي، واعتقال بعض قياداتها في فترة حكم مبارك- جعلها لفترة ليست بالطويلة بمنأى عن أن تكون خاضعةً للجماعات الإرهابية بشكل كامل، ولا نستطيع أن ننكر أيضا أن البيئة البدوية والأيديولوجيات الفكرية المحيطة والإهمال التنموي واتفاقية كامب ديفيد، كلها عوامل أسهمت في خلق بيئة تسمح بتعايش أصحاب الاتجاهات المتشددة والأفكار المتطرفة بمنطقة شمال سيناء؛ ما جعل سيناء تجمع ما بين مناخ ملائم لنمو التطرف، ومنطقة لتصدير الإرهاب، حيثُ أصبحت السيطرة على أصحاب الأفكار المتشددة والجماعات المتطرفة أمرًا من الصعب تحقيقه، وهو ما دفع جماعات الجهاد المسلح، بمختلف انتماءاتها الفكرية، في تكرار محاولاتها إلى فرض سطوتها على المنطقة وإعلانها إمارة إسلامية وفرض السيادة عليها، وهو الأمر الذي تم إعلانه مؤخرا من قبل جماعة «أنصار بيت المقدس».

[24]- الموقع الإلكتروني لوكالة رويترز.

شهدت الجماعات الإسلامية في سيناء انشقاقات وولادة تشكيلات جديدة، خلال السنوات الأولى من هذا القرن، فاختفت جماعة التوحيد والجهاد، عن طريق اندماجها بـــ«أنصار بيت المقدس»، ولكن في الوقت نفسه شهدت الساحة ولادة أربعة تنظيمات مسلحة هي: مجلس شورى المجاهدين، والتي أصبحت تعرف بـــ«أكناف بيت المقدس»، و«السلفية الجهادية»، و«جند الإسلام»، و«أنصار بيت المقدس»، لم يُعرَف عن الأول أية توجهات لمهاجمة قوات الجيش والأمن، بل تكريس جهوده لمهاجمة الإسرائيليين عبر الحدود أو عملائهم في شمال سيناء، أما التنظيمات الثلاثة الأخرى، فالواضح أنها جمعت بين استهداف الإسرائيليين وقوات الجيش والأمن المصريين على السواء، بدأ هذا الاستهداف قبل ثورة ٢٠١١، واستمر خلال حكمي المجلس الأعلى للقوات المسلحة ومحمد مرسي.

وعلى الرغم من أن هذه الجماعات غير معروفة بدقة من حيثُ التنظيم والانتظار والكثافة العددية، لكنها معروفة من حيثُ الأفكار والأيديولوجيات، وقد بدأت تعلن عن نفسها ومسئولياتها عن الحوادث التي ترتكبها بشكل صريح؛ مستغلة في ذلك حالة الفراغ الأمني التي تعيشها منطقة الشريط الحدودي، وانشغال الجيش والشرطة في حماية الأمن الداخلي للبلاد.

يمكن إرجاع تمركز تلك الجماعة في شبه جزيرة سيناء إلى عدد من العوامل، في مقدمتها: هشاشة الوضع الأمني في سيناء؛ حيثُ وضعت اتفاقية السلام مع إسرائيل الموقعة عام ١٩٧٩ قيودًا صارمة على الوجود العسكري المصري المسلح في شبه الجزيرة؛ ما أدى إلى فراغ أمني كبير، ساعد في نشاط الجماعات الإجرامية والإرهابية، ويؤخذ في الاعتبار العوامل المتعلقة بمثالب الفكر الأمني والسياسي في التعامل مع مشكلات سيناء.

كما ساعدت جغرافيا سيناء الوعرة والمدن والقرى المهملة المصريين العائدين من أفغانستان وباكستان على دراسة الحالة الأمنية؛ ليجدوا سيناء مجالاً خصبًا للعمل، خاصة أنها تتقارب في الطبيعة مع أفغانستان؛ لتكون مساحة خصبة لتنفيذ أهداف القاعدة بها، لكن الطابع القبلي لأهالي سيناء حال بينهم وبين الاندماج مع المجتمع المصري السيناوي؛ ما أوجد نوعًا ما فجوة لم يتم سدها حتى وقت قريب، كل تلك الأمور أسهمت بشكل كبير في جعل سيناء بؤرة إرهابية خاصة للجماعات المتشددة.

وتفاقمت معضلة سيناء الأمنية عقب حالة الانفلات الأمني التي شهدتها مصر عقب ثورة يناير وما بعدها؛ ما أدى لتنشيط جماعات العنف داخلها، في ظل هروب ناشطيها عند فتح السجون، واستخدامها للسلاح المهرب من ليبيا عبر صحاري سيناء، إلى جانب قرارات الرئيس مرسي بالعفو عن عشرات السجناء المدانين بأحكام قضائية من عناصر تلك الجماعات؛ نظرًا لدورهم في عمليات إرهابية، والتي هرعت للعيش في جبال شبه الجزيرة.

خريطة الجماعات الجهادية والتكفيرية في سيناء

شئنا أم أبينا، فإن سيناء أصبحت بؤرة من بؤر الإرهاب في المنطقة العربية، وأصبحت خريطة سيناء تنقسم في الواقع، بين الجماعات الإسلامية المنتشرة فيها إلى أربعة أقسام:

أولاً.. التيار السلفي: وهو أقدم التيارات الإسلامية وأوسعها انتشارًا بمختلف مناطق سيناء، وقد تأسس أواخر السبعينيات على يد القيادي «أبي إسلام»، وله عدة مسميات، منها: «الجماعة السلفية»، أو «أهل السنة والجماعة»، ويحظى هذا التيار بشعبية كبيرة بين بدو سيناء؛ نظرًا لاقترابه من الطبيعة البدوية التي تميل إلى التدين والزهد والتقشف، وتتدرج أفكار هذه الجماعات من الوسطية إلى

التشدد، لكنها لا تقبل حمل السلاح والقتال، وإنما تدعم القضية الفلسطينية بصور أخرى مختلفة، منها جمع التبرعات ونقل البضائع والمواد الغذائية عبر الأنفاق، وصولاً إلى نقل السلاح، وهي تنتشر بمعظم مدن سيناء، كما ينتشر أصحاب الفكر السلفي في المدن والمراكز الرئيسية، ويتمركزون بشكل أساسي في مدينة العريش، إضافة إلى مدن الشريط الحدودي: رفح والشيخ زويد، فضلاً عن مراكز وسط سيناء.

ويحظى قادة التيار السلفي باحترام أبناء سيناء وتقديرهم، على عكس بعض الجماعات الأخرى التي تثير خوف الأهالي، خاصة الجماعات التكفيرية التي تميل إلى العنف.

ثانيًا.. الرايات السوداء: بدأت تلك الجماعة نشاطها بـــ«وسط سيناء» و«الشريط الحدودي»، وأعلنت عن نفسها في العريش، مستغلة حالة الفراغ الأمني التي عانت منه سيناء، وأطلقت على نفسها اسم «تنظيمات الرايات السوداء»، وهي جماعات تتبنى أفكارًا قائمة على تكفير الحاكم الذي لا يطبق شرع الله، وتتسحب على منْ دونه من أركان نظام حكمه، وصولاً إلى قاعدة المجتمع البعيدة عن شرع الله، ونشطت هذه الجماعة في عقد التسعينيات، ويمكن القول إن هناك تشابهًا كبيرًا في أفكار الجماعات التكفيرية المختلفة، وذلك دون أن يجمعها إطار تنظيمي واحد.

ويطلق أهالي سيناء على أعضاء هذا التنظيم اسم «التكفير والهجرة»، أو «التكفيريين»، وتنتشر هذه الجماعات بالمنطقة الحدودية ووسط سيناء، بل وفي بعض المناطق بمدينة العريش، حيثُ أعلنت إحدى هذه الجماعات عن نفسها بعد ثورة يناير.

ولا ترى الجماعات التكفيرية غضاضة في استهداف المدنيين؛ كونهم أبناء مجتمع كافر لا يقيم حدود الله، وتسبب بعضها في إثارة الفزع بمناطق مختلفة

بالعريش خلال الأشهر القليلة الماضية، بعد تعديها على بعض المواطنين وأصحاب المحال، ودعوة بعضها لتطبيق الشريعة بالقوة؛ لذلك لا يحظى أبناء هذه الجماعات بأي تعاطف من أبناء سيناء.

وينتشر العدد الأكبر من هذه الجماعات في المنطقة الحدودية، خارج المدن، وفي منطقة الوسط، ويمتلك معظمها أسلحة، لكن بشكل غير تنظيمي، ودون تدريب منظم كالذي تتلقاه الجماعات الجهادية، وتميل معظم الجماعات التكفيرية في سيناء إلى الانغلاق على نفسها، ولا تميل إلى الاتصال تنظيميًا بأي جماعات إسلامية أخرى، وتقوم أفكارها على تكفير جنود وضباط الشرطة والجيش بشكل واضح، باعتبارهم جنود الحاكم الكافر، وأدواته لتوطيد حكمه المخالف للدين والشريعة، حسب أفكارهم، لكنهم لم يعلنوا مسؤوليتهم عن أي من العمليات التي استهدفت قوات الجيش والشرطة بالمنطقة الحدودية على مدار الأشهر الأخيرة، وإنْ أشارت أصابع الاتهام إليهم في بعض الحالات.

ثالثًا.. الجماعات الجهادية: تنتشر هذه الجماعات في «رفح» و«الشيخ زويد»، وتتلقى تدريبات عسكرية شبه منتظمة، وتنقل السلاح للجهاديين الفلسطينيين، وتتبنى تلك الجماعة أفكار تنظيم القاعدة، التي تقترب من فكر الجماعات الإسلامية فيما يخص الجهاد باعتباره الفريضة الغائبة عن حياة المسلمين، والهدف من الجهاد من وجهة نظر هذه الجماعات إقامة الدولة الإسلامية، وإعادة الإسلام إلى المسلمين.. ولا تأخذ الجماعات الجهادية في سيناء شكلاً تنظيميًا واحدًا، حيثُ يتواجد عدد كبير من الجماعات الجهادية مختلفة المسميات والأهداف، أشهرها وأكبرها «الجهاد والتوحيد» و«أنصار الجهاد» و«السلفية الجهادية»، وأحدثها تنظيم «مجلس شورى المجاهدين» والمعروف مؤخرًا باسم «أكناف بيت المقدس».

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أعضاء هذه الجماعات يحملون السلاح، ويتلقون تدريبات عسكرية شبه منتظمة على يد بعض أعضاء الجماعات الجهادية الفلسطينية، حيثُ يتصل عدد من هذه الجماعات بجماعات جهادية فلسطينية.

وفيما يلي عرض لأهم الجماعات الإسلامية المسلحة في مصر، والتي اتخذت من العنف وسيلة للتأثير ولتحقيق أهدافها. جدير بالذكر اتفاق هذه الجماعات التي سيتم ذكرها في التالي:

- ☒ أن كافة هذه الجماعات اتخذت
- ☒ أنصار بيت المقدس – ولاية سيناء من العنف وسيلة لتحقيق أهدافها وللتأثير على النظام السياسي.
- ☒ أن كافة هذه الجماعات تتخذ من الفكر الديني الإسلامي شعارًا لأهدافها ووسيلة للحشد والتعبئة.



أن كافة هذه الجماعات لها أجندات خاصة، ولديها اتصالات بدول لهــا أهــداف ومصالح في مصر وهذه الدول تقوم بإمدادها بالتمويــل والتــدريب والســلاح اللازم.

تعود جماعة «أنصار بيت المقدس» في جذورها إلى الجماعات الإسلامية في شبه جزيرة سيناء، التي توجهت إلى حمل السلاح منذ تسعينيات القرن الماضي، ويرجع تأسيسها وصولاً للشكل الذي أصبحت عليه الآن، إلى يد الجهادي هشام السعيدني، كطور جديد من جماعة «التوحيد والجهاد»، والتي قامت بتفجيرات «شرم الشيخ» و«دهب» و«نويبع» قبل ١٠ سنوات في عام ٢٠٠٤، وكان السعيدني أميرا لها آنذاك، وكلتاهما- الأنصار والتوحيد- على علاقة عضوية بما يُسمى «مجلس شورى المجاهدين أكناف بيت المقدس»، الذي يضم تحالف تنظيمات جهادية في القطاع، ولم تخفيا تطابق توجههما الفكري، ومرجعيتهما، مع تنظيم «القاعدة»، المُصنف إرهابيًا في جميع دول العالم، عدا «إمارة غزة»، الملاصقة لسيناء المصرية، حيثُ نشاط الجماعة الرئيسي.

مثل جميع التنظيمات الجهادية، لا تعرف «بيت المقدس»، حدودًا جغرافية لعضويتها، فهي تضم عناصر من جنسيات عدة، في مقدمتها القادمون من غزة، حيثُ الجذر الأساسي لها، وتضم ليبيين ويمنيين ومصريين وسودانيين وعراقيين، وجنسيات أخرى غير عربية.

أعلنت أول بيان لها بعد ٢٥ يناير ٢٠١١، بعد دمج جماعة «التوحيد والجهاد»؛ لتنشط على الشريط الحدودي بين مصر وغزة، وفي أعقاب الثورة تخصصت في تفجير خط تصدير الغاز المصري لإسرائيل والأردن، والتي وصل عدد عملياتها إلى ٢٠ عملية تفجير لخط الغاز، و٥٠ هجومًا انتحاريًا على الكمائن الثابتة، خاصة كمين «الريسة»، وذلك في ابتزاز واضح من التيار

الإسلامي (خاصة جماعة الإخوان) للمجلس العسكري أثناء فترة حكمه الانتقالية، العمليات التي توقفت مع وصول الإخوان لسدة الحكم، وتولي الرئيس المعزول محمد مرسي الرئاسة.

أعلنت جماعة أنصار بيت المقدس مبايعتها لتنظيم الدولة الإسلامية داعش، ودعت جماعة «أنصار بيت المقدس» نقل عملياتها من سيناء إلى القاهرة، لإشغال النظام؛ لتصبح سيناء قاعدة خلفية للعمليات الإرهابية مع تحديد أهداف تلك العمليات من خلال استهداف مقرات الدولة وضرب مقرات الحكومة المصرية.

ولم تكتف جماعة «أنصار بيت المقدس» بإعلان مبايعتها لتنظيم «داعش»، بل دعت مناصريها من المنظمات المتطرفة في غزة وليبيا وسائر بلاد المغرب والمشرق للقيام بمبايعة التنظيم المتطرف.

قالت الجماعة في البيان الذي نشر على الإنترنت: «نحن اليوم وبعد أن توكلنا على الله تعالى واستخرناه، قررنا مبايعة أمير المؤمنين أبي بكر القرشي الحسيني البغدادي خليفة للمسلمين عامة في العراق والشام وفي سائر بلاد المسلمين».

ثم جاءت في اليوم التالي ونفت هذا البيان فيما يتعلق بمبايعتها لتنظيم الدولة الإسلامية، وربما يعوز تفسير هذا الموقف لـ:

أن بيان أنصار بيت المقدس الخاص بمبايعة «داعش» لم يصدر من القيادة العامة للتنظيم، وإنما صدر عن مجموعة تابعة له، أرادت وضع القيادات أمام الأمر الواقع فيما يخص انضمامه رسميًا لـ «داعش».

وأن تنظيم «بيت المقدس» يواجه انقسامًا داخليًا؛ إذ تذهب بعض عناصره إلى الانضمام لداعش والأخرى تفضل عدم الإعلان الرسمي عن ذلك مخافة توقف إمدادات القاعدة من مال وسلاح، بحكم كون «القاعدة» و«داعش» على خلاف. وأن المجموعة التي أعلنت مبايعتها لـ «داعش» فعلت ذلك نكاية في الدولة المصرية بعد الحملة الشرسة التي قادتها على الإرهاب في سيناء.

لكنه مما لاشك فيه أن جماعة أنصار بيت المقدس تدين بالولاء لتنظيم الدولة الإسلامية داعش، ودلالات ذلك تجلت في التسجيل المرئي الذي أذاعه التنظيم، واستعان فيه بمقاطع صوتية منسوبة لـ«العناني» المتحدث الرسمي باسم «داعش»، وتسجيل آخر مرئي أيضًا ظهر فيه أبو بكر البغدادي خليفة «داعش»، بالإضافة إلى انتهاج أنصار بيت المقدس نهج قطع الرقاب في إحدى العمليات مؤخرًا«[٢٥]».

أهم العمليات الإرهابية لأنصار بيت المقدس

- الجماعة قامت بتفجير العديد من الخطوط التي تحمل الغاز بين مصر وإسرائيل.
- شنت الجماعة هجمات على القوات الإسرائيلية في سبتمبر عام ٢٠١٢
- وكان أحد أعضاء الجماعة والذي كان ضابطًا سابقًا بالجيش المسئول عن محاول اغتيال وزير الداخلية محمد إبراهيم التي وقعت في سبتمبر ٢٠١٣.

---

[25]– منير أديب، بيان مبايعة «داعش» يكشف عن الخلاف داخل «بيت المقدس». http://www.alwafd.org/%D8%A7%D8%AE%D8%A8%D8%A7%D8%B%-1، تاريخ الاطلاع ٢٠١٤/١١/٢٢

- أعلنت الجماعة مسؤوليتها عن الهجوم على مبنى المخابرات العسكرية بالإسماعيلية في أكتوبر ٢٠١٣.
- بتاريخ ٢٠ نوفمبر ٢٠١٣ أعلنت الجماعة مسؤوليتها عن اغتيال محمد مبروك ضابط أمن مشارك في محاكمة الرئيس محمد مرسي والذي قتل بالرصاص خارج منزله بمدينة نصر ١٧ نوفمبر ٢٠١٣.
- الجماعة فجرت مديرية أمن الدقهلية في ٢٤ ديسمبر ٢٠١٣ والتفجير خلف ١٦ قتيلاً كان من بينهم ١٤ قتيلاً من ضباط الأمن.
- التنظيم أعلن مسئوليته عن الهجوم على مدينة إيلات الإسرائيلية والذي حدث في ٢٠ يناير ٢٠١٤، ولم يسجل أي حالة وفاة أو إصابة.
- الجماعة أعلنت مسؤوليتها عن الهجوم على كمين شرطة بني سويف في ٢٣ يناير ٢٠١٤، قتل على أثره ٦ أشخاص.
- الجماعة أعلنت مسؤوليتها عن تفجير مديرية أمن القاهرة في يناير ٢٠١٤.
- 26 يناير ٢٠١٤ الجماعة أعلنت مسؤوليتها عن إسقاط مروحية عسكرية بسيناء.
- أعلن التنظيم مسئوليته عن التفجيرين الانتحاريين اللذين وقعا يوم ٢ مايو واستهدفا حاجزًا أمنيًا وحافلة سياحية في محافظة جنوب سيناء.
- ٢٤ أكتوبر ٢٠١٤ استهداف نقطة تفتيش للجيش في كرم القواديس وقد تبنت العملية بعد ذلك بثلاثة أسابيع«[٢٦]».

مثلت عملية كرم القواديس نقطة تحول للجماعة؛ حيثُ إنها أعلنت في فيديو بثته أطلقت عليه صولة الأنصار تأكيد مبايعتها لتنظيم الدولة

[26]- أنصار بيت المقدس، http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8، تاريخ الاطلاع ٢٠١٤/١١/٢٢

الإسلامية داعش، وكيفية تخطيطها وتنفيذها لعملية كرم القواديس، وهددت فيه عبر واحد من إرهابيي الجماعة الجيش المصري والرئيس المصري عبد الفتاح السياسي بمزيد من العمليات الإرهابية، وبأن مصر لن تشهد الاستقرار، وبأن الحرب والعنف قد بدأت بالفعل الآن.

هذا الفيديو مثّل نقطة تحول للجماعة لعدة أسباب هي:

١- أكدت فيه مبايعتها لتنظيم الدولة الإسلامية داعش، وهو ما يعني أن مصر بدأت بالفعل تواجه تهديدًا حقيقيًا من داعش.

٢- كشف الفيديو عن مستوى التدريب والتسليح الذي تتمتع به الجماعة، وهو ما يدل على أنها تتلقى تدريبًا وتمويلاً من جهات أجنبية، وربما يكون منها جهات استخباراتية.

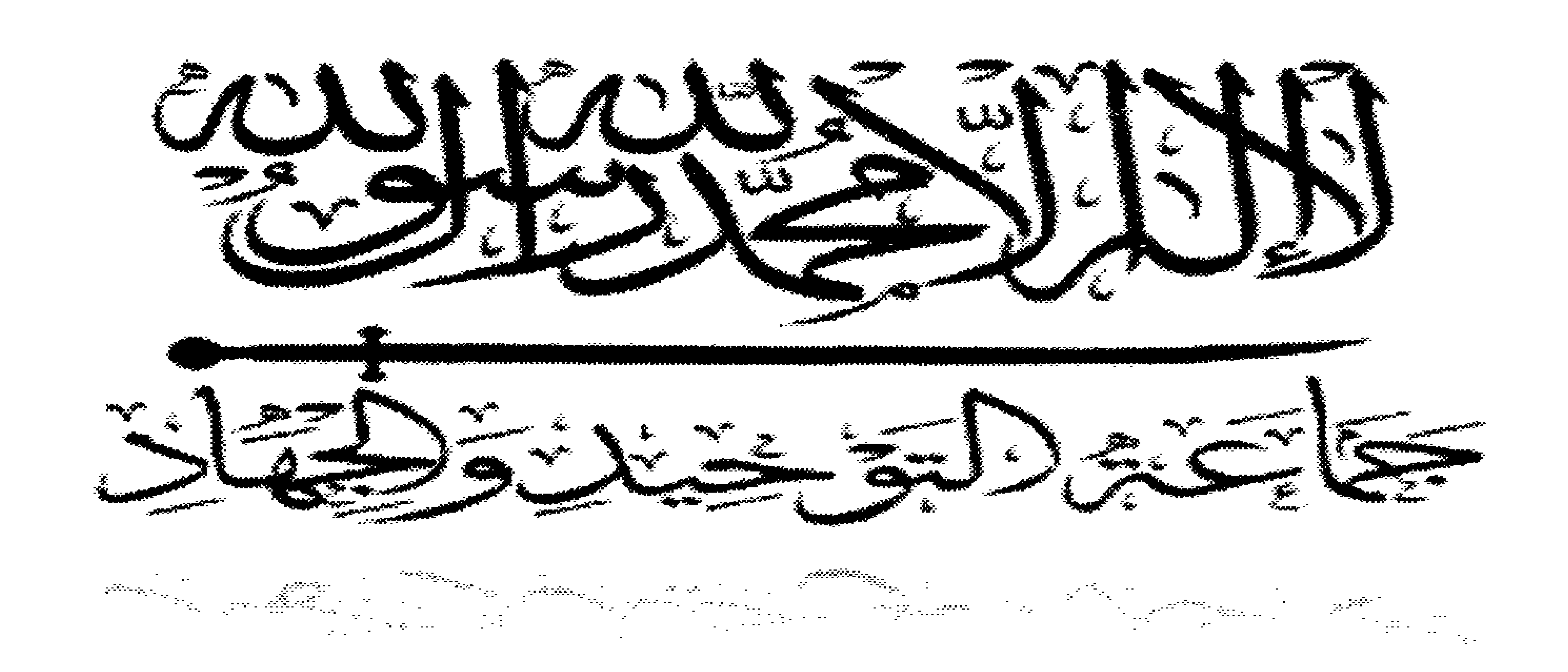
٣- الفيديو بمثابة تأكيد على استمرار الحرب والإرهاب وبأن كافة القرارات الأمنية التي اتخذت بعد كرم القواديس لم تجعلهم يتراجعون عن مخططهم.

٤- أعلنت في ها الفيديو تحولها من أنصار بيت المقدس إلى ولاية سيناء، وهذا مؤشر خطير لمخطط بالانفصال بسيناء عن الدولة المصرية.

٥- بدأ التنظيم في إنشاء خلايا تقوم بعمليات إرهابية ليس فقط في سيناء بل في كافة أرجاء الدولة المصرية، وهو ما يتضح من خلال نشر التنظيم إصدارًا مرئيًا جديدًا يوثق عملية «عرب شركس»، والتي أسفرت عن مقتل ضابطين وستة مسلحين، نتيجة تنفيذ قوات الشرطة عملية مداهمة لأحد أوكار الإرهاب بالقليوبية، والفيديو يُظهر عمليات ذبح جنود، كما يُوضح لأول مرة صور وجوه

عناصر خلية «عرب شركس» والمشاركين في العملية، كما أوضح أن المسلحين رفضوا القيام بعملية انتحارية وتفجير براميل المتفجرات؛ حرصًا على سلامة الأهالي بالمنطقة، على حد قولهم«[٢٧]».

جماعة التوحيد والجهاد



تعتبر جماعة «التوحيد والجهاد» إحدى الجماعات المسلحة، التي أدرجتها الولايات المتحدة الأميركية جماعة إرهابية في العراق، تأسست على يد أبي مصعب الزرقاوي، الذي بايع أسامة بن لادن، واتحد معه، حيثُ أصبح اسمها وقتذاك، تنظيم «قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين»، وتحالف التنظيم مع سبع

---

[27]- بيت المقدس ينشر فيديو لعملية «عرب شركس» وصور المنفذين.
- -http://almesryoon.com/%D8%AF%D9%81%D8%AA%D8%B1، تاريخ الاطلاع ١٥/١١/٢٠١٤

جماعات مسلحة عراقية أخرى مكونًا تشكيلاً جديدًا سمي «مجلس شوري المجاهدين في العراق»، وتم اختيار عبد الله رشيد البغدادي- أبو بكر البغدادي- أميرًا للجماعة، حيثُ تصدر كافة بيانات وأشرطة هذه الجماعات، حيثُ توسع وقتها البغدادي في العمليات.

المرتكزات الفكرية لـــ«التوحيد والجهاد»

- تكفير عموم الشيعة، والدعوة لإبادة الشيعة في العراق بصفتهم المتحالف مع الغزاة الأمريكيين.
- الاعتماد الأساسي على مبدأ «الحاكمية»، سلاح الجماعات المسلحة في تكفير المجتمع، بعد الكفر بالدساتير والنظم والمؤسسات السياسية والأمنية والعسكرية في العالم الإسلامي باعتبارها لا تلتزم بالتوحيد.
- الكفر بالديمقراطية والمجالس النيابية، ونزع الشرعية عن الحكومات، واعتماد تقسيم المجتمعات والمؤسسات إلى دار الإسلام أو دار الكفر لتسويغ الأحكام والفتاوى، والتمايز عن الحركات الإسلامية الأخرى من خلال مفهوم الطائفة المنصورة، واعتبار الجهاد العمود الفقري لأيديولوجيا التيار وعمله.
- الاعتقاد في جاهلية المجتمع.
- تقسيم المجتمع إلى دار الإسلام ودار الكفر.
- الولاء للإسلام والمسلمين والبراء من الشرك والمشركين.
- الاعتماد على العمليات الانتحارية فيما يعتبرونه «جهادًا».
- الاعتماد على تصنيف الأعداء إلى عدو بعيد وآخر قريب.
- الحكم بكفر كل من لم يحكم بما أنزل الله.

انتقادات المقدسي لـــ«الدولة الإسلامية»

كان المرجع الروحي للتيارات السلفية الجهادية في الأردن والعالم، عصام البرقاوي المعروف بـــ«أبو محمد المقدسي» انتقد منذ البداية تصرفات تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام»- داعش- وحمله مسؤولية دماء المسلمين التي تراق في كل من سوريا والعراق.

كما هاجم المقدسي، إعلان تنظيم الدولة الإسلامية معتبرًا أن قيام «دولة الخلافة الإسلامية» سيتسبب في مزيد من «سفك الدماء المحرمة»، وقال في بيان له في أول موقف معلن له عقب إطلاق سراحه من السجون الأردنية منتصف يونيو الماضي بعد إتمام مدة محكوميته: إن «إعلان داعش الخلافة يهدد بسفك الدماء وفلق هامات المسلمين بالرصاص، وإننا لا نثق بعقلية الممسكين بسلاح هذا التنظيم».

وقال المقدسي، في بيانه تحت عنوان (هذا بعض ما عندي وليس كله): إننا نتمنى رجوع الخلافة وكسر حدود رايات التوحيد، وتنكيس رايات التنديد، ولا يكره ذلك إلا منافق، وإن ما يدعو إلى التساؤل هو ماذا سيرتب القوم على هذا الإعلان، والمسمى الذي طوروه من تنظيم إلى دولة عراق، ثم إلى دولة عراق وشام، ثم إلى خلافة عامة.

وتمحور بيان المقدسي حول عدة بنود، قال إنه وقعت عليه ضغوط معنوية للتراجع عنه إلا أنه أصر على إصداره لبيان الحق، معتبرًا أعضاء تنظيم الدولة في العراق روافض ومرتدين.

بيان مُبايعة (التوحيد والجهاد) لتنظيم الدولة الإسلامية

وانتقدت الجماعة في بيان لها عممته الأربعاء ٢٣ يوليو موقف منظري التيار السلفي الجهادي أبو محمد المقدسي وأبو قتادة من إعلان تنظيم الدولة الإسلامية

في العراق والشام، إقامة الخلافة الإسلامية وتنصيب زعيم التنظيم أبو بكر البغدادي خليفة للمسلمين.

وقال السلفيون في بيان حمل توقيع «أبناء دعوة التوحيد والجهاد في الأردن»، ونشر على مواقع جهادية، «إنه صار واضحًا للعيان ولا يحتاج إلى برهان أن الدولة الإسلامية أعزها الله هي اليوم قلعة الإسلام وحصن التوحيد وجندها هم رأس حربة المسلمين».

وأعلنوا «تبرأهم من بيانات المقدسي وأبي قتادة وما أصدروه في حق الدولة الإسلامية»، قائلين إنها «باطلة شرعًا وواقعًا، وعلى ذلك فهي لا تمثلنا ولا نرتضيها، وكل من وافق عليها وصرّح بتأييدها فإنه لا يمثّلنا ونبرأ إلى الله من فعله».

وأكدوا أن هذا البيان يمثل الطائفة الأوسع من أبناء «دعوة التوحيد والجهاد» أو ما يعرف بـــ«التيار السلفي الجهادي» في الأردن، ويتبناه الفئة الأكبر من أعيانهم وطلبة العلم وأصحاب السابقة في ساحات الجهاد من أبناء هذه الدعوة المباركة، على حد قولهم.

وأشار البيان إلى أن القيادي في التيار أبا محمد الطحاوي «بارك فتوحات العراق التي أسماها بـــ(قادسية البغدادي)، ودعم إعلان الخلافة وبيعة الخليفة أبي بكر»، منوهين إلى أن موقف الطحاوي «يعبر عن التوجه الأصيل لأبناء دعوة التوحيد والجهاد».

من كل ذلك، يبدو أن موقف السلفية الجهادية في الأردن باتت مضطربة بشدة، بفضل إعلان «أبو بكر البغدادي» إعلان الخلافة، ففي الوقت الذي اعترضت فيه قيادات كبيرة في تنظيم الجهاد على إعلان البغدادي «الخلافة الإسلامية»، أعلنت جماعات أخرى لها ثقلها الجهادي تأييدها لتلك الخطوة.

فمن الممكن القول إن إعلان «الخلافة الإسلامية الوليدة» لاقت أصوات رفض وعداء من قيادات لها ثقل تاريخي وشرعي في الساحة الجهادية، أبرزها موقف الأب الروحي للسلفية الجهادية الأردني المقدسي، والذي شن هجومًا قاسيًا على تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام «داعش»، محذرًا من «سفك الدم الحرام» بعد إعلان التنظيم قيام «الخلافة» بالمناطق الخاضعة لسيطرته.

ومع ذلك من المرجح أن يلتحق عدد من التنظيمات والجماعات الجهادية بـــــــ«الخلافة الإسلامية الوليدة» في الأيام المقبلة، خاصة في ظل أن ما تحققه داعش من توسيع رقعة نفوذها في العراق تغري بعض الكيانات الجهادية الإرهابية بالالتحاق بها، كما حدث مع القاعدة في أعقاب هجمات نيروبي ودار السلام في العام ١٩٩٨، حين ألهمت عددًا من الجماعات المحلية بالانخراط في مشروعها بينها الجماعة الإسلامية المصرية وتنظيم الجهاد المصري والجماعة السلفية للدعوة والقتال الجزائرية.

ومن خلال المشهد الراهن يرجح أن يلتحق عدد من قواعد وأفراد جبهة النصرة السورية بداعش، وهو ما حدث فعلاً من مجموعات قليلة سابقًا؛ مما سيؤدي إلى إضعاف «النصرة»، كما يرجح أن تلتحق المجاميع الجهادية المحلية الصغيرة في المحافظات السورية وبعض الحركات الإسلامية في العراق، أما على مستوى التنظيم أو الأفراد، كما يتوقع أن تعلن جماعة «أنصار بيت المقدس المصرية» الناشطة في سيناء مبايعتها لداعش في الأيام القادمة.

في المغرب العربي المشهد يبدو أوضح؛ فزخم داعش كبير جدًا بين أنصار التيار الجهادي وقادته، خاصة وأن التنظيم يعتمد على المقاتلين التونسيين بشكل أساسي في سوريا وبنسبة أقل في العراق، فمن المرجح أن تبايع تنظيمات أنصار الشريعة في تونس وليبيا الدولة الإسلامية قريبًا.

وفي إفريقيا جنوب الصحراء، يتوقع أن يعلن عدد من قادة الحركة الجهادية الموريتانية الالتحاق بداعش ومبايعة البغدادي خليفة للمسلمين، ويمكن أن تسري عدوى المبايعة نحو بقية تنظيمات الجهاد في مالي وإقليم الأزواد كحركة أنصار الدين، ويرجح مراقبون أن تعلن حركة شباب المجاهدين الصومالية موقفها النهائي من «الخليفة الجديد» في الأيام القليلة القادمة، والأمر ذاته بالنسبة لجماعة «بوكو حرام» النيجيرية، وإذا ما وقع ذلك فعلاً فإن القارة الإفريقية بشمالها وصحرائها و«قرنها» الملتهب ستصبح الساحة الساخنة لنشاط الدولة الإسلامية في المستقبل«[٢٨]».

التوحيد والجهاد في مصر

هو تنظيم جهادي متطرف شديد العنف، يقترب إلى الفكر التكفيري أكثر من اقترابه من الفكر السلفي، الذي تعتقده معظم التيارات الجهادية الموجودة على الساحة، وهذا التنظيم هو الذي قام بتفجيرات سيناء الشهيرة، والمعروفة إعلاميًّا باسم تفجيرات طابا وشرم الشيخ في ٢٠٠٤ و٢٠٠٦، كما أن كل أفراد التنظيم ينتمون إلى سيناء.

ارتبط هذا التنظيم ارتباطًا كبيرًا بعدد من الفصائل الفلسطينية؛ حيثُ إن عناصره تعبر الأنفاق؛ لكي تتدرب على السلاح والمتفجرات في قطاع غزة، كما أن هناك عددًا قليلاً من الفلسطينيين كانوا ينضمون إلى التنظيم، وهم الذين قاموا بتدريب أفراده على استخدام المتفجرات.

٢. تنظيم مجلس شورى المجاهدين أكناف بيت المقدس:

---

[28] -التوحيد والجهاد «ودلالات مبايعة «البغدادي والبراء» من «المقدسي»»، http://www.islamist-movements.com/3105، تاريخ الاطلاع ٢٠١٤/١١/١٠.

وهو تنظيم جهادي سلفي، يسعى في المقام الأول إلى تهديد إسرائيل بعدد من الوسائل، منها تفجير خطوط الغاز المتجهة من مصر إلى إسرائيل، وإطلاق العديد من الصواريخ على إسرائيل من داخل سيناء، ويتكون هذا التنظيم من مصريين وفلسطينيين، وينتمي غالبية أعضائه إلى فكر القاعدة، ويركز التنظيم عملياته على تفجير خطوط الغاز بين مصر وإسرائيل. وثمة تقارير تُشير إلى أن بعض المنظمات الفلسطينية تدعم تنظيم بيت المقدس، وتمدُّ له يدَ العون بالمال والسلاح «[٢٩]».

تنظيم أنصار الجهاد:

هو أحد نماذج «القاعدة»، المنتشرة في العالم، وتمثل الظهور الإعلامي الرسمي لهذا التنظيم عقب بيان مبايعته لزعيم تنظيم القاعدة أيمن الظواهري، وقد ظهر التنظيم على السطح عقب ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، وما تبعها من تدهور أمني أصبح معه يطلق على سيناء أنها خارج نطاق السيطرة الأمنية المصرية.

يتكون التنظيمُ في معظمه من المصريين من أبناء سيناء وغيرهم من المحافظات المصرية، إضافة إلى وجود بعض العناصر السابقة من تنظيم الجهاد الذين خرجوا من السجون في أحداث ثورة يناير مع التنظيم، كما تُشير بعض التقارير.

قام «أنصار الجهاد في سيناء»، «بالعديد من العمليات المؤثرة، منها التفجيرات المتتالية لخط الغاز المؤدي إلى إسرائيل عبر محافظة شمال سيناء، كما حاول تدمير وحرق قسم شرطة ثان العريش».

29- تنشر خريطة «الحركات الجهادية» في سيناء «التوحيد والجهاد» الأكثر عنفًا في سيناء.. وأفراده يتلقون تدريباتهم في غزة، http://www.albawabhnews.com/45180، تاريخ الاطلاع ٢٠١٤/١١/٨.

ويسعى «أنصار الجهاد في سيناء»، «إلى إقامة إمارة إسلامية في سـيناء، وأن يكون الإسلام هو المصدر الوحيد للتشريع، وذلك عن طريـق طـرد الجـيش والشرطة من سيناء، والاستيلاء على جميع المقار الأمنية».

ولا يوجد خلاف أبدًا أنه لا تأثير على ما حدث من تغيير نظام مبارك أو وصول الإخوان للحكم على رؤية ووضع القاعدة؛ حيثُ إن الإخوان أنفسهم هم أول من شكلوا جناحًا عسكريًّا، وقال الظواهري في إحدى رسائله المصورة: «إن التغيير في مصر يمكن أن ينجح إذا راعى العاملون له سنن التاريخ وطبائع الشـعوب، وحرصوا على توفير مقوماته، وانتهاز فرصه، ومن أهم مقوماته وجود القاعدة الآمنة وحشد التأييد الشعبي» «[٣٠]».

جماعة الإخوان المسلمين

جماعة الإخوان المسلمين هي أمّ الحركات الإسلامية فـي العصـر الحـديث، وأكثرها تأثيرًا وأوسعها انتشارًا في العالم العربي وبعض دول العالم الإسـلامي وفي الجاليات الإسلامية في الغرب، وهي أيضًا كبرى الحركات والمجموعـات السياسية المعارضة للأنظمة السياسية المتعاقبة في مصر.

التأسيس: أسس جماعة الإخوان المسـلمين فـي مـارس/آذار ١٩٢٨ بمدينـة الإسماعيلية المصرية حسن البنا بعد أربعة أعوام من سقوط الخلافة العثمانية، ثم سرعان ما انتقلت من القاهرة إلى بقية أنحاء مصر، ثم إلى أجزاء كبيـرة مـن العالم العربي والإسلامي.

---

[30] تنشر خريطة «الحركات الجهادية» في سيناء «التوحيد والجهاد» الأكثر عنفًا في سيناء.. وأفراده يتلقون تدريباتهم في غزة، http://www.albawabhnews.com/45180، تاريخ الاطلاع ٢٠١٤/١١/٨.

محطات: مرت الجماعة بعدة محطات في تاريخها، وتمكنت من أن تحظى بمكانة خاصة في الأحداث التي شهدتها مصر حتى تاريخ اغتيال مؤسسها ومرشدها حسن البنا في العام ١٩٤٩.

«تأسست جماعة الإخوان المسلمين في مارس/آذار ١٩٢٨ بمدينة الإسماعيلية المصرية، ثم سرعان ما انتقلت إلى القاهرة إلى بقية أنحاء مصر، ثم إلى أجزاء كبيرة من العالمين العربي والإسلامي».

وتزامنت هذه المرحلة مع انطلاق المقاومة في فلسطين في العام ١٩٣٦، والإعلان عن قيام إسرائيل في العام ١٩٤٨، وخلال هذه الفترة ناهض الإخوان الاستعمار الإنجليزي لمصر، وشاركوا بكتائب عسكرية للقتال في فلسطين خلال حرب ١٩٤٨.

وقبل نهاية العام ١٩٤٨ أصدر رئيس الوزراء المصري محمود فهمي النقراشي في ٨ ديسمبر/كانون الأول قرارًا بحل الحركة واعتقال عدد كبير من قادتها وأعضائها ومصادرة ممتلكاتها بعد اتهامات للجماعة بتشكيل تنظيم سري مسلح والمسؤولية عن عدد من حوادث الاغتيال والتفجير، وفي ٢٨ من نفس الشهر اغتيل النقراشي ووجهت أصابع الاتهام في اغتياله للإخوان الذين رفضوا التهمة.

وبعد أقل من شهرين وتحديدًا في ١٢ فبراير/شباط ١٩٤٩ اغتيل مرشد الإخوان حسن البنا أمام جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة.

وإثر اغتيال البنا دخلت الجماعة في مرحلة جديدة لم يكن لها خلالها مرشد قبل أن يتم في ١٩٥١ اختيار المرشد الثاني للإخوان، وهو حسن الهضيبي.

وشهدت هذه الفترة قيام ثورة الضباط الأحرار في ٢٣ يوليـو/ تمـوز ١٩٥٢ وتوليهم السلطة في مصر، ورغم أن الجماعة كانت على صلة مع الضباط قبل الثورة وفي بدايتها، عصفت خلافات شديدة بالعلاقة بين الطرفين؛ لتتحول فتـرة حكم جمال عبد الناصر إلى فترة صعبة وقاسية على الجماعة.

في العام ١٩٥٤ صدر قرار ثان بحل الحركة بعد تعرض عبد الناصر لمحاولة اغتيال اتهم الإخوان المسلمون بتنفيذها، واعتقل عددًا كبيرًا من أعضائها بينـهم المرشد العام حسن الهضيبي، الذي اعتقل في العام ١٩٥٤، وسيد قطـب الـذي ظل في السجن عشر سنوات، قبل إطلاقه ومن ثم اعتقاله والحكم بإعدامه فـي العام ١٩٦٥.

وإثر تولي الرئيس المصري الراحل أنور السادات السلطة في العام ١٩٧٠ أطلق جميع معتقلي الحركة، وفتحت الجماعة مقراتها واستمرت في العمل لكـن دون غطاء قانوني.

وبدت علاقة الجماعة بنظام حسني مبارك سيئة ومتوترة في أغلب فتراتها، لكن الجماعة استمرت مع ذلك في وجودها العلني وعملها كما هو الحال فـي فتـرة أنور السادات.

وشهدت العشرية الأولى من حكم مبارك انفتاحًا جزئيًا على الجماعة التي سعت لمزيد من التوسع والتمدد، وشاركت لأول مرة في انتخابات برلمانية في العـام ١٩٨٤، ثم شاركت أيضًا عبر تحالف آخر في انتخابات ١٩٨٧ البرلمانية.

ومع منتصف التسعينيات فتح مبارك السجون مـن جديـد للإخـوان، وأحـال العشرات منهم إلى محاكمات عسكرية بتهمة الانتماء لتنظيم غير مرخص.

ولم تمنع المطاردات والملاحقات وعدم الترخيص السياسي الجماعة من المشاركة في الانتخابات البرلمانية كمستقلين، والحصول على ٨٨ مقعدًا برلمانيًا في انتخابات ٢٠٠٥ البرلمانية أي بنسبة ٢٠% من المقاعد، لكن الجماعة لم تحصل على أي مقعد في انتخابات ٢٠١٠ الماضية.

وشارك الإخوان المسلمون في ثورة ٢٥ يناير/كانون الثاني ٢٠١١، وبعد الإطاحة بنظام حسني مبارك قرروا إنشاء حزب سياسي جديد يحمل اسم حزب الحرية والعدالة، وعينوا البرلماني والقيادي بالجماعة محمد سعد الكتاتني وكيلاً له «[٣١]».

مرشدو الحركة: تعاقب على قيادة الجماعة منذ تأسيسها ثمانية مرشدين هم:

- حسن البنا مؤسس الجماعة من ١٩٢٨ إلى ١٩٤٩.

- حسن الهضيبي من ١٩٥١ إلى ١٩٧٣.
- عمر التلمساني من ١٩٧٤ إلى ١٩٨٦.
- محمد حامد أبو النصر من ١٩٨٦ إلى ١٩٩٦.
- مصطفى مشهور من ١٩٩٦ إلى ٢٠٠٢.
- مأمون الهضيبي من ٢٠٠٢ إلى ٢٠٠٤.
- محمد مهدي عاكف من ٢٠٠٤ إلى ٢٠١٠.
- محمد بديع من ٢٠١٠.

---

[31] الموقع الإلكتروني للجزيرة، http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2014/1/18/%d8%a7%d9%84%d8%a5%d8%ae، تاريخ الاطلاع ٢٠١٤/١١/١٢

في أعاقب ثورة الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١، قد كانت جماعة الإخوان المسلمين واحدة من الفصائل التي شاركت في هذه الثورة، وقد سمحت الحريات العامة التي أطلقت بعد ثورة يناير لجماعة الإخوان المسلمين من تشكيل حـزب سياسي، يكون بمثابة الذراع السياسية للجماعة، وكان اسم الحزب هـو حـزب الحرية والعدالة، وخاضت الجماعة بحزبها الانتخابات الرئاسية، وفاز مرشـح الإخوان المسلمين الدكتور محمد مرسي برئاسة الجمهورية في يونيو ٢٠١٢.

إلا أنه سرعان ما زادت وتيرة الاحتقان السياسي والمجتمعي ضد الرئيس محمد مرسي؛ حيثُ لم تخلُ أي جمعة من مليونية إما لأسباب سياسية أو طائفية، كمـا اتهم الرئيس بمحاباة جماعته وعشيرته عن الشعب، وبأنه يهمش المسيحيين.

وقد رفضت أغلب المؤسسات والهيئات الرسمية التعاون مع، وزادت الـدعاوى الداعية بمحاولة الإخوان لأخونة المؤسسات وزرع رجالهم بكافـة الـوزارات والمؤسسات الحكومية، وهو ما زاد سخط الشعب المصري عليه.

وظهرت جماعة تُسمى تمرد، تجمع توقيعات من المصريين، وتدعو للتمرد ضد نظام الإخوان المسلمين وعزل الرئيس محمد مرسي، واتخذت من يوم ٣٠يونيو ٢٠١٣ يومًا للتجمع والحشد، وبالفعل نزلت الملايين من جموع الشعب المصري في رسالة واضحة رافضة لأخونة المؤسسات وللإدارة غير الرشيدة للإخـوان للحكم ولنقص خبراتهم في الحكم والسياسة، حتى أن الرئيس محمد مرسي كـان محل انتقاد لافتقاده للعديد من المعرفة حول البروتوكولات الدولية الرسمية.

نجحت تمرد في الحشد، وتجمهرت كـل ميـادين الجمهوريـة بالمتظـاهرين الرافضين الحكم الإخوان والداعين لعزل الرئيس مرسي، لم يسـتجب الـرئيس لمطالب الشعب، فقامت مؤسسات الدولة وكبار رجال السياسة والفكـر بعـزل

الرئيس مرسي في ٣ يوليو ٢٠١٣ استجابة لمطالب الجماهير التي احتشدت في الميادين ودرءًا لوقوع مصر في حروب أهلية.

احتشد أنصار الجماعة والمتعاطفين والمؤيدين لها بميدان النهضة ورابعة، إلى أن صدر قرر بفض ميداني النهضة ورابعة في أغسطس ٢٠١٣، وخلف ذلك مئات الجرحى والقتلى والجثث المتفحمة من المتظاهرين ومن رجال الشرطة والجيش، وإن كانت الغالبية من المدنيين المتظاهرين، وألقي القبض على غالبية رجال جماعة الإخوان المسلمين، نظرًا لانخراطهم في قضايا عنف أو تحريض على ارتكاب العنف. صار غالبية قادة الجماعة بالسجون، ومن هنا فقدت الجماعة التواصل بشكل فعال بمعظم قياداتها.

فتشتت تحركات وتوجهات الجماعات بين المصمم على السلمية تحت شعار سلميتنا أقوى من الرصاص، وبين الرافض والمصمم على رد العنف بالعنف والقيام بعمليات إرهابية مسلحة ضد رجال الشرطة والجيش.

منذ تلك اللحظات وعجلة العنف المسلح الدموي لا تقف سواء في سيناء أو كافة ميادين وشوارع جمهورية مصر العربية، ورغم عدم اعتراف جماعة الإخوان المسلمين وإنكارها الدائم لتورطها في مثل هذه الجرائم؛ إلا أن الأجهزة الأمنية تؤكد انخراط الجماعة وتورطها في تنفيذ هذه الجرائم والإرهابية التي تشهدها مصر منذ عزل الرئيس محمد مرسي.

لهذا كان حريًا إدراج جماعة الإخوان المسلمين لاسيما في أعقاب صدور حكم محكمة القاهرة للأمور المستعجلة حكمًا بإدراج جماعة الإخوان المسلمين كمنظمة إرهابية«[٣٢]».

السلفية الجهادية وجمعية «الطائفة المنصورة»

السلفية الجهادية

السلفية الجهادية مصطلح أطلق منذ نهاية الثمانينيات على بعض جماعات الإسلام السياسي، والتى تتبنى الجهاد منهجًا للتغيير، تم بروزه كتيار فكري مميز في عهد أنور السادات، يعلن هذا التيار أنه يتبع منهج سلف المسلمين الأوائل وأن الجهاد أحد أركانه، يتم تطبيق الجهاد الذي يجب وجوبًا عينيًا على المسلمين ضد العدو المحتل، وضد النظام الحاكم المبدل للشريعة الإسلامية، ويحكم بالقوانين الوضعية أو النظام المبالغ في الظلم والقهر.

فالسلفية الجهادية عبارة عن جماعات أو أفراد حملوا فكرة الجهاد المسلح ضد الحكومات القائمة في بلاد العالم الإسلامي أو ضد الأعداء الخارجيين، وحملوا فكرًا محددًا يقوم على مبادئ الحاكمية وقواعد الولاء والبراء، وأساسيات الفكر الجهادي السياسي الشرعي المعاصر، كما هو مفصل ومعروف في أدبياتهم. كما وصفها الثوري الفنزويلي كارلوس بالإسلام الثوري.

---

[32] أول حكم قضائي بإعلان الإخوان جماعة إرهابية، http://today.almasryalyoum.com/article2.aspx?ArticleID=415285، تاريخ الاطلاع ٢٠١٤/١٠/١٠

يعتبر تيار السلفية الجهادية نفسه تيارًا مطبقًا للمنطق الإسلامي الصحيح المستقى من القرآن والسنة والإجماع؛ متمثلاً في العقيدة وفقه الجهاد وفقه السياسة الشرعية في الحكم والتعامل مع المحتل والمبدل للشريعة، فهو يرى أن التغيير بالقوة هو أنسب وأصح الوسائل للتحرر وتحكيم الشريعة وتصحيح البنية الأساسية الدينية والاجتماعية والسياسية.

تعتبر السلفية الجهادية ثاني أبرز التيارات السلفية المعاصرة مع السلفية العلمية ومصادرهم واحدة، وإنما يختلفون مع تيار السلفية العلمية والإخوان في تبنيهم لخط ومنهج التحرك الثوري أو المسلح من أجل التغيير وليس التربية والتعليم أو البرلمان من أجل الإصلاح، لرأيهم بأن هذه الأنظمة متجذرة ومدعومة من الخارج وفشل معها الإصلاح، وتعتبر التيارات الأخرى أن هذا استعجال للتغيير من قبل الجهاديين الثوريين وتعريض للنفس للتهلكة، وبعضها يعتبر هذا خروجًا على الحاكم الذي تجب طاعته.

أصل التسمية

مصطلح السلفية الجهادية مصطلح مثبت في الأدبيات الجهادية نفسها منذ سنوات طوال، وتحديدًا منذ ثمانينيات القرن العشرين عند الرموز الأساسيين، الذين يحملون لواء هذا الخط الفكري ويمثلونه على أعلى مستوى تنظيري – مثل أبو محمد المقدسي، عبد القادر عبد العزيز، أبو قتادة الفلسطيني، أبو مصعب السوري، أيمن الظواهري – وإن كانت صياغاته النظرية الأولى قد تمت في مصر في الستينيات على يد سيد قطب بعد انقلابه الفكري المعروف في العهد الناصري – ابتداء من سنة ١٩٥٧ – في ظل مسارات الصراع بين الإخوان وعبد الناصر من جهة وتحت تأثير كتابات أبي الأعلى المودودي – خاصة كتابه

المصطلحات الأربعة في القرآن – التي اطلع عليها في السجن من جهة ثانية، ثم تبلورت هذه الصياغات في السبعينيات مع صالح سرية في رسالة الإيمان عام ١٩٧٣ ومحمد عبد السلام فرج في الفريضة الغائبة أواخر عام ١٩٨٠ ثم كتابات شيوخ التنظيمين الجهاديين الأساسيين في مصر خلال تلك الفترة: الجماعة الإسلامية – بالتحديد ميثاق العمل الإسلامي الصادر سنة ١٩٨٤ والذي شارك في كتابته عاصم عبد الماجد وعصام الدين دربالة وناجح إبراهيم – وجماعة الجهاد – كتابات أمير الجماعة ومنظرها الأساسي من عام ١٩٨٧ إلى عام ١٩٩٣ الدكتور فضل أو عبد القادر عبد العزيز – من ناحية أخرى ساهم عبد الله عزام من موقعه في أفغانستان في التأصيل لبعض الأساسيات الفكرية التي تقوم عليها السلفية الجهادية؛ إذ يقرر رضوان السيد أن عزام هو أول من استخدم هذا المصطلح سنة ١٩٨٧ بغرض توحيد صفوف السلفيين العرب وغير العرب في أفغانستان على مشارف خروج الروس منها.

سبب التسمية

شكل التيار السلفي المعتنق لأفكار هذه المدرسة الجناح الثالث من أجنحة الصحوة الإسلامية السبعيناتية التي جمعته مع تيارين آخرين، الأول إخواني ذو طابع أزهري، والثاني شيعي اثنا عشري، وبرغم قوة التيار المستمدة من سعة انتشاره، وكونه وليد مدرسة عقدية وفقهية، نظر لها عبر التاريخ الإسلامي؛ إلا أنه فشل في تحقيق ما نجح فيه التيار الشيعي، وهو التحول إلى ثورة شعبية تتمخض عن إقامة نظام يمثل مبادئ التيار ومشروعه. على عكس الإخوان الذين استمروا على نهجهم في التغيير متعاطين مع العمل السياسي ولعبة الديمقراطية، فقد تعرض التيار السلفي للانقسام الفكري والتنظيمي، بحيث نشأت اتجاهات سلفية عدة اختلفت فيما بينها حول الموقف من قضايا فكرية كالحاكمية والجاهلية

والجهاد والعمل السياسي والموقف من الحكام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسائل أخرى، وكان من نتائج هذا الانقسام أن نشأ التيار السلفي الجهادي.

كانت نشأة السلفية الجهادية بمثابة خروج عن الخط السلفي التقليدي الذي التزمه أصحابه السعوديون منذ أن قضى عبد العزيز آل سعود على تمردات حركة إخوان من أطاع الله، ولعل ما يؤكد ذلك تصريحات وزير الداخلية السعودي في العام ٢٠٠٢ من أن جميع مشكلات السعودية هي من إفرازات الإخوان المسلمين. تأثر السلفيين بغيرهم من مفكري الجماعات الصحوية بدأ في مصر وليس في الخليج، كما يدعي الكثيرون فقد أدى تأثر بعض السلفيين المصريين في سبعينات القرن الماضي بآراء وكتابات سيد قطب وأبي الأعلى المودودي إلى نشوء فكر سلفي جديد تأطر تنظيميًا في جماعات عدة أهمها جماعة الجهاد التي بدأ منظرها أيمن الظواهري التزامه الديني في مسجد تابع لجماعة أنصار السنة المحمدية بمنطقة المعادي بالقاهرة.

وبانتقال هذا الفكر إلى ساحة الجهاد الأفغاني اكتملت معالمه بدخول عبد الله عزام على الخط كمنظر لفكرة الجهاد كأهم فرض من فروض العين، وهي التي كان المصري محمد عبد السلام فرج قد أشار إلى أهميتها في كتابه الشهير الفريضة الغائبة، بانتهاء التجربة الأفغانية كانت تلك الجماعات قد اكتسبت خبرة قتالية عالية، وخرجت قيادات على مستوى عال، وجدت في بؤر التوتر في العالم الإسلامي كالبوسنة والشيشان وغيرهما متنفسًا جهاديًا تنشط من خلاله وتكتسب مزيدًا من الأنصار.

البروز الأول للسلفية الجهادية في التسعينيات كخط فكري، يقوم علـــى مواقــف ومقولات محددة مرتبطة بسياقات صراع النفوذ في وعلي منطقة الخليج، ثم بعد ذلك توسعت مشاريعه وانتشرت أفكاره ومقولاته في كل أنحاء العـــالم بســبب ارتباطه العضوي بتجربة تنظيم القاعدة – كان ابن لادن أحــد الفــاعلين فـــي الانشقاق المذكور – الذي يعتبر ممثله الشرعي حيــثُ اســتند إلـــى منظومتــه الفكرانية الصدامية لتأطير مسارات المواجهـــة، التـــي بـــدأها منـــذ منتصـــف التسعينيات سواء مع نظم الحكم القائمة في البلدان العربية والإسلامية – العـــدو القريب – أو مع الولايات المتحدة الأميركية وحلفائها من الدول الغربية – العدو البعيد – وكانت لحظة الذروة تفجيرات ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١ م في الولايـــات المتحدة الأميركية وما تلاها من تفاعلات دولية، لا يزال كثير منها ممتدًا فـــي الزمان والمكان.

كان تنظيم الإخوان السري الذي تكوّن أيام الملكية، والذي نسبت إليـــه أعمـــال عنف كاغتيال وتفجير، هي الخلفية المشجعة لتطبيق ما نظّر إليه سيد قطب فـــي كتاباته حول الحاكمية والجهاد. فكان بعد التنظيم السري تنظيم ١٩٦٥ م الذي تم كشف أمره سريعًا، وأعدم على إثره سيد قطب ومن معه، ثم تنظيمات ما بعـــد ١٩٧١ م إثر الإفراج عن المعتقلين السياسيين بداية حكم أنور السادات. ســـاعد على استمرار بلورة الفكر السلفي الجهادي أمران: الأول: نكسة ١٩٦٧ م ومـــا اعتبره كثير من الإسلاميين خيانات حدثت أثناء وبعد حرب ١٩٧٣ م. الثـــاني: استمرار الحكم بالقوانين الوضعية والتحالف مع المعسكر الغربي بقيادة أمريكـــا وبريطانيا الداعم الأساسي لإسرائيل. الثالث: معاهدة السلام والاعتراف بإسرائيل نهاية السبعينيات وعودة القمع والتعذيب. وكانت أولى عمليات ما سُمي بعد ذلك بتيار السلفية الجهادية هي عملية الفنية العسكرية ســـنة ١٩٧٤ م ثـــم ١٩٧٧ م

حيثُ قتل الدكتور حسين الذهبي وزير الأوقاف السابق وأبرزها سنة ١٩٨١ م حيثُ قُتل الرئيس أنور السادات.

في حين وقفت الأنظمة العربية ضد الزحف إلى فلسطين لتحريرها من الاحتلال الإسرائيلي بعد النكسة، فتحوا الباب للجهاد إلى أفغانستان وألبانيا ودول جنوب شرق أوربا ضد الاحتلال الروسي السوفييتي بإشارة وتأييد من الولايات المتحدة معتبرة المقاتلين العرب والأفغان أنهم «مقاتلون من أجل الحرية». وكان من ضمن العرب المسافرين المقاتلين الشيخ عبد الله عزام والملياردير أسامة بن لادن. وفي الفترة بعد الانسحاب السوفييتي من أفغانستان اعتبرت أمريكا والأمم المتحدة أن أفغانستان مفرخ للإرهاب، وأن المتدربين على السلاح إرهابيون، وطالبت الأمم المتحدة بتسليم الإرهابيين وتقصد بهم العرب المجاهدين خصوصًا.

واغتيل عبد الله عزام وعند عودة المقاتلين من تلك البلاد إلى بلادهم تم تصنيفهم أنهم إرهابيون ووقعوا تحت الاعتقال والتعذيب الشديد، وبدأ الفكر والتنظير للسلفية الجهادية إقليميًا يعود بقوة أكثر تركيزًا في مواجهة الأنظمة العربية، التي وضحت تبعيتها للمعسكر الغربي بقيادة أمريكا؛ خاصة بعد أن لم تعترف أي دولة عربية بإمارة أفغانستان الإسلامية سوى السعودية والإمارات وباكستان، وسريعًا ما سحبوا الاعتراف مع الضغط الأميركي.

بعد ذلك قامت الولايات المتحدة بإرسال قوات عسكرية إلى السعودية والخليج لحماية البترول ووضع قدم عسكرية لحماية حلفائها في المنطقة، وهو ما أدى بأسامة بن لادن ومن معه من المجاهدين العرب إلى توسيع عمل جماعة القاعدة نهاية سنة ١٩٨٨ م - التي كان عملها الجهاد من أجل التحرير من السوفييت -

ليشمل الجهاد من أجل إقامة الشريعة مع حركة طالبان في مواجهة العلمانيين والقوميين وبعض الإسلاميين ممن ينتمون إلى الفكر الإخواني مثل برهان الدين رباني وعبد رب الرسول سياف. وكان هذا التحول هو محور اتحاد جماعة الجهاد الإسلامي المصرية بجماعة تنظيم القاعدة الإسلامي العربي وكوّنا تنظيم قاعدة الجهاد الدولي.

فبعد حرب الخليج الأولى عام ١٩٩٠ م تم توسيع الدائرة أكثر؛ حتى شملت استهداف مصالح الدول الطاغية الكبرى كأمريكا وبريطانيا في داخل أراضيهم وفي بلاد عملائهم في المنطقة. تُعتبر بداية عمليات التنظيم سنة ١٩٩٢ م بتفجيرين باليمن استهدفا جنودًا أمريكيين كانوا في طريقهم إلى الصومال، حين سيطرت المحاكم الإسلامية على الصومال قبل هذا بسنة. ثم تفجير مركز التجارة العالمي عام ١٩٩٣ م. ويُعتبر أبرز عمل قامت به القاعدة في تلك الفترة انتصارها مع حركة طالبان في السيطرة على أفغانستان ضد القوميين والعلمانيين الأفغان والعرب نهاية عام ١٩٩٥ م وحتى نهاية عام ٢٠٠١م.

تم تفجير سفارات الولايات المتحدة في كل من دار السلام، تنزانيا ونيروبي وكينيا في وقت واحد ٧ أغسطس عام ١٩٩٨ م بالتزامن مع الذكرى السنوية الثامنة لقدوم القوات الأميركية للمملكة العربية السعودية. وفي أكتوبر عام ٢٠٠٠ م قام أعضاء من تنظيم القاعدة في اليمن بقصف بالصواريخ على المدمرة البحرية «يو أس أس كول». وكان أخطرها عام ٢٠٠١ م بهجمات ١١ سبتمبر التي تعد نقطة فاصلة في تاريخ المنطقة والعالم.

تشكلت مجموعة جهادية تنتهج الفكر القطبي، القائم على التكفير وعلى صلة بالتنظيم الأم في غزة بقيادة أبي الوليد المقدسي (هشام السعيدني)، والذي لقي مصرعه مؤخرًا إثر قذف من قوات الاحتلال، وقد أعلنت تلك الجماعة عن نفسها في أعقاب وفاة ستة من عناصرها في مواجهة مع القوات المسلحة القائمة على تنفيذ العملية نسر.

وقد أصدرت الجماعة بيانًا شديد اللهجة، مفاده أنها ستقوم بقتال الجيش في حالة استمرار العمليات بهذه الطريقة في شمال سيناء، وأفصحت أنها تمتلك القدرة والعتاد على مواجهة الجيش حتى عشرين عامًا، وقد صدرت مؤخرًا من إحدى قياداتها، المدعو أحمد عشوش (وهو من قيادات تنظيم طلائع الفتح بالبحيرة)، فتوى بتكفير الحاكم«[٣٣]».

جمعية «الطائفة المنصورة»

تشكلت من الجهاديين القادمين من الخارج، وعلى رأسهم شقيق أيمن الظواهري زعيم تنظيم «القاعدة» الحالي. بلغ عدد «العائدين» إلى مصر من الجهاديين الذين خرجوا من مصر وفقًا لتقديرات أمنية نحو أكثر من ٥٠٠ إسلامي عادوا من مختلف بلاد العالم. والأكثر شهرة بينهم هو محمد الظواهري، العضو السابق في «حركة الجهاد الإسلامي» المصرية. وقد لعب الظواهري دورًا بارزًا في تشجيع الجهاديين على الاشتراك في الهجمات الأخيرة على السفارة الأميركية في القاهرة.

---

[33]– أنصار بيت المقدس.. صراع الاحتواء بين «القاعدة» و «داعش»، الموقع الإلكتروني للحركات الإسلامية، http://www.islamist-movements.com/2484، تاريخ الاطلاع ٢٠١٤/١١/٢٤

وفي يناير/كانون الثاني ٢٠١١، وحتى قبل الإطاحة بالرئيس المصري السابق حسني مبارك، أفادت التقارير وعلى نطاق واسع بأن آلاف السجناء فروا من السجون المصرية، ومن بينهم مسلحون. ثم سرعان ما ظهر على «شبكة أنصار المجاهدين» – وهي منتدى جهادي على شبكة الإنترنت – تقرير مطول يروي كيف فر المجاهدون من سجن «أبو زعبل».

وقد أكد محمد الظواهري بأن غير المسلمين هم من أهل الذمة وعليهم دفع الجزية. ويرى أن الدخول في العملية السياسية من ديمقراطية وانتخابات أشياء لا تجوز شرعًا، وأنه لا حكم فوق حكم الشريعة. وقال الظواهري «إن إنشاء حركة السلفية الجهادية لجمعية «الطائفة المنصورة» هو بهدف تطبيق أحكام الشريعة وتطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال نشر التعاليم الإسلامية الصحيحة، وليس عن طريق اليد؛ لأن الظروف لا تسمح بذلك الآن ولا توجد حكومة إسلامية في الوقت الراهن». وتقاطع الجماعة الاستفتاء على الدستور؛ لأنه لا يضع الشريعة مصدرًا وحيدًا للتشريع«[٣٤]».

الجماعة الإسلامية في مصر

تأسست الجماعة الإسلامية في مصر أوائل سبعينيات القرن الماضي على يد صلاح هاشم بجامعة أسيوط في منطقة الصعيد، وكان لها أعضاء في معظم الجامعات المصرية، وحملت في بدايتها اسم الجماعة الدينية. وضمت الجماعة بين مؤسسيها أسماء برزت لاحقًا في مشهد الحركة الإسلامية والساحة السياسية

---

[34]- د. سعيد شحاتة، الجماعات الإسلامية في مصر ما بعد الثورة الشريعة.. وأوجه التطبيق، الموقع الإلكتروني لمجلة العرب الدولية، http://www.majalla.com/arb/2013/01/article55241365، تاريخ الاطلاع ٢٠١٤/١١/٢٢

في مصر، مثل أبو العلا ماضي وكرم زهدي وعبد المنعم أبو الفتوح وعاصم عبد الماجد وأسامة حافظ وآخرين.

اقتصر نشاط تلك الجماعة الدينية في سنواتها الأولى على الأنشطة الثقافية والاجتماعية والخدمية البسيطة الموجهة في معظمها للطلاب.وشجع اتساع هذه الأنشطة وتزايد عدد الأعضاء مسؤولي الجماعة على وضع بنية تنظيمية لها، وتسميتها باسم جديد هو الجماعة الإسلامية الذي يصاحبها حتى اليوم.

انفصال تنظيمي

في عام ١٩٧٧ انضوى قادة الجماعة الإسلامية بجامعات الوجه البحري، مثل عصام العريان وعبد المنعم أبو الفتوح وحلمي الجزار وإبراهيم الزعفراني والقياديين بجامعة المنيا أبو العلا ماضي ومحيي الدين أحمد عيسى في صفوف جماعة الإخوان المسلمين. وفضل قادة طلاب الوجه القبلي، بزعامة كرم زهدي وعاصم عبد الماجد وناجح إبراهيم وعصام دربالة، البقاء في الجماعة الإسلامية التي سلكت نهجًا مغايرًا لتوجه جماعة الإخوان. وركزت الجماعة الإسلامية أنشطتها على السعي لتغيير ما عدته -حينذاك- منكرات بالقوة، ففصلت بين الطلاب والطالبات ومنعت الاختلاط بينهم، وتصدت لإقامة الحفلات الموسيقية والغنائية داخل معظم جامعات الوجه القبلي«[٣٥]».

علي المستوى السياسي، عارضت الجماعة استضافة الرئيس المصري الراحل أنور السادات شاه إيران في البلاد، ورفضت -مثلها مثل جماعة الإخوان

---

[35]- الجماعة الإسلامية في مصر، الموقع الإلكتروني للجزيرة نت، http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2011/3/16/، تاريخ الاطلاع ٢٢/١١/٢٠١٤.

المسلمين والقوى اليسارية- زيارة السادات الشهيرة للقدس المحتلة وتوقيعه اتفاقية كامب ديفيد مع إسرائيل.

مرحلة الثمانينيات

بحلول السنوات الأولى للثمانينيات، طوَّرت الجماعة الإسلامية معارضتها لنظام السادات، وتحالفت مع تنظيم الجهاد، الذي تركز أعضاؤه في محافظات الوجه البحري، بهدف الإطاحة بهذا النظام بالقوة المسلحة. في عام ١٩٨٠ نفذ أعضاء من الجماعة الإسلامية وتنظيم الجهاد هجومًا على متجرين للذهب في نجع حمادي بجنوب مصر وشبرا الخيمة في شمال القاهرة، واستولوا على ما وجدوه فيهما من مجوهرات وأموال.

في ٥ سبتمبر/أيلول ١٩٨١ بلغ الاحتقان السياسي في مصر ذروته بإصدار أنور السادات أوامر باعتقال ١٥٣٦ شخصية من جميع ألوان الطيف السياسي المعارض، كان من بينهم مئات الإسلاميين. وفي ٦ أكتوبر/تشرين الأول ١٩٨١ اغتالت مجموعة من الجماعة الإسلامية وتنظيم الجهاد، بقيادة الملازم أول خالد الإسلامبولي، السادات أثناء حضوره العرض العسكري السنوي لذكرى انتصار أكتوبر ١٩٧٣.
بعد يومين من اغتيال السادات، هاجم أعضاء الجناح العسكري للجماعة الإسلامية مديرية الأمن ومراكز الشرطة بأسيوط، واحتلوا المدينة في معركة شديدة قتل فيها عدد كبير من أفراد الشرطة والقوات الخاصة، وانتهت تلك المعركة بالقبض على قادة الجماعة الإسلامية الذين قُدموا بعد ذلك للمحاكمات. وبعد الإفراج عام ١٩٨٣ عن الآلاف من أعضائها من الصفين الثاني والثالث، عاودت الجماعة الإسلامية نشاطها، وتوسعت في عضويتها أفقيًا، ونقلت

أنشطتها إلى القاهرة والإسكندرية وبعض محافظات الوجه القبلي. وتميزت تلك المرحلة بتصدي طلاب الجماعة الإسلامية بالجامعات المصرية بالقوة والعنف لأنشطة قام بها نظراؤهم من طلاب الإخوان المسلمين في جامعات الوجه القبلي«[٣٦]».

أدى اغتيال المتحدث باسم الجماعة الإسلامية د. علاء محيي الدين في أغسطس/آب ١٩٩٣ بالقاهرة، لإطلاق شرارة مواجهات دموية عنيفة بين نظام الرئيس السابق حسني مبارك والجماعة الإسلامية، التي ردت على ذلك باغتيال رئيس مجلس الشعب السابق رفعت المحجوب. واستغرقت تلك المواجهات سنوات متصلة، وانتهت بإعلان قادة الجماعة الإسلامية في يوليو/تموز ١٩٩٧ مبادرة من طرف واحد لوقف العنف. ولم تتأثر هذه المبادرة بعد ذلك بتنفيذ كوادر من الجماعة الإسلامية بالخارج في نوفمبر/تشرين الثاني من نفس العام هجومًا على معبد الأقصر تسبب بقتل ٥٨ سائحًا أجنبيًا.

وفي أغسطس/آب ٢٠٠٦ أعلن الرجل الثاني بتنظيم القاعدة أيمن الظواهري أن عددًا من قيادات الجماعة الإسلامية في مصر قرروا الانضمام لتنظيم القاعدة.

وأسفرت مبادرة الجماعة الإسلامية عن إطلاق الدولة للآلاف من أعضائها المعتقلين، وسماحها للجماعة بتأسيس موقع إلكتروني، عبرت فيه عن مواقفها من القضايا الداخلية والخارجية بشكل لم يتصادم طيلة السنوات الماضية مع توجهات نظام حسني مبارك.

---

[36] المرجع السابق.

الجماعة الإسلامية في مصر وثورة يناير

بعد اندلاع ثورة ٢٥ يناير/كانون الثاني ٢٠١١ وسقوط الرئيس المصري السابق شاركت قيادات الجماعة الإسلامية للمرة الأولى منذ أكثر من عشرين عامًا في تجمع علني بمحافظة أسيوط معقلهم السابق بصعيد مصر، وقال قادة الجماعة إنهم يدرسون تأسيس حزب سياسي يعبر عن توجهاتهم في المرحلة القادمة.

وفي يونيو/حزيران ٢٠١١ أعلنت الجماعة الإسلامية عن تأسيس حزب البناء والتنمية؛ ليعبر عن الجماعة وأهدافها، وحصد الحزب في أول انتخابات لمجلس الشعب بعد الثورة ١٣ مقعدًا من إجمالي ٤٤٤ عضوًا.

واتخذت الجماعة والحزب موقفًا مؤيدًا للرئيس محمد مرسي بعد انتخابه في يونيو/حزيران ٢٠١٢، وظلت داعمة له على مدار العام الذي حكم خلاله البلاد. وعقب قيام الجيش بعزل مرسي في الثالث من يوليو/تموز ٢٠١٣ انضوت الجماعة وحزبها تحت راية «التحالف الوطني لدعم الشرعية ورفض الانقلاب».

من جانبها أصدرت النيابة العامة قرارات ضبط وإحضار لعدد من قيادات الجماعة على رأسهم عاصم عبد الماجد وطارق الزمر بتهمة التحريض على العنف، وذلك بعد أن شاركت قيادات وقواعد الجماعة وحزبها في اعتصامي رابعة العدوية ونهضة مصر المؤيدين لمرسي قبل فض قوات الأمن لهما يوم ١٤ أغسطس/آب ٢٠١٣.

الأفكار والمعتقدات

تبلورت معظم أفكار الجماعة الإسلامية في صورة كتب ورسائل داخل سجن ليمان طرة، ومن أهمها كتاب ميثاق العمل الإسلامي، وهو دستور الجماعة، ويمكن تلخيص ما ورد فيه من الأفكار فيما يلي:

- الغاية: رضا الله تعالى بتجريد الإخلاص له سبحانه وتحقيق المتابعة لنبيه صلى الله عليه وسلم.
- العقيدة: عقيدة السلف الصالح جملةً وتفصيلاً.
- فهم الإسلام: بشموله كما فهمه علماء الأمة الثقات المتبعون لسنته صلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين المهديين رضي الله عنهم.
- الأهداف المعلنة للجماعة:
  - تعبيد للناس لربهم.
  - إقامة خلافة إسلامية على نهج النبوة.
- الآليات: الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله خلال جماعة منضبطة حركتها بالشرع الحنيف تأبى المداهنة أو الركون، وتستوعب ما سبقها من تجارب«[٣٧]».
- تصورهم عن الجهاد: أن الجهاد هو القتال أي المواجهة والدم، والجهاد ليس بالاقتصار على الوسائل السلمية مثل الكتابة والخطابة والإعداد بتربية الأمة العلمية والفكرية أو بمزاحمة السياسيين في أحزابهم وأساليبهم السياسية، بل إن الاهتمام

---

[37]– كلمة حق د. عمر عبد الرحمن، الموقع الإلكتروني: http://www.saaid.net/feraq/mthahb/19.htm، تاريخ الاطلاع ٢٠١٤/١١/٢٣

بالهجرة يعد من الجبن والتخاذل، ولن ينتصر المسلمون إلا بقوة السلاح، وعلى المسلمين أن ينخرطوا في الجهاد مهما قل عددهم. يرون أن القتال ليس فقط لمن داهمنا في ديارنا واستولى على جزء من أرض الإسلام، ولكنه أيضًا لمن يقف بالسيف والسلطان في وجه دعوتنا رافضًا التخلية بيننا وبين الناس، ندعوهم لدين الله، ونحكمهم بشرع الله؛ لأن الاستعمار هو العدو البعيد، والحكام الكفرة هم العدو القريب فهم أولى من قتال العدو البعيد. وضرورة قتال أي طائفة على وجه الأرض تحكم الناس بغير شرع الله كافرة كانت أو منتسبة للإسلام. وعلى ذلك يرون حتمية المواجهة كما في رسالتهم حتمية المواجهة للأسباب الآتية:

- خلع الحاكم الكافر المبدّل لشرع الله.
- قتال الطائفة الممتنعة عن شرائع الإسلام.
- إقامة الخلافة وتنصيب خليفة للمسلمين.
- تحرير البلاد واستنقاذ الأسرى ونشر الدين«[٣٨]».

- يحكمون على الديار المصرية وما شابهها بأنها ليست بدار السلم التي تجري عليها أحكام الإسلام لكون أهلها مسلمين، ولا بمنزلة دار الحرب التي أهلها كفار، بل هي قسم ثالث يعامل المسلم فيها بما يستحق، ويقاتل الخارج عن شريعة الإسلام بما يستحق، وعلى ذلك لا يكفرون الأمة إنما يكفرون الحكام الذين يبدلون

---

[38]- د. عمر عبد الرحمن، أصناف الحكام وأحكامهم: الموقع الإلكتروني: http://www.saaid.net/feraq/mthahb/19.htm، تاريخ الاطلاع ٢٠١٤/١١/٢٣

ويعطلون شرائع الإسلام، وعليه لا يحرِّمون تولي الوظائف الحكومية مثل جماعة التكفير.

- يوجبون الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لآحاد الرعية بمراحله الثلاث، ولكن يؤخذ عليهم في ذلك عدم مراعاة الضوابط الشرعية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وميلهم للاستعجال والقاعدة: «من تعجل الأمر قبل أوانه عوقب بحرمانه».
- تعارض الجماعة مشاركة الاتجاه الإسلامي في الحكومات العلمانية المعادية للإسلام؛ إذ إن هذه المشاركة تترك مفاسد كثيرة، وتوقع الجماهير العريضة في الحيرة والتضليل والشك، إذ إنها تدلل على شرعية الحكومة التي تصدر وتطبق القوانين الوضعية.

الجذور الفكرية للجماعة الإسلامية في مصر

- تُعد الجماعة الإسلامية القرآن الكريم والسنة النبوية هما مصدرا أفكارها، لذا فإنها تكثر من الاستشهاد بآيات الجهاد والأحاديث التي تحث على الجهاد.

- وكذلك تلجأ الجماعة إلى فتاوى العلماء وأبرزهم شيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١ ــ ٧٢٨هـ) الذي مُلئت كتاباتهم بأقواله وفتاواه.

- وكذلك تلجأ الجماعة الإسلامية إلى الوقائع التاريخية وأقوال العلماء أمثال ابن القيم والقاضي عياض وابن كثير والنووي وسيد قطب؛ لتدلل على أفكارها ومبادئها.

• ويؤخذ على الجماعة انشغالها بقضية الخروج على الحكام؛ دون تفريق بين مسلمهم وكافرهم، ودون إعداد العدة لمن كفر منهم؛ مما تسبب في قتل الأبرياء من المسلمين، والتضييق على الدعوة الإسلامية، وتبعثر الجهود الخيّرة.

أماكن الانتشار

• تتركز القوة الرئيسة للجماعة الإسلامية في الصعيد المصري، وخاصة في محافظة أسيوط، ولها أنصار في كل المدن والجامعات المصرية. كما انتشر كثير من أتباعها في الدول الأخرى نتيجة لمطاردتهم من قبل الحكومة المصرية«[٣٩]».

ويتضح مما سبق

أن الجماعة الإسلامية تعتبر الجهاد هو الدواء الناجح والعلاج الناجع لإعادة الخلافة الإسلامية للمسلمين، وترى أن إقامة الدولة الإسلامية، ومن ثم الخلافة، فرض عين، وتقول: إن حكام المسلمين الذين يرفضون تطبيق شريعة الله كفار يجب الخروج عليهم. ولا تكفر هذه الجماعة الأمة مثل جماعة التكفير والهجرة، وتعتقد أن الجهاد هو القتال، وهو قمة العبادة في الإسلام، أما الجهاد بالوسائل السلمية فقط فهو جبن وغباء.

ومن الجدير بالذكر أن هناك مجموعات أخرى عرفت باسم «تنظيم الجهاد»، ودعت للخروج على الحاكم بالجهاد المسلح لتغيير نظام الحكم مثل «تنظيم الفنية العسكرية» عام ١٩٧٤م بقيادة صالح سرية وكارم الأناضولي

---

[39] رفاعي طه، شحذ الهمة في جمع شمل الأمة.

وكذلك تنظيم «جهاد الإسكندرية عـــام ١٩٧٦م»، أو «تنظـــيم ســـالم الرحـــال الأردني» وليس لهذه التنظيمات علاقة بالجماعة الإسلامية.

جماعة أجناد مصر

تعود بداية ظهور جماعة «أجناد مصر»، إلى يوم الجمعة ٢٤ يناير لعام ٢٠١٤، بالتحديد قبل الذكرى الثالثة لثورة ٢٥ يناير، حيـــثُ تـــداولت المواقـــع الجهادية بيانًا منسوبًا لهذه الجماعة، وفي التوقيت نفسه تم تدشين صفحة علـــى موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك، حملت اسم «أجناد مصر»، بـــدأت هـــذه الصفحة بالبيانات الخاصة بالجماعة، وقامت بتفعيل أنشطتها، حيثُ انطلقت على الملأ وبشكل علني يوم الجمعة ١٨ أبريل ٢٠١٤، وهو اليوم الذي أصدر فيـــه مكتبها الإعلامي شريط فيديو يوثق عملياتها ضد الشرطة.

ظهرت هذه الجماعة بشكل حقيقي في بدايات عام ٢٠١٤، وإن قامت ببعض العمليات في نهاية ٢٠١٣، ولكن الجزء الأكبر من عملياتها كان في مطلع ٢٠١٤، والذي شهد ثاني استحقاق انتخابي ممثلاً في الانتخابات الرئاسية بعد الاستفتاء على الدستور الجديد.

أجناد مصر، ليست جماعة بالمعنى المتعارف عليه، وإن كانت عبارة عن خلايا صغيرة؛ فأرجح الأقوال، أنها نشأت في مطلع عام ٢٠١٤ بشكل تنظيمي، بعد أن طال أمد الصراع بين المطالبين بعودة مرسي للسلطة وبين النظام السياسي الذي نشأ على خلفية عزله، بناء على خارطة للمستقبل وضعتها القوات المسلحة، وهم يشعرون أنهم لم يحققوا ما كانوا يأملونه أثناء وجود الإخوان على رأس السلطة التنفيذية.

فقد قام الشباب المتحمس الذي شكل نواةً للجماعة بتنفيذ بعض العمليات المسلحة التي غلب عليها طابع قلة الخبرة من خلال التفجير عن بُعد، واستخدام عبوات ناسفة محلية الصنع وليست كبيرة الحجم ولا التأثير بطبيعة الحال كحال جماعات أخرى ظهرت على الساحة قبل أو بعد ظهور أجناد مصر؛ فالعمليات التي تم رصدها استخدمت فيها قنابل ذات تأثير محدود مقارنة بعمليات أنصار بيت المقدس التي كانت تستخدم عشرات الكيلو جرامات من المتفجرات، وعملياتهم لم يكن مخططًا لها فهي ذات أهداف محدودة مقارنة بأنصار بيت المقدس.

من خلال رصد العمليات التي قامت بها أجناد مصر لم تكن من بينها عمليات انتحارية على سبيل المثال، فالعمليات التي قامت بها كانت عبارة عن عبوات تفجيرية فقط وبدائية الصنع تتم على أن أصحابها لم تكن لديهم أي خبرة من قبل، كما لم يكن للعمليات التي قاموا بها الأثر الكبير كغيرها من العمليات التي تشنها تيارات جهادية أخرى، وبالتالي كانت نتائج هذه العمليات ضعيفة الأثر، ولم تُخلف وراءها سوى مصابين وقليلٍ من القتلى، وكان ظاهرًا بشكل لافت للنظر في العمليات الأولى، غير أنها نجحت فيما بعد في إحداث أثر محدود لبعض العمليات، ولكنها تبقى محدودة مقارنة بعمليات أنصار بيت المقدس.

تميزت عملياتهم كما ذكرنا بالبساطة الشديدة مقارنة بعمليات جماعة أنصار بيت المقدس، التي يتم التخطيط لها على مستوى أعلى من خلال التدريب الذي يتلقاه أتباعها، فقد سافر بعضهم للمناطق ذات الصراع الملتهب مثل، سوريا والعراق واليمن وأفغانستان، أو ما تلقاه أتباعها من تدريب في صحراء سيناء الواسعة، وبالتالي وجدنا هذه الجماعة تكتفي بإصدار بيان فقط، ولم تصدر

تسجيلات مرئية إزاء كل عملية؛ إلا بعد تنفيذها ثماني عمليات، وعندما أصدرت أول تسجيل مرئي كان للعمليات الثماني مجتمعة.

وعند قراءة التسجيل المرئي الذي خرج لهذه العمليات، تكتشف أنه لم يتعرض لطريقة تنفيذ العمليات المسلحة أو التجهيزات التي سبقتها، كما في حالات كثيرة لتيارات جهادية داخل أو خارج مصر، ولعل أنصار بيت المقدس كانت مختلفة عن هذه الجماعة كثيرًا؛ فلم تقم بتصوير جزء من الاستعدادات قبل تنفيذ العملية ولا أثناء تنفيذها أيضًا، فقط اكتفت ببعض الصور التي نشرت في تليفزيونات عدة، وقامت في بعض المشاهد بحذف «لوجو» القناة من على الشاشة أو «لوجو» الموقع الإلكتروني، وجمعت هذه الصور في التسجيل المرئي المشار إليه، وبالتالي لم يخرج على نفس مستوى التسجيلات المرئية لجماعة أنصار بيت المقدس.

معظم الذين تم استهدافهم في العمليات الأولى على يد أجناد مصر كانت إصابتهم طفيفة، ولم يكن هناك قتلى بين الضحايا نتيجة الخبرة المنعدمة؛ ولأن المتفجرات المستخدمة تم تصنيعها بطريقة بدائية، كما سبق القول؛ وهي عبارة عن قنابل محلية الصنع، ولم تقم هذه الجماعة التي نظن أنها عبارة عن خلايا تم تشكيلها على عجل عندما اشتد الصراع بين السلطة الحاكمة وبين التيارات الإسلامية، التي وجدت في هذه السلطة عدوًا لها، من خلال تلغيم سيارات ربما تحمل عشرات الكيلو جرامات من المتفجرات، كجماعة أنصار بيت المقدس، حتى يكون هناك ضحايا أكثر«[٤٠]».

[40]- منير أديب، الفشل الحتمي: العنف بين مبررات الإخوان وواقع الحركة الإسلامية (١-٢)، http://www.acrseg.org/10055

هذه المجموعات التي نشأت فجأة، تمتلك رغبة قوية للانتقام ممن يظنون أنهم وقفوا أمام الإسلام وحاربوه أو ناصبوه العداء، ولكن هذه الرغبة محدودة بإمكانيات ضعيفة ومتواضعة وخبرة منعدمة، لم تساعدهم على تحقيق ما أرادوه، وبالتالي ظهرت عملياتهم أقل تأثيرًا من غيرها، ولكننا لمحنا تطورًا في عملياتها فيما بعد اكتساب الخبرة التي لم تستغرق وقتًا طويلاً، وربما كان ذلك واضحًا من خلال تفجيرات جامعة القاهرة سواء من خلال زرع المتفجرات أو تكنيك التفجير ذاته، أو عملية ميدان لبنان، والتي تحايلوا فيها على ضابط المرور، عندما وقفت سيارة ميكروباص تسأل الضابط عن عنوان؛ ليقوم آخرون بزرع المتفجر في كشك المرور من الشباك الخلفي أثناء انشغال الضابط مع السائل.

والجدير بالقول، إن عملية جامعة القاهرة تميزت بالتخطيط بعض الشيء؛ حيثُ فجرت أجناد مصر عبوتين ناسفتين في توقيت واحد، ثم قامت بتفجير العبوة الثالثة بعد تجمع المسعفين وقوات الشرطة، التي هرعت لمكان التفجير، كمحاولة لحصد أكبر عدد من الضحايا، ورغم ذلك كان ضحايا الثلاث قنابل قتيلين فقط، أحدهما مات في الحال، والثاني مات متأثرًا بإصابته بخلاف غير المصابين. وقد نجحت الجماعة في زرع العبوات الناسفة بالأشجار المحيطة بالتمركز الأمني الموجود أمام الجامعة بعيدًا عن أعين الضباط، ولأن قطاعًا ليس بالقليل من أعضاء هذا التنظيم خريجو كلية الهندسة جامعة القاهرة، وقد أنهوا دراستهم منذ سنوات قليلة، فهم يحفظون جغرافيا المكان، وبالتالي ربما يكون ذلك سر نجاح العملية مقارنة بسابق عملياتهم، وربما يكون ذلك السر وراء زرع ثلاث عبوات ناسفة وليست عبوة واحدة.

تركزت أغلب عمليات هذه الجماعة في محيط القاهرة الكبرى وتحديدًا بمحافظة الجيزة، بما يؤكد محدودية هذا التنظيم من حيثُ الكم والكيف معًا، وأنه

قد يكون مكونًا من عدة خلايا بخلاف جماعات أخرى لها أتباع في محافظات عدة وأرجح الأقوال، أن هؤلاء إما أنهم ينتمون للداعية السلفي حازم صلاح أبو إسماعيل أو من تلامذته أو المتأثرين بخطابه، ولعل التسجيل المرئي الذي خرج فيما بعد، وكان أول تسجيل مرئي للتنظيم يؤكد ذلك؛ حيثُ أفردت الجماعة فيه شهادة أحد المتهمين بارتكاب حادث كنيسة القديسين بالإسكندرية، والذي أفرد تعليقًا وتعقيبًا طويلاً على ما حدث لـــ «سيد بلال»، أحد السلفيين الذين قتلوا أثناء التحقيق معهم لنفس التهمة، وهو ما يدلل على أن هؤلاء سلفيون ولا علاقة لهم بجماعات العنف في سيناء مثلاً«[٤١]».

من المفارقات العجيبة لهذا التنظيم، أنه يصدر بياناته التي يتبنى فيها العمليات التي يقوم بها في نفس يوم العملية، ما بين الساعة السادسة إلى السابعة مساءً، وظهر ذلك في أول ٨ عمليات للجماعة بما يؤكد ملاحظة مهمة نؤكد عليها للمرة الثانية، قلة الخبرة أو انعدامها، والتي قد تكشفهم لو تتبعت أجهزة الأمن المكان الذي تُحمل منه هذه البيانات على شبكة الإنترنت في توقيت محدد، فقد يكون خيطًا رفيعًا يكشف عن أماكن وجودهم، والتي يخططون منها للعمليات العسكرية، وفي أغلب الأحيان تقوم هذه الجماعة بإرسال البيان بشكل مشفر عبر البريد الإلكتروني إلى جهة أخرى، ويتم الاتفاق معهم على رفع البيان على المنتديات والمواقع من خارج مصر، وبالتالي يهربون من عملية الرصد الأمني، والتي قد تكشفهم أو تكون سببًا في القبض على بعضهم، من الملاحظات التي يمكن أن تذكر في هذا الإطار أن أجناد مصر من أهم الجماعات التي تنشر بياناتها على موقع التواصل الاجتماعي، الفيس بوك، ولا تقتصر فقط على المنتديات الجهادية، وبالتالي تصل هذه البيانات لقاعدة عريضة من الناس ووسائل الإعلام في التو واللحظة.

41- المرجع الأسبق ذكره.

ومن أهم العمليات التي قامت بتنفيذها أجناد مصر تفجير عبوتين ناسفتين في بديات شهر فبراير ٢٠١٤ بمنطقة الجيزة أصابت ٦ أشخاص بينهم ٤ من رجال الأمن. ويقال إنهم قد يكونون وراء استهداف كمين عبود في ٢٠ نوفمبر ٢٠١٣ وكمين السواح في ٢٥ نوفمبر من نفس العام، فضلاً عن استهدافهم نقطة محور ٢٦ يوليو في ٢٧ يناير ٢٠١٤، كما استهدفوا أيضًا قوات الأمن المركزي بمنطقة البحوث بالقرب من مترو الأنفاق في ٢٤ يناير، بالإضافة لقسم شرطة الطالبية بمنطقة الهرم، كما استهدفوا يوم ٣١ يناير ٢٠١٤ معسكر قوات الأمن المركزي على طريق الإسكندرية الصحراوي بعبوتين ناسفتين عقب التمكن من عمل اختراق أمني لأحد جنبات المعسكر الموجود على الطريق الصحراوي، ويوم ٧ فبراير استهدفت هذه الجماعة قوات الأمن المركزي المتمركزة أعلى كوبري الجيزة بعبوتين ناسفتين.

يوم ٢ إبريل من نفس العام استهدفت قوات الأمن المتمركزة أمام جامعة القاهرة بثلاثة تفجيرات أسفرت عن مقتل عميد شرطة في الحال ومجند متأثرًا بإصابته بعد يومين من الحادث، فضلاً عن إصابة لواء شرطة وإصابات أخرى في صفوف الجنود، فقد زرعت القنابل بالقرب من القوة الأمنية الشرطية الموجودة بشكل ثابت أمام جامعة القاهرة ووسط ميدان النهضة الذي جرى فضّه من قبل الضابط المقتول، كما جاء عبر بيان أجناد مصر فيما بعد.

وجاء في أحد بيانات هذه الجماعة الصغيرة، والتي أطلقت على نفسها «أجناد مصر»، وأعطت لنفسها شعار «حماة الدين والدم والعرض والمال»، والذي حمل رقم ٤ بتاريخ ٢٠١٤/٢/٧ الذي استهدفت من خلاله قوات الأمن المركزي المتمركزة أعلى كوبري الجيزة: أنهم استطاعوا الوصول إلى المرتكزات الأمنية ضمن حملة «القصاص حياة»، حيثُ تم رصد تحركات قوات

الأجهزة الإجرامية، وتمت مراقبة أماكن تمركزها، التي تنطلق منها كل يوم جمعة لاستهداف الأبرياء بالقتل والتنكيل، فتم زرع عبوتين ناسفتين، حيثُ تتمركز قواتهم الإجرامية في ميدان الجيزة، وتم متابعتهم؛ حتى وصولهم إلى تمركزهم، وتم استهدافهم بالعبوتين الناسفتين، وكانت الإصابة مباشرة حسب تعبير الجماعة في البيان الذي أعلنت مسؤوليتها عن العملية.

واستطردت الجماعة الوليدة التي نشأت عقب عزل «مرسي» من السلطة، تأتي هذه العملية للتأكيد على الرسائل السابقة، وهي أنهم ليسوا في مأمن من القصاص الذي يطاردهم، ولو أن رسائلنا إليهم تحملها الكلمات لما أرسلناها إليهم بالعبوات، وأن الرسالة المراد إيصالها إليهم أننا بإذن اللـــه سنحيا كرامًا، ولن نساق من أي طاغوت مستبد، وأننا لن يقر لنا قرار؛ حتى يعم العدل وتبسط الشورى، وتقام الدولة على ما يرتضيه اللـــه عز وجل في كتابة وفي سنة رسوله صلى اللـــه عليه وسلم.

توعدت هذه الجماعة التي يغلب على أعضائها منهج السلفية الجهادية، بأنها ستواصل غاراتها، وأنها مستمرة فيما أقدمت عليه، وسوف تواصل ذلك على كافة الأصعدة، وأن الانتفاضة تشتعل يومًا بعد اليوم، وعلى من يتبقى فيه بقية شرف داخل الأجهزة الأمنية أن ينشق عنها، وأن يتوب إلى اللـــه، وأن يكف عن حرب أهله؛ وليوجه سلاحه تجاه أجهزة الإجرام! ومن عجز عن نصرة الحق فلا ينصرن الباطل، ولا يكن في صف المجرمين فيخسر الدنيا والدين، وليبادر بالخروج من تلك الأجهزة قبل القدرة عليه، فإن الأحداث تتسارع والفرصة قد لا تستمر طويلاً«[٤٢]».

---

[42]- المرجع السابق ذكره.

وبقراءة تحليلية في مضمون خطاب هذه الجماعة، نستطيع أن نقول إنها مُشكلة من مجموعات صغيرة من السلفيين ذوي الخلفية المتواضعة بالعمل العسكري، وقد يكون بعضهم ليست لديهم خبرة أصلاً بالعمل العسكري، وظهر ذلك جليًا في العمليات التي نفذوها أولاً مطلع عام ٢٠١٤، والتي يمكن الحكم عليها بأنها كانت فاشلة من الناحية الأمنية، كما أن هذه المجموعات نشأت عقب المواجهة التي تمت بين أجهزة الأمن ومتظاهري الإخوان المسلمين. واستخدم أتباعها في بعض بياناتها عبارات كان يستخدمها الداعية السلفي، حازم صلاح أبو إسماعيل، منها، سنحيا كرامًا، ومعروف أنها كانت شعار حملته الانتخابية للرئاسة عام ٢٠١٢، والتي تم استبعاده منها بسبب جنسية والدته، فهو من نحت هذه العبارة في القاموس السياسي المصري بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ وأثناء حكم المجلس العسكري، فضلاً على طريقتهم في الكتابة والتي تشبه لحد كبير تعبيرات نفس الداعية ومنها أيضًا، ما ورد في البيان وأتى على لسان «أبو إسماعيل» قبل ذلك في خطبه التي كان يلقيها في المحافل السياسية، وخاصة مسجد أسد بن الفرات بمنطقة الدقي: «ولن نساق من أي طاغوت مستبد، وأننا لن يقر لنا قرار؛ حتى يعم العدل وتبسط الشورى، وتقام الدولة على ما يرتضيه اللـــه عز وجل في كتابه وفي سنة رسوله صلى اللـــه عليه وسلم»، فأغلب عملياتها كانت أيام الجمع من كل أسبوع، وهي تلك التي تنشط فيها مظاهرات الإخوان والمطالبين بعودة مرسي للسلطة، وبالتالي تعمدت ضرب ما سمّته بمرتكزات أجهزة الأمن والتي تقف أمام هذه المظاهرات.

وقد نشرت الجماعة تسجيلا مرئيًّا أعلنت فيه مسؤوليتها عن ٨ عمليات، قالت فيه إن العملية الأولى كانت في ٢٠/١١/٢٠١٣ واستهدفت من خلاله كميناً أمنيًا بعبود، وكانت العملية الثانية استهداف كمين أمني بمنطقة السواح في ٢٥/١١/٢٠١٣، كما كانت العملية الثالثة باستهداف نقطة للقوات الأمنية بمحور

٢٦ يوليو بتاريخ ٢٠١٤/١/٧، وكانت العملية الرابعة باستهداف القوات الأمنية بقسم شرطة الطالبية في ٢٠١٤/١/٢٤، وكانت العملية الخامسة في نفس اليوم من خلال استهداف القوات الأمنية لمنطقة البحوث، ولم تمر سوى أيام حتى كانت العملية السادسة في ٢٠١٤/١/٣١ والتي استهدفت فيها القوات الأمنية على طريق الإسكندرية الصحراوي، بعدها تمت العملية السابعة بميدان الجيزة، وكان ذلك في ٢٠١٤ /٢/٧، عندما تم زرع عبوات ناسفة بهدف ضرب المرتكزات الأمنية، وتلاها العملية الثامنة والتي استهدفت القوات الأمنية من خلال ثلاث عبوات بميدان النهضة أمام جامعة القاهرة.

ما يؤكد حداثة نشأة الجماعة وقلة خبرتها، أنه لم يكن لها شعار يُعرف عنها، أو يعبر عن مضمونها، أو حتى يُكتب على بياناتها المحدودة التي خرجت عنها، ولم تمتلك أدوات للتصوير المرئي لعملياتها، كما هو شأن جماعات أخرى، وعندما خرجت بتصوير مرئي كان متواضعًا، ولكن الهدف منه تبرير عملياتها، وليس توضيح الطريقة التي قامت من خلالها بتنفيذ هذه العمليات، كما أن عملياتها متفرقة ضمن أماكن لا تتطلب خبرة في التعقب والتعامل معها بالسلاح ضمن محافظة الجيزة.

مزاعم الجماعة ضد الشرطة

قامت الجماعة ببث شريط مصور، ووثّقت فيه ما قالت إنــه انتهاكـــات لحقوق الإنسان، ارتكبتها أجهزة الأمن والشرطة المصرية، كمـــا وثقـــت فـــي التسجيل أيضًا مجموعة من العمليات التي نفذتها الجماعة ضد أجهزة ومقـــرات الأمن المصري«[٤٣]».

---

[43] - جامعة أجناد مصر، الموقع الإلكتروني للحركات الإسلامية، http://www.islamist-movements.com/2484، تاريخ الاطلاع ٢٠١٤/٤/٢٢.

كانت مدة الشريط الأول ٢٤ دقيقة، وثقت خلالهـا ٨ عمليـات نفـذها التنظيم في الفترة من نوفمبر ٢٠١٣، وحتى أبريل ٢٠١٤، تضمنت مجموعـة مشاهد، بعضها كان يتم تداولها قبل ثورة ٢٥ يناير، وتُظهر انتهاكات لحقـوق الإنسان على يد أجهزة الشرطة في المقرات الأمنية والشوارع، بالإضافة إلـى مشاهد أخرى تم التقاطها أثناء الثورة، ومشاهد لأحداث فض اعتصاميْ أنصـار الرئيس السابق محمد مرسي في محيط ميداني رابعة العدوية ونهضة مصر.

أول بيان للجماعة

حمل البيان الأول للجماعة طريقة جديدة لم تستخدمها مـن قبـل أي جماعـة إسلامية لأرشفة بياناتها، فتم وضع خانة لترقيم البيان على أقصى اليسـار مـن أعلى البيان مدونًا أمامها الرقم التالي: ٠٠١ وهو أمر أثار الريبة في الجماعة لا سيما بين المنتسبين للإخوان والتيار الإسلامي بشكل عام، نظرًا لأن هذه الطريقة في الأرشفة تتشابه مع الطريقة المتبعة فـي الـوزارات والـدوائر الحكوميـة والأمنية.

تناول البيان الأول تدشين حملة انتقامية بعنوان «القصاص حياة»، تتوعد بتوجيه ضربات لأجهزة الأمن، وتحرّض كل مواطن على أن يستهدف أفراد الأمن في مقراتهم ومساكنهم.

أهم العمليات:

- ☒ استهداف كمين شرطة في عبود بعبوة ناسفة.
- ☒ استهداف كمين شرطة السواح بعبوة ناسفة.
- ☒ استهداف نقطة شرطة بمحور ٢٦ يوليو.

- استهداف قسم شرطة الطالبية في ٢٤ يناير ٢٠١٤.

- استهداف قوات الأمن المركزي أمام مترو البحوث.

- استهداف مقر قوات الأمن المركزي في ٣١ يناير ٢٠١٤.

- استهداف قوات الأمن المركزي في ميدان الجيزة.

- استهداف قيادات قوات الأمن المركزي في ميدان النهضة، واستشهاد العميد طارق المرجاوي الذي لقي مصرعه في هذه العملية.

- التفجير الذي وقع بجوار مسجد الحصري بـ ٦ أكتوبر، إصابة نقيب شرطة.

- تفجير كمين للشرطة في ميدان لبنان، استشهاد رائد شرطة وإصابة ٦ آخرين.

- تفجير كمين للشرطة في ميدان لبنان، استشهاد رائد شرطة وإصابة ٦ آخرين.

- استهداف دورية أمنية في شارع الهرم بالقرب من سينما رادوبيس.

☒ تفجيرات بالقرب من قصر الاتحادية«[44]».

علاقة أجناد مصر بـــ «أنصار بيت المقدس»

في التوقيت الذي أعلنت فيه جماعة أجناد مصر عن مسؤوليتها في التفجيرات، جاءت نحو ٥ بيانات، تنسب جميع التفجيرات التي جرت لجماعة أنصار بيت المقدس، في نفس الوقت، وعقب توالي البيانات المزيفة، ظهرت أنصار بيت المقدس؛ لتعلن بيانها عبر شبكة شموخ الإسلام- الناقل الرسمي لبيانات الأنصار، والتي تبنت فيه جميع التفجيرات التي هزت القاهرة يومها من خلال نقاط قصيرة وموجزة، لكن مع ذكر بعض التفاصيل ذات المغزى، مثل أن الغرض من الهجوم على الدورية الأمنية في شارع الهرم كان استهداف العميد جرير مصطفى، رئيس مباحث الجيزة، أثناء توجهه مع قوة أمنية لمواجهة واحدة من مظاهرات الإخوان.

وكان أول علاقة جمعت أجناد مصر بأنصار بيت المقدس عندما بدأ خلاف بينهما، حيثُ أصدرت الأجناد البيان رقم: ٢ وتبنت فيه عمليتي مترو البحوث وقسم شرطة الطالبية، وكشفت عن عمليات سابقة قامت بها، ومما جاء في بيانها أن عملية مترو البحوث هدفت للانتقام من القوات التي تواجه الأبرياء- بحسب وصف البيان- كل جمعة في إشارة لمظاهرات الإخوان، وأن عملية قسم شرطة الطالبية هدفها هو تحدي التصريح «المتعجرف لوزير الداخلية اللواء محمد إبراهيم» بخصوص الاقتراب من أقسام الشرطة، في إشارة لتصريح «اللي عايز يجرب يقرب»- على حد وصفهم- وآنذاك تم تجاهل هذا البيان من قبل وسائل الإعلام، حيثُ اهتموا فقط ببيان أنصار بيت المقدس، على الرغم أن أجناد مصر كشفت عن قيامها بـــ٣ عمليات سابقة، وهي استهداف نقطة محور ٢٦ يوليو في ٧ يناير ٢٠١٤، واستهداف كمين السواح في ٢٥ نوفمبر ٢٠١٣، واستهداف

---

[44]- المرجع السابق ذكره.

كمين عبود في ٢٠ نوفمبر ٢٠١٣، وفي اليوم التالي مباشــرة، وعلــى نحــو مفاجئ، أصدرت أنصار بيت المقدس الجماعة +الأشهر والأبرز، بيانًا اعتذرت فيه لأجناد مصر عن إعلانها تبني عمليتي مترو البحوث وقسم الطالبية، وقالت إنها أخطأت، وبررت الأمر بأن مجموعة أخرى تابعة لها- أي للأنصار- تعمل في نفس المنطقة، وأن المسئول أبلغ بالخطأ أن العملية تخصهم، وأشارت إلى أن أجناد مصر هي التي نفذت هذه العمليات، وهــو الأمــر الــذي دفــع بعــض المتخصصين للتأكيد على أن هذا البيان كان الهدف منه الإعلان عــن وجــود تنظيم آخر يدعى أجناد مصر وليس الاعتذار، نظرًا لأن بيانات أنصــار بيــت المقدس تحظى بتغطية موسعة على عكس أجناد مصر الذي كان تنظيمًا وليــدًا آنذاك، ومحصلة ذلك كله أن ثمة علاقة بين الطرفين«[٤٥]».

علاقة أجناد مصر بجماعة الإخوان

في البيان رقم ٤ أعلنت أجناد مصر عن تبنيها لحادث الانفجار الــذي أصــاب سيارة أمن مركزي يوم الجمعة ٧ فبراير الماضــي، وأســفر عــن إصــابة ٤ مجندين، وأشارت إلى أنها رصدت تحركات قوات الأمن والأماكن التي تتجمــع فيها كل يوم جمعة، لتفريق المظاهرات وزرعت عبوتين ناسفتين فــي ميــدان الجيزة، وتم استهداف قوات الأمن المركزي بالعبوتين، وكانت الإصابة مباشرة، لكن بعد بضع ساعات أصدرت حركة أخرى تدعى «ولع»، يرتبط نشاطها على شبكة التواصل الاجتماعي فيس بوك بجماعة الإخوان والتحالف الداعم لها- بيانًا تبنت فيه نفس الحادث، لكنها نفت استخدامها عبوتين ناسفتين في مهاجمة عربتي الأمن المركزي، مبينة أن كل ما تمتلكه الحركة زجاجات المولوتوف وبعــض الاختراعات البدائية، مثل قنابل الصوت والبلي وقنابل البيروســول، وجــاءت

[45]- المرجع السابق.

رواية أجهزة الأمن على لسان اللواء مصطفى رجائي، مدير إدارة الأمن المركزي، لترجح رواية أجناد مصر، حيثُ أكد أن الهجوم تم من خلال قنبلتين إحداهما يدوية وبدائية الصنع.

لم يعتذر أي تنظيم للآخر هذه المرة، مثلما حدث بعد الخلاف مع أنصار بيت المقدس، لكن حركة «ولع» حرصت على نفي أي علاقة بجماعة الإخوان عبر بوست على صفحتها الرسمية، قالت فيه: «بكل المواقع التابعة اللي بيتكلموا عن الحركة بيقولوا حركة ولع إخوانية وإرهابية، طبعًا الكلام ده عارٍ تمامًا من الصحة، واللي عايز يهري في الكلام.. مع نفسه».

وفي رواية أخرى لهذا الحادث تكشف تفاصيل مهمة حول علاقة أجناد مصر بالإخوان، حيثُ يقول أحمد مدحت، أحد شهود العيان على الحادث: «الساعة ٨ والثلث صباحًا كانت هناك مسيرة للإخوان تضم حوالي ٢٦ شخصًا أسفل الكوبري، والساعة ٩ والنصف لقيت المدرعات التابعة الأمن المركزي وصلت وقعدوا يجيبوا ورا وقدام وبعديها على حوالي الساعة عشرة إلا الثلث سمعنا تفجير القنبلة، وبعدها انفجرت القنبلة الثانية بحوالي نصف دقيقة، مشيرًا إلى أنه معروف لكل المترددين على المنطقة أن سيارات الأمن المركزي تقف في هذا المكان كل أسبوع».

الجيزة محور الأحداث

جميع العمليات التي تبنتها «أجناد مصر»، وقعت في محافظة الجيزة، والمناطق المحيطة بها، فقد وقعت تفجيرات يوم الجمعة ٢٤ يناير، نفذ التنظيم عمليتين إحداهما أمام كوبري البحوث والأخرى في محيط قسم شرطة الطالبية، وفي الجمعة التالية ١٣ يناير نفذ التنظيم عملية أخرى في مقر الإدارة العامة لقوات الأمن المركزي على طريق القاهرة الإسكندرية الصحراوي القريب من محافظة

الجيزة أيضًا، ثم انتهى الأمر بأن نفذ التنظيم آخر عملياته حتى الآن في ميدان الجيزة نفسه، هذه العلاقة التي يبدو أنها تربط التنظيم بمحافظة الجيزة كانت سببًا في حملة المداهمات الموسعة التي شنتها أجهزة الأمن على منازل قيادات جماعة الإخوان في الجيزة بمناطقها المختلفة، ويكفي هنا الإشارة إلى أنه تمت مداهمة منازل ٥٠ قياديًا إخوانيًا في منطقة المنصورية وحدها وفقًا لمصادر داخل الإخوان«[٤٦]».

جدل حول التنظيم

يرى خبراء متخصصون أن أعضاء «أجناد مصر»، تابعون لأنصار حازم صلاح أبو إسماعيل القيادي الإسلامي ومؤسس حزب الراية، ولأعضاء سابقين بجماعة الإخوان.انتقد أبو قتادة المصري القيادي الجهادي، عبر حساب يحمل اسم أنصار الخلافة على موقع يوتيوب تنظيم أجناد مصر، الذي تم الإعلان من خلاله عن تدشين حملة «القصاص حياة»، قائلاً: «إلي الإخوة في أنصار بيت المقدس، يطلعوا يوقفوا دول عند حدهم».. في إشارة إلى «أجناد مصر»، التوقيت ده توقيت مخابراتي بامتياز. وقال: أنا أتوجه بالشك هنا لأجناد الأرض.. دول شكلهم مخابرات أو إخوة متحمسين مش فاهمين تعقيد الصراع.
فيما تساءل الدكتور كمال حبيب، الخبير في شئون الجماعات الإسلامية، كيف عرف تنظيم أنصار بيت المقدس أن هناك خطأ حدث في عمليتي البحوث والطالبية، وأن هذه العمليات قام بها أجناد مصر وليس المجموعة التابعة للأنصار الموجودة في نفس المكان؟ قائلاً: إن هناك غموضًا واضحًا.
وأشار حبيب إلى أن هناك تشابهًا في اللغة المستخدمة ببيانات كل من أنصار بيت المقدس وأجناد مصر، ويذهب إلى أن الأخيرة هي جماعة مستنسخة من

---

[46] - المرجع السابق.

الأولى، مضيفاً: من الممكن أن تكون أجناد مصر هي جناح آخر لأنصار بيت المقدس، تسعى من خلاله إلى تشتيت أجهزة الأمن، وتخفيف الضغط الإعلامي وضغط الملاحقات الأمنية الذي تتعرض له الأنصار، أو ربما تكون الأنصار تمكنت من التواصل مع مجموعة من الشباب في منطقة الجيزة، وهي منطقة خصبة بالتيارات الإسلامية، وأصبح هناك عمل مشترك بينهما.

ويرى حبيب، أن التصنيف الأدق لجماعة أجناد مصر هو أنها تنتمي للتيار السلفي الجهادي، لكنه يشير في الوقت نفسه إلى أن مظاهرات جماعة الإخوان تضم على هوامشها بعض المنتمين لتيار السلفية الجهادية، بالإضافة إلى أن هناك مجموعات سائلة في المسافة التي تفصل بين الإخوان والسلفية الجهادية، لافتًا إلى أن هذا الخليط قد ينتج عنه تشكيل مجموعة عمل جديدة، لافتًا إلى أن هذه المجموعة، وإن حدث وضمت شبابًا من الإخوان، فإنها بالتأكيد منفصلة عن الإدارة المركزية للجماعة. وقال منير أديب، المتخصص في شئون الجماعات الإسلامية: إن جماعة أجناد مصر هي المسؤولة عن عملية تفجير سنترال ٦ أكتوبر.

وأكد أديب أن تلك الجماعة عبارة عن مجموعات بدائية صغيرة وعملياتهم بسيطة، ولم يسافروا إلى مناطق الصراع في أفغانستان وسوريا، وأن جزءًا كبيرًا منهم من أتباع الشيخ حازم صلاح أبو إسماعيل.

ولفت أديب، إلى أن تلك الجماعات الإرهابية ترى أن نشر الفوضى واستهداف مؤسسات الدولة سيضعف من الحكومة الحالية، وأن عملية جامعة القاهرة كانت أكبر عمليات أجناد مصر، أما بقية العمليات فكانت بدائية ولم ينتج عنها قتلى، وكان تأثيرها ضعيفًا، لذلك بدأوا في البحث عن طريق آخر لتركيع الدولة خارج حدود القاهرة، باستهداف مناطق غير مزدحمة كما حدث في ٦ أكتوبر. وأضاف أديب، أجهزة الأمن في مصر ضربت ٩٠ % من البنية التحتية لتلك الجماعات

الإرهابية.. ومع ذلك من الوارد وجود بعض الخلايا الصغيرة لهذه الجماعات ستحاول القيام ببعض العمليات الإرهابية في الفترة القادمة«[٤٧]».

كتائب «الذئاب المنفردة»

هي كتائب لمجموعة من الأشخاص غير منظمين، ولا يخضعون إلى قيادة جماعة، بل يعتمدون على أنفسهم، وأفكارهم التي تلقوها في الأغلب عبر الفضاء الرقمي.

تشكلت الذئاب المنفردة في مصر من شباب «السلفية الجهادية»، وأتباع «محمد الظواهري»، و«أحمد عشوش» تعتبر «الذئاب المنفردة» هي الجيل الرابع لتنظيم القاعدة، الذي يقوم على التمويل الذاتي المحدود والاستعانة بالمواد التي تدخل في صناعة المتفجرات، والتي يمكن الحصول عليها في الأسواق دون أن تلفت الانتباه.

عناصر تلك الجماعة، لا يترددون على المساجد، ولا يطلقون لحاهم، وظهرت عملياتهم كبديل عن عجز تنظيم القاعدة عن القيام بعملياته.

كان أول ظهور لـ«كتائب الذئاب المنفردة» في منتصف شهر نوفمبر الماضي، حيثُ أصدرت عدة بيانات، نشرتها شبكة شموخ الإسلام تبنت من خلالها بعض العمليات الإرهابية، من بينها تفجير المحول الكهربائي التابع للمخابرات الحربية بالزيتون«[٤٨]».

وتوالت البيانات لتعلن الحركة عن تبنيها عملية خطف ابنة قائد القوات الخاصة بالداخلية، ومهاجمة قسم شرطة شبرا الخيمة، ثم إصابة وقتل ضابط وأمين

47

48 - http://www.islamist-movements.com/2255

شرطة بالقسم، بالإضافة إلى مهاجمة كمين «أبو قيـر» بالإسكندرية وتفجير مدرعة للجيش، ومهاجمة قسم شرطة العطارين بالإسكندرية.

ومن أشهر البيانات التي أطلقتها الجماعة بيانًا أعلنت فيه عن أهدافها، والعمليات التي نفذتها خلال الفترة السابقة، قائلة فيه:

«من نعم الله على أرض الكنانة، أن فتح الله تعالى لها أبواب الجنان، بمنازلة أهلها لجنود الطاغوت، وخابت ظنون المنافقين وازدادت حيرة المرجفين، فبعد أن أهين أهلها وسلط عليها تل المعاصي، انتفض الرجال أولو البأس الشداد، لرفع الذل عن هذه الأمة، وراحوا يواجهون جند الكفر اللئام، بعد أن كشرت قوى الكفر عن أنيابها، وكشفت عن حقيقة وجهها القبيح، فراح يعتقل الذرية وينكل بالشيوخ ويعتدي على النساء، ويلقي بالشباب في غياهب السجون، ويحرق الزرع ويهدم البيوت».

وأضافت: «فمن أجل هذا انتفض إخوانكم في كتائب الذئاب المنفردة، وتمكنت سرية «الردع» بالكتائب، من خطف ابنة قائد القوات الخاصة بالداخلية، مدير عملية فض اعتصام رابعة، ولم يمسها الأخوة بأي أذى، ثم تركناها مقيدة في سيارة بمدينة أكتوبر، ومعها رسالة جاء فيها (نحن أيضًا نستطيع الوصول لكم في بيوتكم، ابتعدوا عن نسائنا وإلا أولادكم سيعتبرون هدفًا مباحًا لنا، فإن أمنتم أنفسكم فلن تستطيعوا تأمين أولادكم في مدارسهم ومعاهدهم وكلياتهم، وإن عدتم عدنا).».

وأوضحت «كتائب الذئاب المنفردة» في بيانها: «إن الكتائب تمكنت من مهاجمة قسم شرطة شبرا الخيمة، وأصابت وقتلت ضابطًا وأمين شرطة بالقسم، فضلاً عن مهاجمة كمين أبو قير بالإسكندرية وتفجير مدرعة للجيش، ومهاجمة قسم شرطة العطارين بالإسكندرية، وإطلاق نار كثيف عليه من داخل سيارة، وحاولت قوات القسم الرد، ولكن السيارة تمكنت من مغادرة المكان دون خسائر،

كما تمكنت الكتائب من قتل مجموعة من البلطجية، الذين يعملون مع الشرطة في دمياط ومدينة نصر».

وأشارت الجماعة الإرهابية في البيان، قائلة: «إن إخوانكم في سرية «المقاومة»، تمكنوا من إحراق محول الكهرباء الذي يغذي مبنى المخابرات العامة بحدائق القبة بالقاهرة، ما أدى لاحتراق المحول وانفجاره، وانتشرت النيران، وأحرقت السيارات المنتظرة بالجراج الملاصق».

واختتمت الجماعة بيانها قائلة: «إخوانكم في كتائب الذئاب المنفردة في أرض الكنانة، ماضون في جهادهم؛ حتى يحكم شرع الله تعالى البلاد والعباد، ونتوعدكم، يا عملاء اليهود والأمريكان، بما يقض مضاجعكم بإذن الله تعالى»«[٤٩]».

هذه الجماعات منتشرة في الخارج، وتعتمد على استنزاف الخصم، وفكرتها قائمة على تنفيذ عملياتها العسكرية بشكل منفرد لكل عضو فيها بهدف تحقيق أكبر قدر من الخسائر أمام الأجهزة الأمنية، التي تجد صعوبة في التعامل الأمني مع الأفراد المسلحين بشكل منفرد، إذا غابت عنها قاعدة المعلومات والبيانات، فإذا نجحت في القبض على أحدهم لا تستطيع القبض على آخرين بسبب عدم وجود رابط بين هذه المجموعات أو الأفراد، ودائمًا يكون التواصل بين هذه المجموعات من خلال شبكة الإنترنت التي يغيب عنها الرقابة الإلكترونية، التي تتيح لأجهزة الأمن القدرة على الوصول للجرائم الإلكترونية بسهولة شديدة.

استطاعت أجهزة الأمن القبض على أغلب المجموعات الجهادية من خلال القبض على شخص أو مجموعة، ومن خلال التحقيقات تستطيع أن تصل لباقي التنظيم. وقد حدث ذلك مع أغلب الجماعات الموجودة على الساحة؛ فتنظيم طلائع الفتح قبض عليه في ليلة واحدة بعض القبض على مجموعة اعترفت على

---

[49] - http://www.vetogate.com/840908

باقي المجموعات، كما قبض على أعضاء الجناح العسكري للجماعة الإسلامية وخاصة الذين وصلوا للقاهرة بعد فترة تدريب في الخارج بعدما اعترف بعضهم، وبالتالي فكرة التنظيم فكرة عبقرية لأجهزة الأمن، تستطيع من خلالها القبض على أطرافه وقياداته، وتستطيع أن تصل إليهم جميعًا طالما كان فيه رابط تنظيم بعدة أساليب تستخدمها لجان التحقيق التابعة لأجهزة الأمن.

وأكثر ما كان يزعج أجهزة الأمن وجود خلايا عنقودية للتيارات الجهادية؛ فمهما بذلت أجهزة الأمن مجهودًا للقبض على شخص؛ فإنها لا تستطيع الوصول إلا لمجموعة واحدة؛ لأنها لا تعرف غيرها ولا تتعاون مع أحد سواها؛ رغم أن بعضهم كان يعرف بعضًا بأسماء كودية؛ حتى لا يكشفوا بعضًا تحت وقع التعذيب، وعلى كل الأحوال الذئاب المنفردة فكرة جديدة ومختلفة في مصر، وتسبب صداعًا لأجهزة الأمن؛ لأنها تحتاج إلى تتبع لكل فرد فيها، وأخذ الاحتياطات الأمنية إزاء أي عمل قد تفاجأ بتنفيذه، وإن كانت تظن أن الأعمال الفردية سوف تكون ضعيفة، ولن تكون مؤثرة، ولكنها سوف تحدث اضطرابًا، وتثير قلاقل، وتجهد أجهزة الأمن في البحث وأخذ احتياطات درجة التأهب القصوى.

كتائب الذئاب المنفردة منتشرة في الخارج، وتعتمد على استنزاف الخصم، دائمًا يكون التواصل بين أعضائها من خلال شبكة الإنترنت، تمثل الذئاب المنفردة الجيل الجديد لتنظيم القاعدة، وإن كان اسمها يختلف في المسمى، ولكنه في نفس الوقت يتفق مع القاعدة في المضمون؛ فهؤلاء الشباب تربوا على أفكار القاعدة في بلدانهم، ولكنهم لم يتمكنوا من الارتماء في حضن التنظيم، فكان البديل الاستفادة من قدرته على تنفيذ العمليات، ولكن بطريقة منفردة ترهق أجهزة الأمن، وتحقق آلامًا موجعة في تفاصيل جسد الدولة والأمن معًا، وقد استفادت

الذئاب المنفردة من وضع التنظيمات الجهادية التي تسقط بحكم الشبكة التنظيمية، ولذلك كانت فكرتها حول العمل التنظيم من خلال شخص واحد.

يطلق عليها البعض الجنود التائهة، في محاولة لتعريب المسمى منه لأسلمة هذه الكتائب، التي نشأت في أحضان الغرب، الذي لم يعرف الحركات الجهادية الدينية، وإن كانت هناك مجموعات مافيا مسلحة ومنظمة؛ ولكن تظل الطريقة واحدة بينها وبين المجموعات الأخرى في أوربا، والتي تشبه المافيا، ولكنها تفتقد إلى التنظيم كما ظهرت في بريطانيا والولايات المتحدة؛ تقوم بتنفيذ العمليات بشكل مفاجئ ودون سابق إنذار، وقد يكون أعضاؤها مجموعات صغيرة ولكنها متناهية الصغر، وربما لا تعرف هذه الأعداد عن بعضها الكثير في محاولة للحفاظ على الأفراد كإستراتيجية أمنية.

شكلت هذه المجموعات من أفراد غير معروفين للأجهزة الأمنية، وبالتالي حاولوا أن يدخلوا في تشكيلات تنظيمية بأن تظل بعيدة عن الرصد، وأصبحت وسائل التجنيد عبر الإنترنت هي الطريقة المعتمدة لدى هذه الكتائب التي ظهرت في نوفمبر ٢٠١٣.

أغلب عمليات هذه الكتائب، إما قنصًا لأفراد الشرطة أو اعتداء على أقسام الشرطة أو كمائن، ولم يتخصصوا في التفجيرات التي تستلزم إمكانيات لوجيستية هائلة، لا يستطيع أن يقوم بها شخص واحد. ويبدو من شعار الجماعة الذي ترفعه الفردية في تنفيذ العمليات؛ يتكون الشعار من شكل لولبي يحوي كلمة التوحيد، لا إله إلا الله محمد رسول الله، ورجل ملثم يحمل سلاحه، بينما يرتكن الشعار على بندقيتين.

تحاول هذه الكتائب أن تستخدم سلاح الردع في ضرب الخصوم من خلال الإعلان على القبض على ابنة من قالوا إنه بطل فض اعتصام رابعة العدوية وإطلاق سراحها فيما بعد، والتشهير بذلك عبر أحد بياناتهم بالقول: «نحن أيضًا

نستطيع الوصول لكم في بيوتكم، فابتعدوا عن نسائنا، وإلا فأولادكم سيعتبرون هدفًا مباحًا لنا، وإن أمّنتم أنفسكم، فلن تستطيعوا تأمين أولادكم في مدارسهم ومعاهدهم وخروجهم، وإن عدتم عدنا».

نجحت الكتائب في استهداف المولد الكهربائي الذي يغذي مبنى المخابرات العامة بمنطقة حدائق القبة واختراق الجراج المجاور، فضلاً عن استهداف عدد من الضباط بطريقة بدائية تعتمد على أشخاص محدودين دون تنسيق خلية أو سرية، وبالتالي لم نشاهد أي تسجيلات مرئية لهذه المجموعات الصغيرة والتي تعتمد في تنفيذ عملياتها على أقل الأعداد قدر الإمكان.

تلمح من خلال البيانات التي صدرت عن الكتائب أن جهاديين قدامى وراء هذه الفكرة؛ حتى تلحظ عبارة «إن عدتم عدنا»، والتي استخدمها هؤلاء الجهاديون أثناء التحقيقات معهم في أحداث العنف في التسعينيات من القرن الماضي، وبعضهم كان يرددها، وأصبحت جزءًا من خطابه بعد ثورة ٢٥ يناير، والتي أتاحت لهم فرصة التحرك بأريحية.

تظل المجموعات الجهادية في الوجه البحري لا تأخذ أشكالاً تنظيمية، على غرار الجماعات التي نشأت في شبة جزيرة سيناء، والتي كانت تتحرك بحرية نظرًا لطبيعة الأرض التي كانت تحميهم من الاستهداف، والنظام القبلي الذي فرض نوعًا من الحماية، وتخاذل الدولة في معاقبتهم، فضلاً عن أن تجارب الوجه البحري من خلال التنظيمات المسلحة كانت مخزية، حيثُ تم القضاء على أغلب هذه التنظيمات من ناحية، وتوبة بعضها من ناحية أخرى، فضلاً على لجوء مجموعات جديدة للعنف بعضها كانت خبرته منعدمة والبعض الآخر لديه تجربة ربما دفعته للعمل بطريقة منفردة؛ حتى لا يقع تحت أسر أخطاء التنظيمات التي تصبح سببًا في القبض على أعضاء كثيرين لمجرد القبض على أحد أفراد المجموعة.

ولكن تبقى عمليات هذه الكتائب متواضعة وتأثيرها ضعيفاً حتى هذه اللحظة، بسبب قلة الأعداد من ناحية، والأخطاء التي يقع فيها أعضاؤها نتيجة انعدام التواصل مع أصحاب الخبرة من ناحية أخرى، والأهم من هذا وذلك تأثيرها الضعيف بل والمنعدم، فلم تعد قادرة على ضم أفراد جدد لها، حتى ظلت مجرد فكرة تلقى هوى البعض بين الوقت والآخر، ولكنها قادرة على إعادة الإنتاج الغزير في ظل بيئة تجارب الإرهاب بكل ما تملك«[٥٠]».

وجدير بالذكر أن السلطات المصرية تمكنت من إلقاء القبض على صاحب نشر البيانات لكتائب الذئاب المنفردة. وكشفت مصادر مطلعة أن تحريات الأجهزة الأمنية كشفت أن المتهم كان يحمل الجنسية الأميركية وهو من أصل مصري، وتواصل مع عدد من العناصر الإرهابية عبر مواقع التواصل الاجتماعي عن طريق إرسال رسائل إلكترونية لأفراد التنظيم دون أن يعلم كل من أعضاء التنظيم بباقي الأعضاء، على أن يكون كل فرد خلية بمفرده، ويقوم بالتخطيط وتنفيذ عمليات إرهابية بمفردة، وذلك في إطار التخفي وتلاشي الرصد الأمني.

وكشفت المصادر إلى أن المتهم صاحب رسالة «الذئاب المنفردة»، حاصل على رخصة تدريس دولية من الولايات المتحدة الأميركية، تمكنه من التدريس في أي دولة، ودرس قبل ذلك في ألمانيا، وماليزيا، ومصر، ومازالت التحقيقات جارية، وجارٍ البحث عن بقية أعضاء التنظيم«[٥١]».

---

[50]- منير أديب، الفشل الحتمي: العنف بين مبررات الإخوان وواقع الحركة الإسلامية (٢-٢)، http://www.acrseg.org/10055

[51]- الموقع الإلكتروني لجريدة اليوم السابع، http://www1.youm7.com/story/2014/11/10/%D8%AD%D8%A8%D8%B3__%D8%B5%D8%A7%D8%AD تاريخ الاطلاع ٢٠١٤/١١/٢٢

جماعة جند الإسلام

تعد جماعة «جند الإسلام» أحد التنظيمات المنشقة عن جماعة «التوحيد والجهاد»، التي أسسها خالد مساعد في العريش، والتي نفذت تفجيرات طابا ونويبع، وتعرضت لحملات أمنية موسعة أدت إلى مقتل قادتها وتفككها إلى عدد من الحركات، التي تعافت بدورها في عهد المعزول محمد مرسي، الذي عمل على توفير الجو المناسب لتنامي الجماعات الإرهابية.

وتعتبر «جند الإسلام» من أخطر الجماعات والتنظيمات المسلحة، حيثُ إنه من أكثر التنظيمات تسليحًا، كما أنه يمتلك أسلحة ثقيلة متطورة ومنها الـ «آر بي جي» وقذائف الهاون ومدافع الجرينوف، وهي جماعة تتركز في جبل الحلال وجبال المهدية، التي تعتبر أهم قاعدة عسكرية له في شن هجمات على إسرائيل، وهو تنظيم يضم عددًا من العناصر الفلسطينية.

وعقب ثورة يناير انضم هذا التنظيم لتنظيم «أصحاب الرايات السوداء» تحت اسم تنظيم «جند الإسلام»، وأصبح هذا التنظيم ينتشر انتشارًا واسعًا في سيناء حتى أن أعضاءه أعلنوا عن تحويل سيناء لإمارة إسلامية عقب ثورة يناير، وهو نفس التهديد الذي أعلنه عقب الإطاحة بالمعزول مرسي، حيثُ أكد التنظيم في بيان له على إعلان شبه جزيرة سيناء إمارة إسلامية، وخوض حرب شرسة مع قوات الجيش لإجلائه عنها في حالة عدم عودة مرسي.

إلا أن تهديدات الجماعة ذهبت أدراج الرياح بعد مرور شهور على عزل مرسي دون فصل سيناء كإمارة مستقلة؛ إلا أن الخطر الإرهابي لـ«جند الإسلام» لم ينته، بل استمر خاصة مع تبني الحركة لعدد من العمليات الإرهابية في سيناء، حيثُ أعلنت في وقت سابق مسؤوليتها عن هجومين بسيارتين مفخختين ضد الجيش، أوقعا ستة قتلى في منطقة قريبة من مدينة رفح على

الحدود مع قطاع غزة متهمة عناصر الجيش المصري باستهداف «المسلمين العزل» خلال الهجوم الواسع النطاق الذي بدأه الجيش لمواجهة الإسلاميين المتشددين في سيناء«[52]».

هذه الجماعة ظهرت لمرة واحدة ثم اختفت مرة ثانية، ولعل تفجير مبنى المخابرات الحربية برفح في ١٢ سبتمبر ٢٠١٣، بمثابة العمل الأول والأخير في حياة هذا التنظيم، الذي انضم لأنصار بيت المقدس على أرجح الأقوال. قام هذا التجمع بتعريف نفسه قائلاً: «إنه تجمع نشأ في إطار توحيد عدة كتائب عسكرية وجهات مدنية تؤمن، وتنطلق في عملها من كون الشريعة الإسلامية هي المنهاج الذي يقاد به الإنسان وينصلح عليه حال البلاد والعباد بغية توحيد العمل الإسلامي ورص الصفوف انطلاقًا من هذه المنطقة، وتلافيًا مع كل المشاريع المشابهة الأخرى لتحقيق الهدف الأسمى؛ ولتعود الرقاب كما التراب الإسلامي تحت ظل راية الإسلام ودولته التي خسرها المسلمون زهاء قرن». كما ترى في أدبياتها، أن الحكم لله وحده، ونظام الحكم هو شرائع الإسلام الذي ارتضاه ربنا للبشرية كدين يتعبد به ونظام حياة شامل وكامل على حد سواء، والإيمان بأن الإسلام بمصادر الشريعة تشكل برنامج الحياة المتكامل بكل جوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وقالت الجماعة، في بيان لها، إنه «تم استهداف موقعين أمنيين كبيرين من بينهما وكر المُخابرات الحربية في رفح والذي تهاوى عن بكْرة أبيه، وذلك بانطلاق أسدين من كتيبة الاستشهاديين بجماعة جند الإسلام، وسيتم عرض تفاصيل العملية في إصدار مرئي قريبًا بعون الله».وأشارت إلى أن ذلك جاء ردًا

---

[52]- إيمان علي، جند الإسلام «الإرهاب على الطريقة التفجيرية»، الموقع الإليكتروني لفيتو.
http://www.vetogate.com/704499

على ما وصفتها بـــ «لجميع المجازر الوحشية»، التي اتهمت الجيش المصـــري بتنفيذها خلال حملته لملاحقة المسلحين، المستمرة منذ أســـابيع، إثـــر تصـــاعد الهجمات ضد أفراد الجيش والشرطة عقب الإطاحة بالرئيس محمد مرسي فـــي الثالث من يوليو٢٠١٣.

اعتبرت أن ما يجري هو «حرب مُباشرة على الإسلام والمُسلمين مـــن استهداف مُباشر للمُسلمين العُزّل وتدمير المساجد وحرق الجُثث والاستيلاء على ممتلكات المُعارضين كغنائم حرب، ومرت هذه الجرائم والمجازر تحت تعتـــيم إعلامي كبير».

تابعت الجماعة: «لم تتوقف هذه الجرائم حتى كتابة أسطر هذا البيـــان، والتي كان أحدثها الحملة العسكرية المُشتركة مع طائرات العدو اليهودي علـــى أهالي سيناء لتأمين حدود اليهود، فتم حرق الممتلكات ومنازل الأهالي وقـــنص أحد المُصلين أثناء عودته من صلاة الفجر، وقتل عجوز مُسنة داخـــل منزلهـــا بإحدى قُرى الشيخ زويد».

وأشارت إلى «استهداف أكثر من مسجد وتدمير بعضها بالكلية، بالتزامن مع تهجير السكان من مدينة رفح المصرية وطردهم من منـــازلهم وتفجيرهـــا؛ لتوفير منطقة عازلة خدمة لأسيادهم اليهود ومحاصرة المسلمين في غزة بالنيابة عن اليهود».

«جهاديون»: «جند الإسلام» جماعة تابعة لـــ«القاعدة» ولها عناصر تابعة لـــ«حزب الله»

قال عدد من قيادات تنظيم الجهاد إن جماعة «جند الإسلام» تابعة لتنظيم القاعدة، ومخططاتها ستتزايد الفترة المقبلة، كونها تنتهج أسلوب وقواعد تنظيم القاعدة، لكنها تحت مسميات مختلفة، كما اعتبروا أن استمرار الجماعات الجهادية في

تنفيذ مخططات التفجير بالمباني التابعة للجيش في سيناء هو رد فعل على القصف العشوائي لمنازل أهالي سيناء، واستمرار الجيش في مطاردتهم.

أكد عبد الحميد صبح، القيادي بالسلفية الجهادية بسيناء لـ«المصري اليوم» أن «جند الإسلام» جماعة جهادية موجودة في سيناء منذ فترة طويلة، ولها بعض العناصر في لبنان تحت مسمى «جند الله»، وتنتميان إلى تنظيم القاعدة، وتقوم «جند الإسلام» بأعمال كثيرة، لكنها لأول مرة تعلن عن قيامها بهذه التفجيرات الأخيرة، التي حدثت في مبنى المخابرات بشكل علني.

أضاف «صبح» أن هذه الجماعات تتباهى بنسب التفجيرات لها، كونها تابعة لتنظيم القاعدة، فهي تضم شقين: شق مصري باسم «جند الإسلام الجهادي»، وشق لبناني تحت اسم «جند الله» متواجد في لبنان تابع لحزب الله، موضحًا أن تفجيراتهم مقر المخابرات يعد جزءًا من التفجيرات التي يسعون لها، كما أنها رد فعل على القصف «العشوائي»، الذي يقوم به الجيش للمنازل في سيناء، حسب قوله.

وطالب القيادي بالسلفية الجهادية الجيش بالتهدئة، والتعامل السياسي مع الأحداث في سيناء، والتوقف عن استخدام أسلوب التعامل الأمني، حسب قوله، قائلاً «أرجو أن يتوقف عن القصف العشوائي ويغير سياساته، وأن يقوم باعتقال أي أحد دون إطلاق رصاص أو قتله، فهناك قصف عشوائي دون تمييز وهذا يعد ظلمًا لأهالي سيناء»، حسب قول «صبح».

من جانبه أكد نبيل نعيم، مؤسس تنظيم الجهاد في مصر، أن «جند الإسلام» تعد جماعة مسلحة تابعة لتنظيم القاعدة، وتنتهج أسلوب وقواعد القاعدة في التفجيرات، متوقعًا قيامها بتنفيذ عمليات ومخططات أخرى قادمة، لكن بعد

فترة زمنية وجيزة تتراوح ما بين أسبوعين وشهر، موضحًا أن العمليات الإرهابية لن تخرج عن حيز سيناء.

وأضاف لـ«المصري اليوم» أن هذه الجماعات المسلحة تدعمها قيادات جماعة الإخوان، الذين كانوا يخططون للبقاء الأبدي في السلطة، لذلك استعانوا بالجماعات الجهادية لإرهاب الشعب المصري حال التفكير في الإطاحة بهم، أو في محاولة إفشال مخططهم للسيطرة على الحكم، موضحًا أنه سيتم خلال الفترة المقبلة ظهور جماعات أكثر على الساحة السياسية في ظل عمليات الجيش في سيناء حسب قوله.«[٥٣]»

من أهم أهدافها، إقامة دولة الإسلام وإعادة تطبيق الشريعة الإسلامية في مجالات الحياة كافة؛ وهذا التنظيم له عدة أذرع في سوريا وفلسطين ومصر ودول أخرى، فتجمع «جند الإسلام» يوجد غالبًا في الدول التي يشتد فيها صراع التيارات الجهادية، وهذا التجمع قريب الصلة من السلفية الجهادية والقاعدة، نشأوا وترعرعوا في سيناء نظرًا للظروف التي أتاحت لهم فرصة التمدد، ولكنهم سرعان ما اندمجوا مع أنصار بيت المقدس نظرًا لتوحد الهدف، فكانت عملية رفح العملية الأولى والأخيرة للتنظيم الذي أطل برأسه مرة واحدة.

لذلك أعلنت هذه الجماعة تبنيها عملية تفجير مبنى المخابرات برفح والتي راح ضحيته ٦ شهداء من الجنود وأصيب ١٧ آخرين في نفس يوم العلمية. وقالت الجماعة، في البيان الذي تبنت فيه العملية، شهد الجميع المجازر الوحشية التي قامت بها العصابة المُجرمة المُتمثلة في ميليشيات السيسي من خونة الجيش المصري، الذين باعوا دينهم وضمائرهم بثمن بخس، واتضح

---

[53] - http://www.assakina.com/center/parties/31479.htm

التوجه الحقيقي لهؤلاء الخونة من الحرب المُباشرة على الإسلام والمُسلمين، من استهداف مُباشر للمُسلمين العُزّل وتدمير المساجد وحرق الجُثث، والاستيلاء على ممتلكات المُعارضين كغنائم حرب، ومرت هذه الجرائم والمجازر تحت تعتيم إعلامي كبير، والتي كان أحدثها الحملة العسكرية المُشتركة مع طائرات العدو اليهودي على أهالي سيناء لتأمين حدود اليهود، فتم حرق الممتلكات ومنازل الأهالي وقنص أحد المُصلين أثناء عودته من صلاة الفجر، وقتل عجوز مُسنة داخل منزلها بإحدى قُرى الشيخ زويد، وتم استهداف أكثر من مسجد وتدمير بعضها بالكلية بالتزامن مع تهجير السكان من مدينة رفح المصرية وطردهم من منازلهم وتفجيرها؛ لتوفير منطقة عازلة خدمة لأسيادهم اليهود ومحاصرة المسلمين في غزة بالنيابة عن اليهود، ولذلك كان لزامًا على إخوانكم في جماعة جند الإسلام سرعة الرد على هذه الجرائم.

أضاف البيان المفصل أنه تم استهداف موقعين أمنيين كبيرين، من بينهما وكر المُخابرات الحربية في رفح والذي تهاوى عن بكرة أبيه، وذلك بانطلاق أسدين من كتيبة الاستشهاديين بجماعة جند الإسلام، بارك الله في الجهود التي تكللت بتنفيذ عمليتين استشهاديتين، كرد سريع وعاجل على هذه الجرائم باستهداف مُباشر للعقول المُدبرة لهذه الجرائم، والتي تلوثت أيديهم بدماء الأبرياء والخيانة مع العدو، ونعاهد الله ثم نعاهد قبائل سيناء الأبية الثأر المُزلزل ضد هذه الجرائم الوحشية، ولن تكل سواعدنا عن الثأر للأعراض المُنتهكة والدماء المُسالة؛ حتى يعم الإسلام وتحكم الشريعة ويسود العدل في أرض الكنانة.«[٥٤]»

---

[54]– منير أديب، الفشل الحتمي: العنف بين مبررات الإخوان وواقع الحركة الإسلامية (٢-٢)، http://www.acrseg.org/10055

كتائب الفرقان

ظهرت هذه الجماعة في سيناء، ولكنها كانت قريبة من باقي التيارات الجهادية هناك، ودخلت في شراكة معها ضمن ما يسمى بمجلس شورى المجاهدين؛ حتى تلاشت مع تنظيمات جهادية أخرى بهدف توحيد الصف؛ وحتى يكونوا يدًا على أعدائهم؛ فرغم أنها نجحت في تنفيذ عمليات نوعية، أعلنت عنها بنفسها؛ إلا أنها آثرت أن تنضم لجماعة أنصار بيت المقدس، فيصبح كلا التنظيمين تنظيمًا واحدًا، وبالتالي تماهى التنظيم الكبير في تنظيم آخر، وهو ما أعطى قوة وبأسًا لأنصار بيت المقدس.

وفي بداية عمليات العنف بعد ٣٠ يونيو كان يتسابق كلا التنظيمين في إعلان مسئوليته عن العملية، وكانت تكثر التكهنات حول المنفذ، كتائب الفرقان أم أنصار بيت المقدس؟. من أهم العمليات التي قامت كتائب الفرقان بتنفيذها قبل أن تنضم لأنصار بيت المقدس، استهداف العقيد أركان حرب، محمد الكومي، رئيس استطلاع الوحدة الثامنة دفاع جوي، وكان ذلك من خلال كتيبة النصرة التابعة لكتائب الفرقان، وقد نجحت الجماعة في قتل ثلاثة آخرين كانوا بالسيارة مع العقيد الكومي، كما جاء بنفس الفيديو قيام الجماعة باستهداف رجل قالت إنه من الطغاة والمرتدين. كما استهدفت السفينة الصينية الصينية «كو سكو آسيا» بقذائب آ ربي جي، في ٣٠ أغسطس ٢٠١٣. وقد ظهر في التسجيل المرئي الذي نشرته الجماعة للعملية الفاشلة بعد أيام قليلة من تنفيذ العملية ومدته خمسون ثانية، ملثمان يطلق كل منهما صاروخًا على السفينة أثناء عبورها دون وقوع أي إصابات وسط صيحات التكبير في أحراش بالقرب من المجرى الملاحي لقناة السويس.

العجيب أن الجماعة قالت في بيان لها: إنها ستعاود مهاجمة المجرى مرة ثانية وتوجيه ضربات قاصمة للنظام وأعوانه ومؤسساته، وهو ما فشلت في تحقيقه بسبب التحصينات الأمنية، وختمت بيانها بأن صناديق الذخيرة أبلغ من صناديق الانتخابات، وأنها سوف تظل على عهدها؛ حتى تكون كلمة اللــه هي العليا.

واللافت للنظر من كلتا العمليتين من خلال التسجيل المرئي سواء مقتل العقيد محمد الكومي، والتي كانت عبارة عن دقيقتين و١٨ ثانية، لم تكن كلها لضرب «الكومي»، وإنما سبقها مقطع يظهر فيه أحد أعضاء التنظيم يقوم بتصفية من قالت عنه إنه مرتد، وقامت بإعادة المقطع مرات ومرات دون أن تصحبه أي مقاطع صوتية للظواهري أو أسامة بن لادن أو غيرهم من دعاة التكفير كما في تسجيلات أخرى لجماعات وتيارات جهادية.

وقد ظهر شعار كتائب الفرقان أعلى التسجيل المرئي، وهو عبارة عن علم أسمر كُتبت عليه عبارة التوحيد، لا إله إلا الله، وكتب تحتها كتائب الفرقان، وقد أشارت إلى جبهة النصرة التي تدافع عن المستضعفين في الأرض وكتبت، رابعة العدوية والنهضة والحرس الجمهوري، وغيرها من تجمعات الإخوان التي كانت تطالب بعودة «مرسي» للسلطة مرة أخرى.

وأغلب التكهنات تذهب إلى أن هذه الجماعة نفذت أكثر من عملية، ولكن لم يسعفها الحظ إلا الإعلان عن هاتين العمليتين، قبل أن تنضم لجماعة أنصار بيت المقدس، ولعل هذا هو السر وراء بعض العمليات التي لم تعلن جماعات جهادية تبنيها حتى هذه اللحظة، فقد تكون هذه الجماعة نفذتها ثم انضمت

لأنصار بيت المقدس أو حتى جماعة جند الإسلام، ثم نُسيت هذه العملية فيما بعد أو نسيها التنظيم الذي غيّر جلده بعد أن انضم لتنظيم آخر«[55]».

لم يكن استهداف محطة الأقمار الصناعية بمنطقة المعادي بقذيفة صاروخية هو الظهور الأول لـ«كتائب الفرقان»، التي أعلنت مسؤوليتها عن الحادث، فقد أعلنت تلك الكتائب من قبل عن مسؤوليتها عن حادث إطلاق قذائف على سفينة صينية أثناء عبورها قناة السويس.

إن «كتائب الفرقان» هي أحدث الجماعات الإرهابية الأكثر نشاطًا في سيناء، مشيرًا إلى أنها من الجماعات التكفيرية المرتبطة بتنظيم القاعدة. وأن هذه الحركة كيان إقليمي واسع موجود في سوريا ضمن إطار حركة «أحرار الشام» الإسلامية، مشيرًا إلى أنه تم الإعلان عن إنشائها في مالي؛ حيثُ تبنت عددًا من العمليات هناك، واستطاعت استقطاب عدد من المصريين للانضمام إليها، وقُتل مصريان هناك أثناء إحدى العمليات، وهما محمد الصعيدي وآخر يدعى خطاب.

«أن هذه الكتائب في مالي شاركت في القتال ضد القوات الفرنسية هناك وقتل قائدها، بعدها قامت القاعدة بتعيين قائد آخر موريتاني من أصل ليبي، واعتقد أنها تضم مجموعة من العرب والأجانب».

«لم تكن عملية المعادي هي الأولى لها؛ حيثُ قامت بعمليتين من قبل الأولى إطلاق قذيفة (آر بي جي) على سفينة صينية أثناء عبورها قناة السويس، والثانية قتل العقيد أركان حرب محمد الكومي، رئيس استطلاع الفرقة الثامنة دفاع جوي، على طريق إسماعيلية – الصالحية والثالثة حادث القمر الصناعي».

---

[55]- منير أديب، الفشل الحتمي: العنف بين مبررات الإخوان وواقع الحركة الإسلامية (٢-٢).
http://www.acrseg.org/1005

وهناك احتمالية انتماء تلك الكتائب إلى جماعة مجلس شورى المجاهدين «أكناف بيت المقدس»، أو على الأقل وجود تنسيق كامل بينهما في الأدوار والتخصص؛ نافيًا انتماءها لحركة حماس- كما تردد - مؤخرًا. وأن أكناف بيت المقدس تخصصت في القيام بعمليات عبر استخدام السيارات المفخخة، أما «كتائب الفرقان» فتخصصت في الهجوم المسلح على أهداف محددة، فيمكن القول إنها فرع منها، والاثنان متماثلان في فكرهما مع الجماعات الإرهابية التابعة للقاعدة.

ونقلت هذه الكتائب عملياتها من سيناء إلى القاهرة، وهو ما يشير إلى حدوث تغير نوعي في أداء مثل هذه الجماعات، بالإضافة إلى محاولة تخفيف الضغط عليهم في سيناء؛ متوقعًا وقوع المزيد من العمليات على محور الإسماعيلية الصالحية خلال الفترة المقبلة من خلال استهداف الكمائن الأمنية.

جدير بالذكر أن «كتائب الفرقان» قد أصدرت بيانًا تعلن مسؤوليتها عن تفجير القمر الصناعي «نايل سات»، وأكدت أن معركتها التي تخوضها هي معركة مصير مع ما وصفوه بالقوى، التي عقدت النيّة على محاولة «استئصال» الإسلام من أرض مصر، وأظهر الفيديو الذي نشرته الكتائب مشاهد لرصد محطة الأقمار الصناعية قبل تنفيذ العملية بتصوير أسوار المحطة، ودراسة القوات التي تتولى تأمينها، والشوارع المحيطة بها «[٥٦]».

وخصصت كتائب الفرقان أحد بياناتها للإعلام وقالت: «ليعلم إعلام الكفر أننا قادمون وعلى وشك القضاء عليه».. وكتائب الفرقان لديها خلية نائمة،

---

[56] عمرو والي، «كتائب الفرقان».. اسم جديد في ساحة الإرهاب، http://www.masrawy.com/News/ تاريخ الاطلاع ٢٠١٤/١١/١٧.

تعمل تحت لوائها تسمى كتيبة النصرة، وهي التي نفذت عملية اغتيال العقيد أركان حرب محمد الكومي بطريق الإسماعيلية.

جميع الدلائل لم تكشف بعد أن أنصار بيت المقدس وكتائب الفرقان جماعة واحدة أم جماعتان منفصلتان؟ أم أن كتائب الفرقان هي أحد أفرع جماعة أنصار بيت المقدس باعتبار أن بيت المقدس الجماعة الأم التي نفذت أول عملية إرهابية بحق الجيش والشرطة في سيناء؟ والجماعة الأولى التي أعلنت عن نفسها في سيناء، وكذلك الجماعة الأولى التي استطاعت اختراق الحاجز الأمني لرأس الهرم الأمني في مصر وزير الداخلية اللواء محمد إبراهيم؟.

وتشير جميع الأحداث إلى أن الجماعتين متشابهتان في كثير من الأشياء أولها: الاهتمام داخل الجماعتين بالشأن الإعلامي، والتركيز على إبراز ضربات الجماعتين في وسائل الإعلام عبر بيانات وفيديوهات، وهو الأمر الذي يعكس عقلية إدارة الجماعتين ورغبتهما في توصيل فكرهما للإعلام مهما كان جيدًا أم حسنًا، وهذا ما تأكد في البيان الأخير لكتائب الفرقان، ففي الفقرة قبل الأخيرة، وردت عبارة في غاية الخطورة نصها: «ليعلم إعلام الكفر أننا قادمون وعلى وشك القضاء عليه»، وهي العبارة القاطعة بأن أنصار بيت المقدس وكتائب الفرقان بقدر ما يستهدفان الشرطة والجيش، بقدر ما يستهدفان أيضًا التأثير في الرأي العام عبر الإعلام «[٥٧]».

قال ثروت الخرباوي، المفكر السياسي والقيادي السابق بجماعة الإخوان المسلمين، إن جماعة أنصار بيت المقدس وكتائب الفرقان فرعان من جماعة

---

[57] - «كتائب الفرقان».. كلمة السر للإرهاب داخل مصر، http://www.albawabhnews.com/296052

الإخوان المسلمين، مضيفاً أن المعادلة بعد ٣٠ يونيو تغيرت بالنسبة لتنظيم الإخوان بعد تلقيه ضربات موجعة من الأمن والمواطنين «[٥٨]».

كتائب أنصار الشريعة بأرض الكنانة

هذا التنظيم نشأ مطلع ٢٠١٤ وإن كان متأثرًا بتنظيم الطليعة السلفية المجاهدة، التي أنشأها أحمد عشوش في نوفمبر ٢٠١٢ أثناء حكم الرئيس محمد مرسي، والتي كانت ترى في كل الآليات الديمقراطية كفرًا بواحًا، وأعلنت كفرها بكل هذه الوسائل من منطلقات شرعية.

جماعة أنصار الشريعة بأرض الكنانة اتخذت العمل الدعوي والخيري حاضنة للأفكار، التي ظلت كامنة بعد ثورة ٢٠١١ وحتى صعود مرسي للسلطة، واضطر أصحابها أن يعبروا عن الوجه الآخر فور سقوطه؛ ومعروف أن هذا التنظيم له أصول في عدة أقطار أخرى في مقدمتها، تونس وليبيا والمغرب واليمن.

النص الكامل للبيان التأسيسي لـــ«أنصار الشريعة بأرض الكنانة»

وينص على: «قال الله تعالى (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ)، الْحَمْدُ لله وَحْدَهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على الضَّحُوكِ الْقَتَّالِ الْقَائِلِ جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَتْ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ على مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَبَعْدُ:

[58]- الموقع الإلكتروني لجريدة البورصة، http://www.alborsanews.com/2013

أمَّتَنَا الْغَالِيَةَ...

إنّ أشدَّ ساعَاتِ اللَّيلِ ظُلْمَةً قبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ، وَهَا هُوَ نورُ فَجْرِكِ قَدْ لَاحَ، فَبَعْدَ طُولِ ظُلْمَةٍ مِنْ الظُّلْمِ وَالْفَسَادِ، وَانْتِهَاكِ حُرُمَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وقَبْلَ كُلِّ ذَلكَ مُحَارَبَةُ شَرْعِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، ومُنَاصَرَةُ الْكَافِرِينَ مِنْ نَصَارَى وَعَلْمَانِيِّينَ، فَهَا هُمْ رِجَالُكِ يَتَجَرَّعُونَ كئُوسَ الذُّلِّ وَالْهَوَانِ لَمَّا حَادُوا عَنْ سَبِيلِ الْعِزِّ وَالْجِهَادِ، وَأَسْلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَأُمَّتَهُمْ إلى أَهْلِ التَّثْبِيطِ وَالْإِرْجَافِ مِمَّنْ اتَّخَذُوا الدِّيمُقْرَاطِيَّةَ سَبِيلاً، ولَمْ يَرْضَوْا عَنْ السِّلْمِيَّةِ بَدِيلا؛ اسْتِجْدَاءً وَإِرْضَاءً لِجَيْشٍ عَمِيلٍ لَمْ يُرَ لَهُ سَهْمٌ إِلَّا فِي ظُهُورِ الْمُسْلِمِينَ، وَشُرْطَةٍ مُرْتَدَّةٍ تُحَارِبُ كُلَّ مَظَاهِرِ الدِّينِ.

أَخَوَاتِنَا...

مَعْذِرَةً إِنْ كُنَّا قَدْ تَأَخَّرْنَا عَنْ نُصْرَتِكُمْ– وَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا –فَإِخْوَانُكُمْ قَدْ تَبَايَعُوا على الْمَوْتِ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ، وَالثَّأْرِ لَكُنَّ، ولِتَعْلَمُوا أُنَّ فِي الْأُمَّةِ رِجَالاً بَاطِنُ هَذِهِ الْأَرْضِ خَيْرٌ لَهُمْ، مِنْ أَنْ يُنَالَ مِنْكُنَّ وَهُمْ أَحْيَاءٌ.

إِخْوَانَنَا

قُومُوا مَثْنَى وَفُرَادَى رَاجِلِينَ أو رَاكِبِينَ، ارْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ وَأُمَّتِكُمْ ذُلَّ الْقُعُودِ، اغْزُوا فِي سَبِيلِ اللهِ كُلَّ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ وَاثْأَرُوا لأعراضكم وَاسْتَحْضِرُوا مَعِيَّةَ اللهِ، وَاللهِ لَنْ يَخْذُلَكُمْ، إِنْ تَنْصُرُوه يَنْصُرْكُمْ، واللهِ سَتَرَوْنَ خَوَرَ هَذِهِ الْمَنْظُومَةِ الْمُتَرَهِّلَةِ.

خُذْ حِذْرَكَ، وَاحْمِلْ سِلَاحَكَ يَا أَخِي، وَضَعْهُ فِي رَأْسِ أَقْرَبِ مُرْتَدٍ وَانْظُرْ بَعدَهَا كَيْفَ تَجِدُ نَفْسَكَ وَاللهِ سَتَنْدَمُ بَعْدَهَا على كُلِّ يَوْمٍ تَرَكْتَ فيهِ الْغَزْوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضْ إِخْوَانَكَ، وَاللهِ إِنَّهَا الْعِزَّةُ وَالْكَرَامَةُ أو الشَّهَادَةُ، وَالْمُلْتَقَى الْجَنَّةَ.

الطَّوَاغِيتُ وَخُدَّامُهُمْ

هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ، وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهُ أو بِأَيْدِينَا، جِئْنَاكُمْ بِالذَّبْحِ وَلَنُقَاتِلَنَّكُمْ حتى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله، وَهَذَا الْبَيَانُ هُوَ الْفَيْصَلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ،

فَإِنْ طَالَ أَذَاكُمْ وَتَبَجُّحُكُمْ نِسَاءَنَا وَأَطْفَالَنَا فَوَ اللهِ لَنْ نَجْعَلَكُمْ تَأْمَنُونَ على بُيُوتِكُمْ وَأَطْفَالَكُمْ وَلَنُعَلِّمَنَّكُمْ قَدْرَ حَرَائِرِنَا عِنْدَنَا فَإِنَّ ظُفْرَ إِحْدَاهُنَّ أَطْهَرُ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِنْ أَمْثَالِ نِسَائِكُمْ فَهَا هِيَ بُيُوتُكُمْ تَحْتَ أَعْيُنِنَا؛ وَمَا حَلَّ فِي الشَّرْقِيَّةِ وَغَيْرِهَا بِكِلَابِكُمْ على أَيْدِي أُسُودِنَا لَيْسَ بِبَعِيدٍ، وَسَتَفْضَحُ بَيِنَاتُنَا الْقَادِمَةُ دَجَلَ إِعْلَامِكُمْ.

وَأَنَّ هَذَا الْمُسْتَنْقَعَ الَّذِي أَقْحَمْتُمْ فِيهِ أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ لَا مَخْرَجَ لَكُمْ مِنْهُ إِلَّا أَنْ تَتُوبُوا إِلَى اللهِ، وَالْانْحِيَازِ إِلَى دِينِهِ وَشَرِيعَتِهِ، والله لَقَدْ تَبَايَعَ جُنُودُنَا على الْمَوتِ، وَهُمْ عَازِمُونَ بَعْدَ هَذَا الْإِنْذَارِ أَنْ يَمْلَأُوا بُيُوتَكُمْ نَارًا وَرُعْبا، قال تعالى (فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ)، وقال الله تعالى {وَاللَّهُ غَالِبٌ على أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ}

والله مولانا ولا مولى لكم«[٥٩]»

تمثل هذه الكتائب المجموعات الجهادية، التي دخلت السجون نتيجة استخدامها لأعمال عنف، ولم تشترك في أي مبادرات فكرية أو فقهية، بل ظلت صامدة على مبادئها وأفكارها حتى قيام ثورة يناير، ترى أن الدين الحقيقي في حرب أعدائه وجهادهم بالنفس والمال حتى إقامة الشريعة، استطاعت أن تؤثر

---

[59]- النص الكامل للبيان التأسيسي لـ«أنصار الشريعة بأرض الكنانة»، الموقع الإلكتروني لجريدة اليوم السابع، http://www1.youm7.com/story/2014/3/5/%d8%aa%d9%86%d تاريخ الاطلاع ٢٠١٤/١١/١٧.

في قطاعات شبابية أخرى سواء داخل السجون أو بعد أن خرجوا منها على خلفية الثورة.

تستخدم العنف سبيلاً لها من أجل تطبيق الشريعة الإسلامية، ينتمي أعضاؤها لأفكار القاعدة، فقد خرجت جماعات وتنظيمات كثيرة بعد ما يسمى بالربيع العربي؛ تنتمي إلى القاعدة فكريًا، وإن كانت خرجت بمسميات مختلفة وبعيدة عن اسم القاعدة؛ فكر القاعدة دون أن تحمل اسمها. أحد أبرز الأسماء الموجودة في هذا التنظيم وتجمعه علاقة مع قياداته، محمد الظواهري، شقيق زعيم تنظيم القاعدة، وأحد زعماء قاعدة الجهاد في مصر؛ وهذا إن دل فإنما يدل على العلاقة بين هذا التنظيم والقاعدة في الإطار الفكري والتنظيمي معًا.

وعلى أرجح الأقوال، تشكلت هذه الكتائب في شكل سرايا، فأغلب أعضائها سافروا لمناطق الصراعات المسلحة بدعوى الجهاد في سبيل اللــه، واكتسبوا خبرات حاولوا من خلالها تنفيذ عمليات مسلحة، تميزت عملياتهم بالقنص المباشر، وكان أغلبهم على ما جاء في البيان الثاني لها، والذي تبنت من خلالها قتل عدد من رجال الشرطة من محافظة الشرقية وتلتها محافظة بني سويف، أصحاب خبرة في العمل العسكري، وغالبًا عمليات القنص تحتاج إلى خبرة لها علاقة بالتدريب، وهو ما حصلوا عليه من قبل وليس لديهم مشكلة فيه، وأن يكون لديه قدرة على التخفي سواء قبل أو أثناء العملية أو بعدها، وهذا الأمر يحتاج لقدر كبير من التدريب والممارسة لا يمكن أن يجمعها شخص إلا ذو خبرة أو تلقى تدريبًا متميزًا.

هذه الجماعة لا تعترف بالدولة، ولا بالانتخابات، وتدعو من اسمها والشعار الذي ترفعه إلى إقامة الخلافة الإسلامية على اعتبارها مظلة تجمع المسلمين تحتها.

أول ما ظهرت هذه الجماعة في اليمن عام ٢٠٠٨ على يد أبو المنذر الشنقيطي، فقد كان فقيهًا، والعجيب أن التنظيم حمل عدة أوجه في عدة دول، وكان أخطرها الوجه الدعوي والخيري في مصر، وما هو إلا وجه جديد لتنظيم القاعدة، مثل الوجه الخدمي والدعوي، السيد أبو خضرة من خلال جمعيته أنصار الشريعة بالإسكندرية تلك المدينة الساحلية التي ينتمي إليها قائدها، أحمد عشوش.

واللافت أن شعار التنظيم عبارة عن يد تمسك بمسدس في إطار بروازي، وعلم أسمر يأخذ نفس الشكل بلون أسمر ومكتوب عليه عبارة التوحيد، لا إله إلا اللــــه محمد رسول اللــــه، وضعت الجماعة شكلاً آخر في خلفية البيان عبارة عن سيفين تتوسطهما من فوق عبارة التوحيد، لا إله إلا اللــــه محمد رسول الله، وتحت السيفين كتائب أنصار الشريعة. والجدير بالذكر أنه من خلال عملياتها التي قامت إحدى السرايا بتنفيذها أنها موجودة في عدة محافظات أشهرها، الشرقية والدقهلية ودمياط والبحيرة والإسكندرية؛ فمحافظة الشرقية هي المحافظة التي تتميز بوجود التيار الجهادي فيها بكثرة، وبالتالي كوّنوا من هذا التيار كتائب أنصار الشريعة، ورغبوا في التمايز عن التيارات الأخرى خارج حدود الوطن فألحقوا ذلك بكلمة، بأرض الكنانة، ليصبح الاسم، كتائب أنصار الشريعة بأرض الكنانة.

صدر البيان التأسيسي الأول في ٤ مارس ٢٠١٤، تلاه البيان الثاني، والذي أعلنت فيه قتل أمناء الشرطة، والعجيب أن ذات البيان كشف عن أن محاولتهم التي نجحت والتي فشلت أيضًا كانت ضد أمناء الشرطة فقط.

أطلقت على نفسها سرية أبو بصير، القائد: أحمد عبد الرحمن، وعبرت عن مبرراتها لقتل من سمّتهم بالأمناء الخونة خدام الطواغيت من الشرطة

والجيش، أن ذلك انتقامًا لعرض حرائرنا اللائي انبرت لهن سرية من سرايانا على عجالة من أمرهم، لما رأينا ورأوا من تطاول أفراد الشرطة النجسة، وتطاول كلابهم الذين يسمّون بالأمناء الخونة على أخواتنا. وقد عدد، أحمد عشوش، الأهداف التي من أجلها شكل الطليعة السلفية المجاهدة ولخصها في البيان التأسيسي في عدة نقاط وهي:

١- تحقيق التوحيد وتعبيد الناس لربهم، وذلك يكون بمتابعة النبي صلى اللـــه عليه وسلم في كل أمر من أمور الإسلام، وذلك بإقامة حكم الكتاب والسنة.

٢- بيان نواقض التوحيد وحقائق الشرك وتحذير المسلمين من ذلك والإنكار بمراتبه على من قام في ذلك.

٣- محاربة البدع وأهلها وهتك أستارها وبيان ما فيها من الباطل، ودعوة المسلمين إلى التمسك بالسنة وترك البدع وأهلها.

٤- دعوة المسلمين إلى القيام بأمر العبادات والالتزام بأركان الإسلام من صلاة وصيام وزكاة... إلخ.

٥- دعوة المسلمين إلى التمسك بآداب الإسلام وهديه في السلوك والعادات، ومحاربة التهتّك والفسق والمجون والعري والاختلاط.

٦- الدعوة إلى تحرير بلاد المسلمين من الاحتلال الأجنبي ومقاومة الاستعمار الحديث، لاسيما الاستعمار الصهيو صليبي الذي تقوده أمريكا والغرب.

٧- محاربة الشرك السياسي المتمثل في الليبرالية والشيوعية، ونقد الأسس الفلسفية التي قامت عليها هذه النظريات الجاهلية، وبيان ما فيها من شرك وضلال.

٨- مقاومة الأنظمة الطاغية الحاكمة بغير الشريعة الإسلامية، والدعوة إلى تحكيم الشريعة ونبذ القوانين الإباحية الكافرة الجاهلية المستوردة من أوربا وكل بلاد الكفر.

٩- دعم وتأييد الثوار ذوي الأهداف الإسلامية المشروعة.

١٠- دعم المجاهدين وحركاتهم وجماعاتهم في مختلف بلاد المسلمين لمقاومة الاستعمار الصهيو صليبي، ويأتي هذا على رأس أولوياتنا.

١١- السعي في فكاك أسرى المسلمين ودعم قضاياهم ودفع الظلم الواقع عليهم.

١٢- التفاعل مع المطالب المشروعة للشعوب المسلمة من الحرية والعدل وسائر الحقوق المنضبطة بالشريعة الإسلامية.

١٣- دعم القضايا الإسلامية في الداخل والخارج والتصدي للمناهج والتيارات الفكرية المنحرفة والمنكرات الشائعة في المجتمع.

١٤- مقاومة عمليات التنصير وغسيل العقول في المناهج التعليمية والتربوية على مستوى مصر وسائر بلاد العالم الإسلامي.

١٥- الاستقلال بنظام تربوي يستمد أصوله وتصوراته من العقيدة الإسلامية الصحيحة لمنهج أهل السنة والجماعة، وهذا هدف رئيس للتيار الجهادي، يبذل فيه قصارى جهده.

١٦- إشاعة العلم الشرعي بمفاهيمه السلفية الصحيحة لعموم الجماهير المسلمة دون استثناء لأحد من المسلمين. وقد أكد بأنه ينطلق في تحقيق ذلك كله من عقيدة إسلامية راسخة، هي عقيدة سلفنا الصالح، فلا نصدر في قول أو فعل إلا عن هذه العقيدة.

إن ظهور هذه الكتائب واختفاءها فجأة يدل على ضعف الإمكانات وقلة أتباعها؛ فرغم الزخم الذي يميز هذا التنظيم على اعتبار أن قياداته لهم خبرة في العنف، فإنه يفتقد لعنصر الشباب بعد أن أحيل بينهم وبين الدعوة بسبب سنوات السجن الطويلة. وربما هذا يفسر اختفاء التنظيم، فما بين الوقت والآخر يظهر بعميلة، ولكن هناك فوارق زمنية كبيرة بين هذه العمليات؛ وربما استطاعت أجهزة الأمن أن ترصد هذا التنظيم بسهولة، فهناك معلومات متوفرة عن أعضائه منذ أن كانوا في السجون، وبعد أن خرجوا يمارسون نشاطهم بخلاف جماعة أجناد مصر، والتي تتكون من مجموعة شباب في مقتبل العمر، ولم يشارك قطاع كبير منهم في العنف من قبل، ولم يذهبوا لمناطق الصراع في أفغانستان وغيرها، وبالتالي فهم غير مرصودين أمنيًا، وهو ما يُصعب من مهمة مواجهتهم«[٦٠]».

كتائب حلوان

ظهر مؤخرًا تنظيم من شباب مسلح ملثم يُعلن استهدافه لضباط الجيش والشرطة المصرية، هذا وقد تم نشر فيديو لكتائب حلوان، وقال أحد الملثمين في الفيديو، وهو يحمل سلاحًا في يديه، ومن خلفه ملثمون يحملون أسلحة، ويرفعون شعار «رابعة» دفعنا ثمنًا من الدماء ومن تهجيرنا، والنساء تغتصب، وهذا إنذار

---

[60]- منير أديب، الفشل الحتمي: العنف بين مبررات الإخوان وواقع الحركة الإسلامية (١-٢)، http://www.acrseg.org/1005

للداخلية على مستوى جنوب القاهرة، بأنهم مستهدفون، لأنهم لم يراعوا أننا إخوانهم، فسفكوا الدماء واغتصبوا النساء، وهم انقلابيون والجيش الحالي هو جيش «كامب ديفيد»، فلم يطلق طلقة واحدة على اليهود، على حد زعمه.

وأضاف «لابد أن تنتصر فئة؛ لترد على الداخلية الذين نسوا ما فعله الشعب بهم في ٢٥ يناير وجمعة الغضب في ٢٨ يناير، والداخلية أجبرتنا على حمل السلاح للدفاع عن أنفسنا»، وقام بذكر شعار حزب الحرية والعدالة «نحن نحمل الخير لمصر»، وتابع «الجيش يدعم الداخلية لقتلنا»، ثم ردد الملثمون هتاف: «مفيش سلمية مع الداخلية»، و«الله أكبر وهي لله هي لله»«[٦١]».

كشفت تحريات أجهزة الأمن المصرية أن مقطع الفيديو الخاص بكتائب حلوان الذي تم رفعه على الإنترنت تم بواسطة علياء نصر الدين، وهي مواليد ٢١ أبريل ١٩٨٥، وتعمل مصورة بموقع «رصد» الإخباري الإلكتروني، وهو أحد المواقع الإعلامية التابعة للتنظيم الإخواني.

وقد تمكنت وزارة الداخلية من ضبط مراسلة شبكة «رصد» الإخوانية علياء نصر الدين عواض، والصادر بشأنها قرار بالضبط والإحضار من قبل النيابة العامة لقيامها بتصوير الفيديو المعروف إعلاميًا باسم «كتائب حلوان»، وذلك عقب هروبها من مسكنها بمنطقة حلوان بالقاهرة، واختبائها بإحدى الشقق السكنية بمنطقة الرمل بمحافظة الإسكندرية.

وأكدت التحريات أن الفتاة قامت بالتصوير في منطقة الملاءة المتاخمة لعزبة الوالدة دائرة قسم شرطة حلوان أغسطس الماضي، وذلك في إطار الترويج

---

[61] الموقع الإلكتروني للعربية نت، -http://www.alarabiya.net/ar/arab-and، تاريخ الاطلاع ٢٠١٤/١١/٢٦

لسيناريو الفوضى الأمنية، والإيحاء للرأي العام بالداخل والخارج بانتشار الميليشيات المسلحة داخل مصر، وانهيار الأمن الداخلي، وفقدان سيطرة الأجهزة الأمنية على الأوضاع بالبلاد«[٦٢]». وأعلن المتحدث باسم وزارة الداخلية القبض على ٨ من أعضاء التنظيم كتائب حلوان، لافتًا إلى أن كتائب حلوان تلقى دعمًا من صهر خيرت الشاطر«[٦٣]».

وجدير بالذكر أن الأجهزة الأمنية المصرية أعلنت أن عناصر تلك المجموعات المسلحة يتخذون من أحد العقارات خلف مزرعة الخيول بمنطقة الملاءة – المتاخمة لعزبة الوالدة – حلوان وكرًا للاختباء به، ويضطلعون بتأمينه من خلال نشر بعض عناصرهم المسلحة على مداخل ومخارج المنطقة المؤدية إليه وأعلى أسطح العقارات المطلة«[٦٤]».

ارتكبت «كتائب حلوان» عددًا من العمليات العدائية والتخريبية بأحياء منطقة حلوان، منها واقعة التعدي على نقطة شرطة عرب الوالدة بإطلاق أعيرة نارية تجاه النقطة التي نتج عنها إصابة أحد أمناء الشرطة التابعين لقوة قسم شرطة حلوان، وواقعة تعدٍّ على أتوبيس نقل عام بشارع عمر بن عبد العزيز مع شارع

---

[62] - الموقع الإلكتروني للعربية نت، -http://www.alarabiya.net/ar/arab-and
D8%AD%D9%84%D9%88%D8%A7%D9%86-.html

[63] لحظة القبض على أعضاء «كتائب حلوان» المسلحة، http://www.albawabhnews.com/756995، تاريخ الاطلاع ٢٠١٤/١١/٢٢.

[64] - تفاصيل ضبط مصورة فيديو «كتائب حلوان» بالإسكندرية، الموقع الإلكتروني لجريدة اليوم السابع، http://www.youm7.com/story/2014/9/3، تاريخ الاطلاع ٢٠١٤/١١/٢٥.

الحريري بحلوان بتاريخ ٢٠١٤/٨/١٤ بإطلاق الأعيرة النارية تجاه الكاوتشات الخاصة به وإنزال الركاب وإشعال النيران في الأتوبيس«[٦٥]».

ملاحظات ختامية

١- في هذا المبحث تم عرض لأهم الجماعات والكتائب المسلحة التكفيرية الإرهابية الأبرز على الساحة المصرية الآن، وليس ما تم ذكره على سبيل الحصر.

٢- هذه الجماعات والكتائب معظمها ظهر في أعقاب ٣٠يونيو، واعتراضهم على عزل الرئيس محمد مرسي، والقبض على قيادات جماعة الإخوان المسلمين على خلفية جرائم سابقة، وأعمال عنف.

٣- جميع هذه الجماعات والكتائب التي تمت الإشارة إليها تُمارس العنف والقتل والتخريب تحت دعاوى فكرية ودينية، وإن كانت تحرف العديد من الفتاوى، وتخرج تفسير العديد من الفتاوى والأحاديث النبوية والآيات الكريمة عن سياقها الزمني والتاريخي بل والمكاني؛ لتبرير ما تفعله، ووهم أكبر قدر من الشباب والتابعين.

٤- تم عرض تعامل الأجهزة الأمنية المصرية مع أغلب هذه الجماعات والكتائب سالفة الذكر، بغرض العرض المتوازن، فمثلما تمت الإشارة لأخطر العمليات الإرهابية التي قاموا بها، كان لازمًا عرض تعامل الدولة المصرية مع هذه الجماعات والكتائب.

٥- العديد من الجماعات والكتائب التي ظهرت هي في الأغلب منبثقة عن جماعات موجودة وكبيرة الحجم مثل خلية شركس التي هي جزء من أنصار بيت المقدس أو كتائب حلوان التي هي شكل من أشكال

---

[65]- الموقع الأسبق ذكره.

كتائب جماعة الإخوان المسلمين وغيرها، لذا فهي لا تحيا كثيـرًا، وبمجرد تعامل الأجهزة الأمنية وإلقاء القبض على قياداتها تنتهـي هذه الكتائب.

٦- ظهور ونشأة كتائب إرهابية مسلحة مستمر، وربما هذا لأنه إلى الآن لم تتم المعالجة للفكر التكفيري ولظاهرة الإرهاب في مصر؛ إلا مـن خلال الحلول الأمنية فقط، والحلول الأمنية وحدها لا تُجدي، ولابـد من حلول سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية ودينية.

٧- مما لاشك فيه أن الدولة المصرية تواجه إرهابًا أسود غاشـمًا، وربمـا القبضة الأمنية الجاثمة التي تقبضها السلطات الأمنية إلا أن أيـادي الإرهاب مازالت تفسد في مصر، وهو ما يتطلب أن تضع الدولـة المصرية إستراتيجية مُتكاملة الأبعاد والأركان في مواجهـة هـذا الإرهاب الغاشم، وأن تستفيد من التجـارب الدوليـة الرائـدة فـي مواجهة الإرهاب.

المبحث الثاني: علامات فارقة في الحرب على الإرهاب في مصر

يتناول هذا المبحث أهم العمليات الإرهابية، والتي مثلت نقاطًا فارقة (Turn Point) في حرب ومواجهة مصر للإرهاب، وذلك لأن هذه العمليات مثلت نقلة نوعية في عدد الضحايا، ونوعية السلاح والتسليح والمواجهة، كيفية الأداء للجماعات الإرهابية، وما تتابعها من بيانات وإعلانات ضد الجيش المصري. لهذا كان لابد من تسليط الضوء على هذه الأحداث التي مثلت نقاط تحول وحوادث صادمة في حرب مصر في مواجهة الفكر والجماعات التكفيرية. وضرورة تسليط الضوء على أداء القيادة والحكومة المصرية وإدارتها للأزمة.

حادث كرم القواديس الإرهابي بسيناء

يجيئ الحادث الإرهابي الغاشم الذي استهدف مساء يوم ٢٤ أكتوبر ٢٠١٤ نقطة ارتكاز أمنية تابعة للقوات المسلحة بمنطقة كرم القواديس بشمال سيناء، موقعًا عشرات الشهداء والمصابين في صفوف أبناء الشعب المصري من رجال القوات المسلحة، بمثابة إضافة إلى سجل عطاء الإجادة بالروح والدماء الغالية في سبيل نصرة الوطن وحفظ أمنه واستقراره، منذ أن بدأت مصر حربها ضد الإرهاب المسلح الذي اندلع بقوة منذ إقصاء الشعب المصري – بمساعدة جيشه العظيم – لحكم جماعة إرهابية تستقوي بجماعات عنف تكفيرية جهادية، تستهدف ضعضعة وإسقاط الدولة المصرية والعديد من دول المنطقة العربية.

وفور وقوع الحادث، بادر السيد الرئيس عبد الفتاح السيسي إلى عقد اجتماع عاجل لمجلس الدفاع الوطني، تم خلاله التوجيه نحو تنفيذ خطة سريعة لوقف العمليات الإرهابية بسيناء الغالية، والحيلولة دون امتدادها لربوع الجمهورية وإعادة الأمن والاستقرار لهذه البقعة العزيزة. وأبدى السيد الرئيس خلال الاجتماع وأثناء تشييع جثامين الشهداء الأبرار، تأكيدًا على أن الإرهاب لن ينال من عزيمة المصريين وقدرتهم على مواجهة الأخطار، وأوضح أن هذه العملية تمت بدعم خارجي«[٦٦]».

فيديو صولة الأنصار

مقطعٌ لا تزيد مدته على ثلاثين دقيقة، حمل عنوان «صولة الأنصار»، أكّد مسؤولية «ولاية سيناء»- «أنصار بيت المقدس» سابقًا- عن عملية كرم القواديس، التي راح ضحيتها ٣١ جنديًا؛ لينذر ببدء مرحلة جديدة من العنف الذي يحذر البعض من اتخاذه ذريعة لشن مزيد من الحملات القمعية على المعارضة.

فبعدما تعهد تنظيم أنصار المقدس بولائه لتنظيم «داعش» في سوريا والعراق، نشر فيديو يظهر رجلا، يدعى أبو حمزة الأنصاري، قيل إنه منفذ عملية «كرم القواديس الأخيرة»، وهو يهدد أنصار عبد الفتاح السيسي، قائلاً: «إن المقاتلين سيكونون السيوف التي تقطع رءوسكم، وأن الحركة لن تجعل

---

[66]- الموقع الإلكتروني للهيئة العامة للاستعلامات،
http://www.sis.gov.eg/Ar/Templates/Articles/tmpArticles.aspx?CatID=5344#.VHGGZXJxkdU تاريخ الاطلاع ٢٠١٤/١١/٢٣.

السيسي يفلت بهجماته على المسلمين، حيثُ إن الجنرال السابق «تجــاوز كــل الحدود».

قد تكون هذه هي المرة الأولى خلال العمليات التي يبث تنظيم «أنصار بيت المقدس» مقطع فيديو لها، أن يقوم أحد الانتحاريين بإخفاء وجهه؛ رغم أنه سوف يلقى مصرعه، ولن يُلاحق أمنيًا بالطبع.

ربما يرجع تحليل إخفاء وجه الانتحاري أبو حمزة الأنصاري، رغــم الكشف عن اسمه، لتحليلين لا ثالث لهما، أولاً أن يكون هذا الانتحاري بالفعــل فلسطيني الجنسية كما تردد، وكانت له علاقة مــن قريــب أو بعيــد بحركــة «حماس» التي ملأت الدنيا ضجيجًا بأن عناصرها سواء الحاليين أو السابقين لم يشاركوا في تلك المذبحة.«أما الاحتمال الثاني أن يكون هذا الانتحاري من سكان شمال سيناء وعائلته معروفة هناك؛ وبالتالي كشف وجهه يعرض عائلته –حسب اعتقاده– للملاحقات والتضييق الأمني»، مضيفاً أن اسم أبو حمزة الأنصاري هو مجرد «كنية»، وليس اسمًا حقيقيًا يتم من خلاله الكشف عن هويته.

بينما يرى الجهادي السابق ومنسق عام «الجبهــة الوســطية» صــبرة القاسمي أن السبب الرئيس وراء إخفاء وجه الانتحاري الذي نفذ عملية «كــرم القواديس» يرجع إلى عدم ثقة تنظيم «أنصار بيت المقدس» في تنفيذ العمليــة، لذلك استخدم أسلوب «داعش» في إخفاء وجه الانتحاري؛ حتى لا تنكشف هويته لدى عناصر التنظيم في حال عدم إتمام العملية والتراجع عنها.

وتابع القاسمي «ولأن صبغة تنظيم داعش واضحة على تلك العملية، فقد تم استخدام أسلوبهم في العمليات التي يتشككون في تنفيذها بنجاح، بإخفاء وجــه الانتحاريين؛ حتى لا يتعرف عليهم أحد، ففي غالب الأحيان تكــون شخصــية

الانتحاري سرية للغاية عن أعضاء التنظيم الإرهابي، ولا يعرفها إلا القيادات فقط لأسباب تتعلق بالتنظيم نفسه» «[٦٧]».

تحليل وتفنيد لفيديو صولة الأنصار

«خونة وعملاء، متعاونون مع أعداء الدين، مرتدون يجب قتلهم».. هي مجمل الأوصاف التي أطلقها فيديو «صولة الأنصار»، على عناصر الجيش المصري.

برر ولاية سيناء.. جماعة أنصار بيت المقدس سابقًا عملياته ضدهم في شبه جزيرة سيناء، بهذه العبارات.

بايعت جماعة أنصار بيت المقدس تنظيم داعش وزعيمه أبو بكر البغدادي، في أعقاب ذلك أعلنت عن فيديو صولة الأنصار، الذي تضمن مجموعة من العمليات التي نفذها التنظيم ضد الجيش والشرطة المصريين، وسط أصوات لأناشيد إسلامية وتكبيرات أفراده.

استند التنظيم في أحكامه بالردة ووجوب القتل بحسب الفيديو إلى أقوال فقهية عن العلامة أحمد شاكر وعن شيخ الإسلام ابن تيمية، مما أثار مجموعة من الأسئلة حول صحة استدعاء مثل تلك النصوص في سياقات مختلفة عن سياقات الإفتاء بها زمانًا ومكانًا وأحوالاً.

---

[67]- محمد حسن، لماذا أخفي انتحاري مذبحة « كرم القواديس» وجهه؟، الموقع الإلكتروني دوت مصر، http://dotmsr.com/ar/103/6/128220/، تاريخ الاطلاع ٢٠١٤/١١/٢٣.

وتأتي فتوى الشيخ أحمد شاكر في بيان حكم التعاون مع الإنجليز، كانت إحدى الفتاوى التي استند إليها «الفيديو» في تبرير عملياته ضد الجيش والشرطة. والفتوى التي نقل منها الفيديو بعضها موجودة في كتاب (كلمة حق) لشاكر، بعنوان «بيان إلى الأمة المصرية خاصة وإلى الأمة العربية والإسلامية عامة»، تضمن حكم التعاون مع الإنجليز والفرنسيين أثناء عدوانهم على المسلمين، حيثُ يقول فيها: «أما التعاون مع الإنجليز، بأي نوع من أنواع التعاون، قلّ أو كثر، فهو الردّة الجامحة، والكفر الصّراح، لا يقبل فيه اعتذار، ولا ينفع معه تأول، ولا ينجي من حكمه عصبية حمقاء، ولا سياسة خرقاء، ولا مجاملة هي النفاق، سواء أكان ذلك من أفراد أو حكومات أو زعماء، كلهم في الكفر والردة سواء، إلا من جهل وأخطأ، ثم استدرك أمره فتاب وأخذ سبيل المؤمنين، فأولئك عسى الله أن يتوب عليهم، إن أخلصوا لله، لا للسياسة ولا للناس».

وبالطبع فإن الاستناد لهذه الفتوى في تبرير تلك العمليات التي يقوم بها أفراد التنظيم ضد الجيش والشرطة المصريين فيه كثير من الأخطاء؛ حيثُ تم قطع تلك الفتوى عن سياقها الزماني والمكاني الذي قيلت فيه وإسقاطها على واقع مغاير تمامًا، فلقد أفتى بها العلامة شاكر في سياق محتقن بين الإنجليز والمصريين.

بالتالي لا يمكن بحال اعتبارها فتوى عامة تصلح «لكل زمان ومكان». كما أن الفتوى بحد ذاتها بعيدة عن سياقها باعتبارها فتوى عامة، وهذا العموم لا يصلح في أمر بهذه الخطورة وهو التكفير.

كما أن الفتوى عامة، ولا تصح في عمومها؛ حيثُ أي تعاون تقصـــده الفتوى، وأي كفر تعنيه، وما الحال إذن مع الأقليات المسلمة في بـــلاد الغــرب التي تتعاون مع الحكومات هناك حتى تيسر لأفرادها أمورها؟.

وبالتالي فإن مثل هذه الادعاءات والاســتنادات لعــدد مــن المقــولات والفتاوى في غير موضعها هو دليل على الجهل بالدين، واستغلالهم لعدم وعـــي الكثيرين بالأمور الفقهية؛ لذا لابد أن تلعب المؤسسة الدينية والجمعيات الدعوية دورًا حيويًا في هذا السياق.

أن ما تفعله جماعة أنصار بيت القدس لهو تجسيد لما يُطلق عليه فتاوى المناسبات، حيثُ إن هذه الفتوى أطلقها ابن تيمية أيام حــروب التتـــار، وهـــي مرتبطة بزمانها وظرفها التاريخي، وبالتالي فإن هؤلاء يتعاملون مع تلك الفتاوى على أنها فتاوى عامة، يخرجونها من سياقها التاريخي ويسقطونها على الواقـــع بجهل فاضح.

فلقد أكد ابن تيمية في كتابه: منهج السلف بين العقل والتقليد، أن علمـــاء المسلمين المتكلمين في الدنيا باجتهادهم، لا يجوز تكفير أحد منهم أخطـــأ فـــي كلامه، فإن تسليط الجهال على تكفير علماء المسلمين من أعظم المنكرات.

وقد اتفق علماء أهل السنة والجماعة على ألا يجوز تكفير المخطئ ولا تأثيمه. وليس لأحد أن يكفر أحدًا من المسلمين وإن أخطأ؛ لأن من ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك«[٦٨]».

---

[68]- فيديو بيت المقدس صولة الأنصار جودة عالية مشاهدة فيديو صولة الأنصار قتل الجنود في سيناء، http://www.watny.net/egypt/5645.html، تاريخ الاطلاع ٢٠١٤/١١/٢٦

توجهات الحكومة في أعقاب فيديو صولة الأنصار

كشفت مصادر مسؤولة بوزارة الداخلية أن اللواء محمد إبراهيم، وزير الداخلية، أمر بتشكيل فريق بحثي على أعلى مستوى من الإدارة العامة للمعلومات والتوثيق بالوزارة، وضباط بقطاعي الأمن العام والأمن الوطني، لتحديد مكان رفع فيديو من جانب جماعة «أنصار بيت المقدس»، عن الهجوم الإرهابي في شمال سيناء، الذي تعرض له كمين «كرم القواديس»، وتحديد هوية الأشخاص الذين ظهروا في الفيديو.

هذا وقد تضمن الفيديو، الذي تم بثه ومدته ٢٩ دقيقة و ٣٠ ثانية، لقطات تضم تجميعه من الحوادث الإرهابية التي شهدتها البلاد في سيناء ومطروح ومحافظات أخرى، وقوات الشرطة والجيش تمكنت من القضاء على بعض هذه العناصر في عملية جبل الجلالة في محافظة السويس.

ويقوم الفريق سالف الذكر بتحليل مضمون هذه اللقطات، حيثُ أظهر الفحص أن الفيديوهات تم تصويرها في توقيتات مختلفة، وفي أماكن مختلفة، إلا أنها صورت بأجهزة تصوير عالية الجودة، ومن زوايا مختلفة، خاصة في الهجوم على كمين (كرم القواديس)، الذي تم تصويره من زاويتين، والأجهزة المختصة بالتنسيق مع عناصر المخابرات الحربية يفحصون مكان رفع هذه الفيديوهات.

جدير بالذكر أن هناك ٦ جهات مسؤولة بوزارتي الداخلية والدفاع، هي: المساعدات الفنية والمعلومات والتوثيق وقطاع الأمن الوطني وقطاع الأمن العام وإدارة المباحث الجنائية بوزارة الداخلية وجهاز المخابرات الحربية بوزارة الدفاع، تعمل بكل جهدها لتحديد مكان رفع الفيديو، وأول رابط (لينك) تم وضع

الفيديو عليه عن طريق موقع(google) ، وهناك إجراءات سيتم اتخاذها عقب تحديد مكان الرفع، وما إذا كان داخل مصر سيتم التعامل معه وضبطه وضبط الجهاز المستخدم في عملية الرفع، وفي حالة رفعه من خارج البلاد سيتم إخطار (الإنتربول) لتعقب الجناة.

هذا ويعكف جهاز المساعدات الفنية داخل وزارة الداخلية وقطاع الأمن الوطني على مضاهاة بعض الصور والفيديوهات، خاصة أن بعض المتهمين الذين ظهروا بوجههم في الفيديوهات، كان قد تم قتلهم في عمليات أمنية شاركت فيها القوات المسلحة والشرطة، وكان أحدثها تصفية ٨ منهم في جبل الجلالة بالسويس.

وجارٍ فحص أجهزة الأمن لموقع الجماعة على (تويتر) وفي مواقع أخرى على الإنترنت، التي بدأت بث تسجيل مصور، أعلنت فيه مسؤوليتها عن الهجوم على كمين (كرم القواديس)، في شمال سيناء الشهر الماضي، الذي أودى بحياة ٣١ عسكريًا، والذي أظهر التسجيل لحظة تفجير الكمين بواسطة سيارة ملغومة، ثم قيام مسلحين بمهاجمة الجنود الذين نجوا من التفجير وقتلهم بدم بارد، والاستيلاء على كمية كبيرة من الأسلحة والذخائر النوعية التي كانت موجودة في الموقع. وتفحص أجهزة الأمن المسميات الجديدة في البيان الأخير، بعد مقارنته ببيانات سابقة مثل (صولة الأنصار)، و(ولاية سيناء)، و(نحن الأنصار)، و(كلمة الحق)، وكذلك بعض الأرقام التي ظهرت على الدبابات التي تم حرقها للتأكد من أنها خاصة بكمين كرم القواديس، كما أن هناك حالة من الاستنفار الشديد، في صفوف القوات المسلحة عقب ظهور هذا الفيديو، خاصة

أن أحد المتحدثين في الفيديو حمّل الرئيس عبد الفتاح السيسي مسؤولية ما يحدث، وتوعد الجيش المصري بالمزيد من الهجمات«[٦٩]».

ويأتي إعلان هذا الفيديو المجمع لعدد من الحوادث الإرهابية، التي تم تنفيذها من قبل، كرد فعل من هذه الجماعات على ما يحدث من إخلاء الشريط الحدودي في سيناء، رغم أن هناك شكوكًا في مصداقيته، خاصة أنه جاء بعد ٢١ يومًا من وقوع الحادث، هذا وقد كلف الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي المجلس التخصصي لتنمية المجتمع بإعداد دراسة متكاملة لآليات تنفيذ مشروع إنشاء مدينة «رفح الجديدة»، يحقق التنمية لتلك المدينة الحدودية بمحافظة شمال سيناء، كحل تنموي يواجه كافة أشكال التطرف والإرهاب«[٧٠]».

إخلاء الشريط الحدودي

اتخذ المجلس الأعلى للقوات المسلحة قرارًا بإخلاء المنازل الواقعة على مسافة ٥٠٠ متر بين مدينة رفح المصرية والحدود مع قطاع غزة (بطول ١٤ كيلومترًا)، لوقف تسلل الإرهابيين إلى البلاد، هذا وقد قرر مد هذه المسافة إلى خمسة كيلو مترات، وأكد الرئيس عبدالفتاح السيسي، أنه سيتم اتخاذ المزيد من الإجراءات لإخلاء المنطقة الحدودية، مؤكدًا أنه سيقوم بتعويض أهالي سيناء بملايين الجنيهات، وقد تصل التعويضات إلى مليار جنيه. كما وجه الرئيس تحية تقدير وإعزاز واعتذار لأهالي سيناء، مطالبًا إياهم بألا يتركوا أحدًا يدخل بينهم

---

[69]- يسري البدري، ٦ جهات تحلل فيديو «بيت المقدس» حول «كرم القواديس»، الموقع الإلكتروني لجريدة المصري اليوم، http://www.almasryalyoum.com/news/details/573026#، تاريخ الاطلاع ٢٠١٤/١١/٢٣

[70]– السيسي يأمر بدراسة إقامة مدينة «رفح الجديدة» بشمال سيناء، http://www.alquds.co.uk/?p=245792، تاريخ الاطلاع ٢٠١٤/١١/٢٢

وبين شعب مصر؛ لأن شعب مصر هو شعب واحد، مؤكدًا «عندما يخرج أهالي سيناء من بيوتهم لازم نعوضهم التعويض المناسب، ولـــن ننســـى لهـــم هـــذه التضحية» «[٧١]».

التقى مشايخ وعواقل سيناء بوفد رئاسة الجمهورية، وقدموا مطـــالبهم، والتي تركزت على إنشاء مدينة جديدة لمن تركوا منازلهم، وتقليص مدة حظـــر التجوال وتعويض المضارين من إخلاء المنطقة الحدوديـــة وتـــوفير ســـيارات إسعاف برفح والشيخ زويد ووسط سيناء ومراجعة قرار حظر التجوال، والبناء لمسافة ٥ كيلومترات من الحدود.

وأكد شيوخ القبائل أنهم حصلوا على وعـــد بدراســـة مطـــالبهم وحـــل مشكلاتهم في أسرع وقت. كما أكد مشايخ سيناء خلال لقائهم بوفد من رئاســـة الجمهورية بالقاهرة على تمسكهم بأمن مصر مهما يكلفهم الأمر، وأن أبناء سيناء كافة لا يمانعون في أي شيء يخدم أمن مصر حتى لو كانت حياتهم. واســـتهل الحديث الشيخ عيسى الخرافين شيخ قبائل رفح بقوله: «إننـــا نطالـــب بـــبعض المطالب التي لا تؤثر على أمن مصر وسلامتها، ومنها ضرورة مراجعة قرار رئيس مجلس الوزراء الذي اتخذه بعدم البناء على مسافة خمسة كيلـــو متـــرات على الحدود برفح. فيما قال الشيخ سلامة مراحيل من رفح إنه طالب بضرورة مد حظر التجوال بسيناء إلى الساعة العاشرة مساء بدلاً من الخامســـة مســـاء؛ ليتمكن المواطنون من متابعة أعمالهم بشكل طبيعي، بينما طالب الشـــيخ ســـعد الجبور بضرورة رفع قيمة التعويضات للمواطنين زيادة تسمح للـــذين تركـــوا

---

[71]- السيسي: تعويضات أهالي سيناء في عمليات الإخلاء تصل مليار جنيه.
http://www.alborsanews.com/2014/11، تاريخ الاطلاع ٢٢/١١/٢٠١٤.

منازلهم في إيجاد حلول بديلة من شراء مساكن خاصة لهم بـــالعريش والشـــيخ زويد.

وأكد وفد رئاسة الجمهورية تفهمه لكافة طلبات أهالي سيناء، وبأنه فـــي أسرع وقت سوف يتم النظر في كافة هذه المطالب وتحقيقها«[٧٢]».

هذا وقد دفعت قيادات الجيش الثاني بتعزيزات مـــن قـــوات الجـــيش بالتعاون مع قطاع الأمن المركزي التابع لوزارة الداخلية لمراقبة العمل الخاص بعملية إخلاء الشريط الحدودي وتأمين قوات سلاح المهندسين وحرس الحـــدود التي تقوم بعملية إخلاء المنازل وهدمها، وقوات أخرى تقوم بتمشـــيط المنطقـــة بالكامل لتأمينها، كما تم تخصيص فرقة كاملة من خبراء المفرقعـــات، تكـــون مهمتها الرئيسة تمشيطًا كاملاً لمناطق الشريط الحدودي وبمحيط عمل القـــوات للبحث عن أي عبوات ناسفة تقوم بزرعها عناصر الإرهاب لاستهداف القوات.

وفي رد فعل على قيام الجيش المصري بإخلاء الشـــريط الحـــدودي، أصدرت جماعة أنصار بيت المقدس، بيانًا تخاطب فيه أهـــالي مدينـــة رفـــح، وتطالبهم بوقف إخلاء الشريط الحدودي، واصفينه بـــ«المخطط الصـــهيوني»، الذي يهدف لمحاربة المجاهدين- حسب البيان«[٧٣]»، هذا وقد زعـــم البيـــان أن

---

[72]- ٥ مطالب سيناوية أمام السيسي، http://massai.ahram.org.eg/New، تاريخ الاطلاع ٢٠١٤/١١/٢٥

[73]- "بيت المقدس" تطالب أهالي سيناء بوقف إخلاء الشريط الحدودي.
http://www.masrawy.com/News/News_Regions/details/2014/11/10/3852-61/، تاريخ الاطلاع ٢٠١٤/١١/٢٤

إخلاء الشريط الحدودي وبناء منطقة عازلة يتم لحماية إسـرائيل، مهـددًا فـي الوقت ذاته بالثأر من كل من قام بالمشاركة في بناء هذا الجدار العازل«[٧٤]».

ويتضح أن جماعة أنصار بيت المقدس أو ولاية سيناء، كما أطلقت على نفسها في الفيديو الأخير صولة الأنصار، الذي أعلنت فيه مسؤوليتها عن عملية كرم القواديس، أنها تحاول أن تثير الفتنة بين أهل سيناء وبين الجيش المصري، إلا أن القيادة المصرية تحاول تفويت هذه الفرصة باحتواء مطالب أهل سـيناء وتقديم التعويضات اللازمة، وتوضيح أهمية دورهم وتضحيتهم في حماية أمـن مصر القومي.

شكوك واحتمالات حول كرم القواديس

انتشرت مجموعة من الشكوك والاحتمالات حول عملية كرم القـواديس ومنها:

أن خمسة من ضباط الجيش المسرحين لأسباب مختلفـة قـد انضـموا مؤخرًا لتنظيم أنصار بيت المقدس، الأمر الذي أضفى بُعدًا جديدًا على عمليـات التنظيم في الفترة الأخيرة، وأضافت التقارير أن عناصر بيت المقـدس نسـقت أخيرًا مع الجيش الإسلامي بقيادة ممتاز دغمش؛ خاصة فيما يتعلـق بعمليـات التدريب التي تتم داخل قطاع غزة بواسطة ضابطين سابقين هما هشام عشماوي وعماد عبد الحميد، وأوضحت المصادر أن هشام عشـماوي المشـهور أيضًـا «بالمقنع»، قاد بنفسه عملية كرم القواديس الأخيرة وشاركه فيها ضابطان آخران

[74]- محمد حسن، زيادة التعزيزات لتأمين عملية إخلاء الشريط الحدودي بسيناء، http://dotmsr.com/ar/103/6/122696/، تاريخ الاطلاع ٢٠١٤/١٠/٢٥

هما رامي الملاح وعماد عبد الحميد، وكشفت التقارير عن انضمام طارق أبوالعزم للتنظيم منذ يناير الماضي.

كما تدور بعض الاحتمالات حول أن عملية كرم القواديس جرى رصدها قبل التنفيذ بيومين عن طريق مكالمة هاتفية بين بعض البدو الذين شاركوا في تقديم الدعم اللوجستي لمجموعات التنفيذ وبين عدد من قادة حماس في قطاع غزة، وأن المكالمة التي جرى رصدها عن طريق حقائب التنصت تحدثت عن عملية كبرى دون أن تذكر تفصيلات حول الهدف المقصود بالعملية، تعلقت بأماكن تنفيذ العمليات، حيثُ إن العمليات الإرهابية انحصرت في ست مناطق لم تغادرها إلى غيرها قط، وهي على التوالي: الشيخ زويد ووادي العمر وقرية المهدية وجبل الحلال ووادي وتير وشرق العريش.

كما أن من الاحتمالات أن ٧٠% من الاستهدافات التي تتم لقوات الجيش والشرطة تأتي من خلال معلومات مغلوطة تأتي عن طريق مصادر من البدو، حيثُ يتبين فيما بعد أنها شراك خداعية ليس إلا. علاوة على الشكوك حول ضلوع اثنين من العناصر الجنائية المعروفة في تقديم الدعم اللوجستي للمنفذين وتسهيل عملية الهروب وصولاً إلى قطاع غزة«[٧٥]».

إلا أنه من المؤكد وجود تعاون وثيق بين التنظيمات الإرهابية المختلفة المتواجدة في مناطق سيناء في مجالات التسليح والتدريب وتبادل المعلومات والخبرات والإيواء وتنفيذ العمليات «بالوكالة» مشددة على أن تنظيم أنصار بيت المقدس قام في الفترة الأخيرة خاصة بعد مقتل قائده توفيق فريج بإنشاء خلايا عنقودية تعمل كل منها بمعزل عن الأخرى؛ تلافيًا للرصد الأمني، وأن مجلس

---

[75]- المرجع السابق ذكره.

شورى التنظيم قام بضم عدد من العناصر ذات الأفكار التكفيرية من الهـاربين من السجون إبان أحداث يناير ٢٠١١ وممن تلقوا تدريبات عسكرية علـى يـد عناصر تنظيم القاعدة بالخارج، خاصة ممن تلقوا تدريبات عالية المستوى فـي ساحات قتالية في كل من سوريا وليبيا، وقالت مصـادر مطلعـة إن الأنفـاق تنحصر في منطقة بطول ١٤ كم تقريبًا على خط الحدود الدولية بـين مصـر وقطاع غزة، وأن كل محاولات هدم الأنفاق التي جرت منذ عدة أشهر وحتـى الآن لم تؤت بثمارها نتيجة عمق الأنفاق وتعدد مخارجها وصلابة جسم النفـق، التي تقف حائلاً حتى أمام عمليات التفجير، وأضافت المصادر أن الإجـراءات التي تتخذها الدولة حاليًا هي الإجراءات الوحيدة الفعالة للقضاء علـى إشـكالية الأنفاق، وذلك عن حفر قناة (ترعة) موازية لخط الحدود«[٧٦]».

كما أن هناك سياقًا آخر يرى أنه لا يوجد شيء يسمى «ولاية سـيناء»، وإن الفيديو المنتشر على الـ«يوتيوب» الخاص بعملية كـرم القـواديس غيـر حقيقي ومفبرك. وأن الفيديو لم يتم تصويره داخل مصر بل خارجها في سوريا، خاصة وأنه به لقطات لتنظيم داعش أثناء تفجيرهم مدرعات خاصـة بـالجيش السوري. وأن الفيديو تم دسه من خارج لمصر، وأن المتحدثين داخـل الفيـديو يتحدثون لغات غير سيناوية، مضيفًا أنه لا يوجد إرهابيون في مصر، بل هـي مجرد فبركة لكسر إرادة المصريين وتشويه صورة مصر ومن أمثلة المرجحين

---

[76]- عبد الرحيم علي، أوراق من تقارير المحققين في مذبحة كرم القواديس، http://www.albawabhnews.com/880581، تاريخ الاطلاع ٢٠١٤/١١/٢٥

لهذا الاتجاه صبرة القاسمي القيادي السابق بجماعة الجهاد والمتخصص في الجماعات الإسلامية«[٧٧]».

استنتاجات هامة من عملية كرم القواديس

من المؤكد بعد العرض التفصيلي لعملية كرم القواديس هو أن:

- ✓ العملية مثّلت نقلة نوعية في عدد الضحايا الذي كان من أكبر عدد الضحايا والمصابين منذ بداية الحرب على الإرهاب.
- ✓ النقلة النوعية لجماعة أنصار بيت المقدس في السلاح والتنظيم والإعداد والتخطيط للعمليات الإرهابية.
- ✓ أن العملية جاءت في أعقاب مبايعة جماعة أنصار بيت المقدس لتنظيم الدولة الإسلامية داعش.
- ✓ ومن الجلي أن التركيبة المعقدة للتكتيكات العسكرية التي برزت في التسجيل المصور لصولة الأنصار، لا يقدر على تنفيذها إلا تنظيم الدولة الإسلامية، وهو ما يؤكد أنه بالفعل تم التعاون بين جماعة أنصار بيت المقدس سابقًا وولاية سيناء حاليًا وبين تنظيم الدولة الإسلامية داعش، وأن الأخير بدأ في تنفيذ عمليات إرهابية في مصر، وربما يهدف لاتخاذ سيناء مركزًا لعملياته، وإن كان لن يكتفي بها، وتجلى ذلك في تصريحات الإرهابي في آخر الفيديو الذي توعد فيه الجيش المصري والرئيس السيسي بمزيد من العنف والعمليات الإرهابية.

---

[77] – بالفيديو.. القاسمي: هذا دليل فبركة فيديو «كرم القواديس»،
http://almesryoon.com/%D8%AF%D9%81%D8%AA%D8%B1-%D8%،
تاريخ الاطلاع ٢٠١٤/١١/٢٥

- ✓ أن مصطلح ولاية سيناء يؤكد بالفعل مبايعة جماعة أنصار بيت المقدس لتنظيم الدولة الإسلامية، وبأنهم يطمحون بأن تكون سيناء ولاية من ولايات هذه الدولة الإسلامية المزعومة.
- ✓ لا مجال بعد إعلان جماعة أنصار بيت المقدس مسؤوليتها عن مجموعة من العمليات الإرهابية ضد الجيش والشرطة المصرية، بأن الحرب على الإرهاب في مصر هي صنيعة مخابراتية، وبأنها شماعة ليُلقي عليها النظام تعثره في إدارة البلاد وما يقوم به من حملات اعتقالات كما يدعون.
- ✓ لا مجال للشائعات التي لا طالما ترددت حول أن القتلى من الجيش والشرطة ما هم إلا أبناؤنا في ليبيا العائدون، وهم مقتولون على أيدي الجماعات التكفيرية في ليبيا.
- ✓ مما لاشك فيه أن مصر تواجه أعلى موجة من موجات الإرهاب الأسود، والذي يُهدد بدوره بقاء وأمن الدولة المصرية.
- ✓ فيديو صولة الأنصار شّكل صدمة للعديد من المصريين الذين لم يتصوروا أن تصل هذه الجماعات لمثل هذه الدرجة من الاستعدادات الفنية، والقتالية، كما مثّل صدمة؛ لأن الكثيرين رأوا أن جنودنا بحاجة لمزيد من التدريب والتجهيز.
- ✓ برغم كل الادعاءات حول الفيديو من صحته أو فبركته، فإن الفيديو لو صدق فهو صادم بلاشك؛ لأنه يعبر عن مدى الخطورة التي تقف أمام مُتخذ القرار المصري في مواجهته للإرهاب.

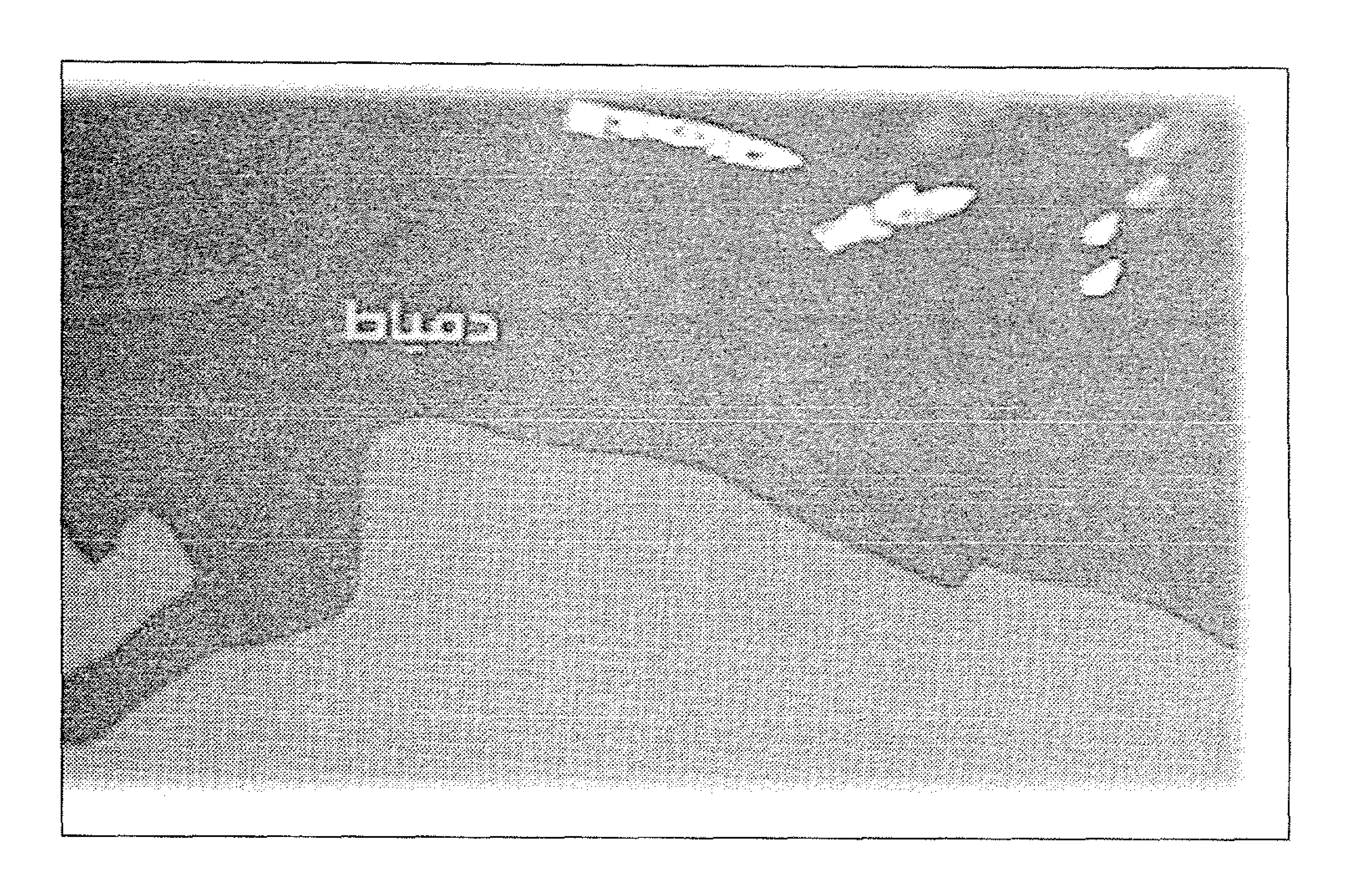
حادث لنش البحرية بسواحل دمياط

وبعد الإطلالة على حادث كرم القواديس، يأتي حادث لنش دمياط الذي شكَّل نقطة تحول أخرى، وكان لا يمثل خطورة عن حادث كرم القواديس للأسباب الآتية:

١- هذا الحدث مثّل تحديًا واضحًا للجيش المصري في السواحل والمياه الإقليمية، وهذا يُدل على خطورة الإرهاب على سيادة الدولة المصرية.

٢- الحادث أعطى صورة للغرب بمدى سطوة الجماعات الإرهابية ودقة تخطيطها، حيثُ لم تتعرف القوات البحرية على الحادث.

٣- تعدد الروايات حول الحادث، وانتشار رواية الاختراق، وأن قائد اللنش البحري نفسه كان منضمًا لتنظيم الدولة الإسلامية، وأنه هو منْ قام بالعملية، وترديد الجماعات التكفيرية والإرهابية لهذه الرواية للتأكيد على اختراقها للجيش المصري.



صورة توضيحية لحادث لنش البحرية المصري

تناقلت كافة مصادر الأخبار حادث الاشتباك بين إحدى القطع البحرية المصرية ومهاجمين من عدد من القوارب أمام سواحل مدينة دمياط، علـــى رأس مصـــب الفـــرع الشرقي من النيل. حيثُ أن أحد اللنشات التابعة للبحرية كان يقوم بنوبة الخدمة الخاصة به بالمرور على المياه الإقليمية لمراقبتها وتأمينها وعلي متنه قوة برئاسة ملازم أول بحري.

وأن اللنش تلقى استغاثة من ثلاثة مراكب صيد صغيرة، وعند اقترابـــه منهـــا لمعرفـــة حقيقتها فتح من على المراكب النار من أسلحة ثقيلة على لنش البحرية من عدة اتجاهات. وأن القوة بادلت المهاجمين إطلاق النار، وبعثت بإشارة إلى قاعدة القوات البحرية التابعة لها«[٧٨]».

---

[78]– مصادر عسكرية تكشف تفاصيل جديدة عن الهجوم على لنش البحرية بدمياط، http://www.masrawy.com/News/News_Egypt/details/2014/11/13/387867/%D9%85%D8%B5%D8%A، تاريخ الاطلاع ٢٠١٤/١١/٢٦

فتحت القوات المسلحة تحقيقات موسعة في الحادث لمعرفة المتورطين فيها، ورجحت أن يكون الحادث وراءه جماعة إرهابية مرتبطة بالتنظيمات العاملة في شمال سيناء بعد الضربات القوية التي شنها الجيش ضد معاقل الإرهابيين والجهود المبذولة لتجفيف منابعها داخل مصر وقطع الإمدادات التي تأتيها سواء عبر الحدود الشرقية أو الحدود الغربية. وأكدت تحقيقات القوات المسلحة أن الحادث الإرهابي الذي وقع فجر يوم الأربعاء الموافق ١٢ / ١١ / ٢٠١٤ أمام سواحل مدينة (دمياط) أسفر عن تدمير عدد (٤) قوارب من المجموعات المسلحة، بما فيهم من عناصر إرهابية، بالإضافة للقبض على عدد (٣٢) فردًا»«[٧٩]».

وقد كشفت التحقيقات إلى الآن تواطؤ دول أجنبية في تدريب وتمويل وتخطيط عملية لنش دمياط، وهو ما إن تثبت التحقيقات؛ حتى تؤدي إلى تغيّر خريطة التعامل العسكري في المنطقة بأكملها.

فلقد أكدت التحقيقات مع الذين تم ضبطهم في هذه العملية أنهم تلقوا تدريبات مطولة من جهات أجنبية، قد تكون استخباراتية، كما أنهم اعترفوا بتلقيهم تمويلاً من جهات أجنبية.

روايات الجماعات الإرهابية

نشرت جريدة إلكترونية لبنانية تُدعى المدن رؤية مختلفة عن حادث لنش البحرية المعروف باسم «٦ أكتوبر»، وبالتحديد أمام ميناء دمياط البحري، روت

---

[79]- المتحدث العسكري يكشف تفاصيل جديدة في حادث دمياط البحري "الإرهابي"، http://www.masrawy.com/News/News_Egypt/details/2014/11/13/387386/%D8%A7%D9%84%D9%8، تاريخ الاطلاع ٢٠١٤/١١/٢٦

الصحيفة عن وجود خيانة في البحرية المصرية عن طريق ضابط يدعى أحمد عامر، وهو قائد اللنش ٦ أكتوبر، حيثُ سمح بخمسة متسللين بالاختباء في اللنش قبل الإقلاع من قاعدة دمياط العسكرية، وقام عامر بمساعدة هؤلاء الخمسة بتصفية طاقم اللنش بأكمله أو اختطافه.

وعندما تمت مخاطبة اللنش من القاعدة البحرية ببورسعيد بعد اقترابه منها باسم لنش ٦ أكتوبر، كان الرد عليهم أن هذا هو لنش دولة الخلافة الإسلامية، فصدرت الأوامر للنش آخر يسمى ٢٥ أبريل بالخروج وتعقب لنش ٦ أكتوبر، إلا أنه فشل في ذلك فخرجت طائرتان «إف ١٦» وتعقبتا اللنش وتم تدميره كاملاً بكل من عليه، قبل أن يقوم اللنش بإطلاق مجموعة من الصواريخ المضادة للطائرات على الطائرتين إلا أنهما نجحا في تفادي هذه الصواريخ.

هذا وقد ظهر فيديو لمجموعة من الشباب وخلفهم رايات تنظيم دولة الخلافة الإسلامية داعش، يعلنون فيه عن مسؤوليتهم عن تلك العملية، ويعلنون أيضًا قيامهم بخطف طاقم لنش ٦ أكتوبر المكون من ٨ أفراد، وهو ما سبق وأعلن عنه المتحدث العسكري، الذي أكد فقدان ٨ من القوات البحرية في هذه المعركة، وجدير بالذكر أن بعض زملاء أحمد عامر أكدوا أنه في الفترة الأخيرة كان يواظب على الصلاة في أحد المساجد السلفية في شرق الإسكندرية«[٨٠]».

استنتاجات مهمة من عملية لنش دمياط

١- الحادث تحدٍّ صارخ للسيادة الوطنية وللجيش المصري بكافة فروعه.

---

80 - http://www.albawabhnews.com/902993

٢- الحادث مثل أيضًا نقلة نوعية في التخطـيط ونوعيـة التسـليح والتدريب حيثُ إن الحادث قد دُبر بإتقان وكفاءة عالية.

٣- الحادث إلى الآن لم تتجلَ كافة معلوماته وتحقيقاته؛ إلا أن القوات المسلحة أكدت مشاركة جهات اسـتخباراتية أجنبيـة بالتمويـل والتدريب، وهو ما يعكس حجم التهديدات الإقليمية للأمن القومي المصري.

٤- الجماعات الإرهابية تهدف أن ترسل رسالة بأن مجالها ليس فقط هو البر بل والبحر أيضًا.

لهذا بكل تأكيد مثل هذا الحادث نقلة نوعية في مسرح العمليـات والحرب بين الدولة المصرية والجماعات التكفيرية الإرهابية.

وختامًا هناك مجموعة من استنتاجات هامة حول الحرب الدائرة في مصر

- ✓ أن من الشاهد أن الحرب على الإرهاب في مصر الدائرة الآن سـوف تستمر لعدة سنوات غير محتمل أن تتوقف الآن لصـالح طـرف مـن الطرفين سواء الجماعات أو النظام.
- ✓ كل من الطرفين يُلقي الآخر بضربات موجعة، ومُكلفة، وتسـحب مـن رصيد الآخر.
- ✓ لكل من الطرفين سواء الجماعات أو النظام داعموه من الـدول والتـي تقدم له العون المادي والفني.

- ✓ أن الحرب على الإرهاب هذه الموجة التي تشهدها مصر مختلفة عن كل موجة؛ لأنها لها طابعها السياسي والجوهر السياسي للصراع جلي مما لا يدع مجالاً للشك.
- ✓ رغم كل التشويه الذي جنته جماعة الإخوان المسلمين؛ إلا أنه لازال هناك الكثيرون المتعاطفون معها، لاسيما مع أحداث فض رابعة وميدان النهضة، وما جرى فيه من قتل وحرق للمئات.
- ✓ الشاهد أن هذه الموجة من الإرهاب لا توجد فيها جماعة رئيسة هي مصدر الإرهاب؛ وحتى لو صوَّر النظام بوسائل الإعلام ذلك بأن كافة الجماعات الإسلامية المسلحة اللاعبة والمؤثرة في حرب مصر على الإرهاب هي كلها صور لجماعة الإخوان المسلمين فهذا غير صحيح، فهناك جماعات متعددة بأجندات متعددة تلعب في الداخل المصري، وهذا هو مكمن الخطورة الحقيقي.
- ✓ أن فكر داعش حول إقامة الخلافة الإسلامية ليس مقصورًا عليها بل هناك العديد من الجماعات الإسلامية المسلحة في مصر التي تنتمي لنفس المظلة الفكرية، وهو ما يجعل احتمالات المبايعات والتحالفات مع تنظيم الدولة الإسلامية الفترة القادمة محتملاً وبقوة، وهو ما نطلق عليهم الدواعش في مصر.
- ✓ أن داعش قد لا تحتاج للوصول إلى مصر والتواجد فيها، فقد تتواجد بالمبايعات والتحالفات التي تقيمها مع جماعات؛ إما تتشارك معها في نفس المظلة الفكرية، وإما أنهم تحالفوا في الأهداف والمصالح.

وفي هذا الإطار تطرح سيناريوهات رئيسة:

السيناريو الأول: تحول مصر للدولة الفاشلة.

تتصور الباحثة أنه للأسف أنه إلى الآن هذا السيناريو هو الأكثر احتمالاً وبقوة.

محددات هذا السيناريو:

١- فشل النظام السياسي القائم في إحداث أي تغييرات ملموسة تُشعر المواطن بالأمل في غد أفضل على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والسياسي.

٢- عودة الفلول سواء على ساحة الأعمال والاستثمار في مصر أو على صعيد الحياة السياسية.

٣- جماعة الإخوان المسلمين تستحوذ على تعاطف أكبر من الشعب المصري بالمزيد من الاعتقالات والمحاكمات غير العادلة.

٤- عدم نجاح النظام في قطع أواصر الصلة بين الجماعات الإسلامية المسلحة في مصر وبين الممول الأساسي لها والذي يقدم لها الدعم المادي والفني.

٥- ازدياد الغضب الشعبي من استمرار نزيف الدم، وسقوط ضحايا مدنيين أبرياء، وقتل أولادهم من الذين يؤدون الخدمة العسكرية دون أي ذنب.

٦- بالتالي تراجع شعبية النظام القائم.

في إطار هذه المحددات يتصور في هذا السيناريو، والذي هو أكثر السيناريوهات تشاؤمًا، أن يثور المصريون على النظام السياسي الذي قد منّاهم بالاستقرار، فلم يتحقق، بتحسين الأوضاع المعيشية، فلم تزدد إلا سوءًا، وبالخلاص من الاحتقان والعنف، فلم يزدد العنف إلا دموية، وبمزيد من الحريات فماتت قبل أن تنمو. وبالتالي تكون نتيجة هذا الغضب الشعبي هو أن يتم استغلاله من قبل الجماعات الإسلامية، ربما في مقدمتها تنظيم الجماعة الإسلامية. وربما نشاهد مصيرًا آخر لمصر ينتظرها كالعراق وسوريا.

الحجية على احتمالية هذا السيناريو:

١- بداية التراجع الفعلي لشعبية النظام القائم بالفعل، وهو ما تؤكده العديد من مراكز استطلاعات الرأي، وذلك بسبب سوء وضع الحريات وكثرة الاعتقالات، وعودة بعض الممارسات السلبية للشرطة مرة أخرى، ارتفاع الأسعار، سوء الأحوال المعيشية، فقدان مساحات من حرية الرأي والتعبير لدى العامة والنخبة الفكرية والسياسية.

٢- رغم كل التشويه الذي تم لجماعة الإخوان المسلمين؛ إلا أنه في تزايد واضح لتعاطف عدد كبير من فئات الشعب المصري لما حدث لهذه الجماعة من تشويه، حملات اعتقالات واسعة، وأحكام مشددة، وإلحاق كافة التهم بهم ربما قبل أن تنتهي التحقيقات من إعلان الفاعل الحقيقي.

٣- تقدم داعش ونجاحها في السيطرة على مواقع هامة وإستراتيجية في ليبيا، ربما ذلك يقوي من موقف حلفائها داخل مصر، ويدفع جماعات

أخرى ربما تكون جماعة الإخوان المسلمين واحدة منها، وهنا تتغير كفة الميزان.

٤- الأهمية الإستراتيجية لمصر في فكر ومنظومة أهداف ومصالح تنظيم الدولة الإسلامية داعش لن يجعلها تتوانى؛ حتى تصل إلى قلب القاهرة.

السيناريو الآخر: عودة الاستقرار لمصر وكسر هذه الموجة من الإرهاب

ورغم كون الباحثة تتمنى تحقيق هذه السيناريو لبلدها؛ إلا أنه إلى الآن من الشاهد أنه السيناريو الأقل احتمالاً.

محددات السيناريو

١- كفة الصراع تُرجح لصالح النظام السياسي.

٢- تحقيق أي نجاحات على الصعيد الاقتصادي أو الأمني أو السياسي.

٣- اختفاء الفلول من الساحة السياسية وبيئة الأعمال.

٤- استفاقة النظام وعودة مساحة الحريات لاسيما الحريات الشخصية والعامة، وحريات الرأي والتعبير.

لماذا ترى الباحثة أنه الأقل احتمالاً؟

- لأن النظام إلى الآن يُغالي في القبضة الأمنية التي يفرضها على الدولة، مؤسسات وشعبًا، وهذه القبضة قد تصل بالشعب إلى لحظة الانفجار.

- عودة الفلول وحصولهم على براءات من غالبية القضايا التي كانت موجهة لهم أصابت الشعب المصري بكافة أطيافه بالإحباط.
- إذا ظهر الفلول في مناخ الأعمال وعلى الساحة السياسية، ستكون بمثابة استفاقة قوية لكافة القوى الثورية.
- اعتقال غالبية النشطاء والمعارضين والمنتقدين من النخبة الفكرية والسياسية.
- الأوضاع الاقتصادية والمعيشية تزداد سوءًا يومًا تلو الآخر.
- الأوضاع الأمنية تزداد سوءًا أيضًا يومًا تلو الآخر.

لكن يبقى سؤال.... هل الوقت وتحقيق سيناريو الدولة الفاشلة قادم لا محالة؟

- لا.. قد يستفيق النظام من أن مثل هذه المبالغة الأمنية قد تؤتي نتائج عكسية.
- بعض النجاحات في بعض المشروعات التي يُعول عليها المصريون كثيرًا، فتحدث أي طفرة اقتصادية تجعلهم يستعيدون الأمل الذي بدأ يتبدد.
- ربما قد تحدث بعض المصالحات مع من يقومون بما أقرب بالمراجعات الفكرية، وقد يحدث هذا انفراجة في الأزمة والصراع.
- ربما عندما يطمئن النظام بأن ترجيح الكفة في الصراع الدائر الآن في الحرب على الإرهاب هو لصالحه يُحدث بعض

الانفراجة في الحريات، ويسمح بمساحة أكبر من النقد، وهو ما يقلل من حجم مهاجميه ومعارضيه.

في الختام

لا مجال للشك، وفي حاجة للتأكيد مرارًا وتكرارًا بأن هناك تهديدًا واضحًا للأمن القومي المصري، وتهديدًا لأمن وسلامة وبقاء الدولة المصرية، وأن هناك فـــي العديد من العمليات الإرهابية؛ ما يُشكل تعديًا سافرًا للسيادة الوطنية والاحترافية في أداء العملية الإرهابية مثل كرم القواديس ولنش دمياط، وهو مـــا يســـتوجب للدولة وقفة لوضع إستراتيجية أكثر احترافية في مواجهة هذا الإرهاب. لكن في خضم إدارة هذه الأزمة العاصفة لابد على النظـــام أن يُراعـــي أن يحقـــق أي نجاحات على الصعيد الاقتصادي، وأن يحافظ على مساحات الحريـــات؛ كـــي يضمن بقاء التأييد الشعبي له ولسياساته. وبهذا التأييد يضمن، ويكفل له الضمانة الأولى في انتصاره في هذه الحرب الضروس على الإرهاب.

الفصل الرابع

آليات مواجهة الفكر التكفيري والإرهاب

يتناول هذا الفصل الختامي طرحًا لأهم الآليات لمواجهة الفكر التكفيري والإرهاب، الذي يُمثل واحدًا من أهم المهددات الداخلية الحالية للأمن القومي المصري. قد تُعين مُتخذ القرار في حربه ضد الإرهاب.

أن الحرب على الإرهاب الذي تواجهه مصر الآن هي حرب على الفكر التكفيري، حيث إن الإرهاب الفكري الذي هو بدوره واحد من أخطر أنواع الإرهاب؛ لأنه غير مادي، فأنت تحارب عقولاً قد تم تشويهها، بفعل جماعات مخربة. وتعمل في الآن نفسه على حماية ووقاية آخرين من خطر تلويث الأفكار والمعتقدات، وتشويه العقول فيا لها من حرب ضروس، لا تبقي ولا تذر؛ إذا لم تتم إدارتها بشكل فعال ومخطط ومدروس بمنهجية صحيحة.

لذا فهذا النوع من الإرهاب لا يمكن أبدًا أن تكتفي الدولة لمعالجته بالمعالجات الأمنية وحدها فقط، بل لابد من معالجة فكرية بالأساس، لابد من محاربة الفكر الفاسد بالفكر الصحيح، الفكر المتطرف بالمعتدل، الفكر المغرض بالفكر الهادف البناء.

لكنه لن تتم مواجهة الإرهاب والتطرف الفكري في مصر بالمعالجة الفكرية والأمنية للخارجين على القانون فحسب، بل لابد من البحث في أسباب الإرهاب، حيثُ إن هذا الأخير تعددت أسبابه في مصر، فلقد ساهم ارتفاع معدلات البطالة، الأمية، والفقر، وتراجع نصيب الفرد من الناتج القومي المحلي، وانخفاض معدلات الدخل للفرد في مصر عن العالم. وانخفاض معدلات التنمية الاقتصادية،

ناهيك عن ارتفاع معدلات التضخم، وعدم الاستقرار السياسي والأمني في الفترة الأخيرة أعقاب الخامس والعشرين من يناير؛ لذا لابـد أن تكـون إسـتراتيجية مواجهة الإرهاب على محورين المحور الأول: محاربة الفكر بالفكر.

المحور الثاني: تحقيق تنمية شاملة ومستدامة.

لكن قبل الاستعراض للآليات المقترحة في هذين المحورين لابد من التأكيد على بعض المبادئ الهامة وهي:

- ✓ أنه لابد من مواجهة الجماعـات التكفيريـة والإرهابيـة فـي مصـر بإستراتيجية منضبطة ومحددة؛ أي بخطة تنفيذية متكاملة لتوظيف كافـة الإمكانيات اللوجستية والفنية والعلمية والأكاديمية لمكافحة هذه الجماعات والقضاء على الإرهاب.
- ✓ مكافحة الإرهاب لن تعتمد فقط على الحلول الأمنيـة بـل إن مكافحـة الإرهاب هي مكافحة شاملة الأبعاد الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية والثقافية والعلمية والإعلامية؛ لذا لابد من وضع إسـتراتيجية متكاملة لكافة أبعاد الظاهرة، وذلك نظرًا لكون ظاهرة الإرهـاب هـي ظاهرة معقدة وذات أبعاد سيكولوجية واقتصـادية وسياسـية وفكريـة واجتماعية... لكن لابد للمواجهة أن تأتي على نفس نهج المسببات.
- ✓ التنمية الشاملة والمستدامة هي كلمة السر على المدى المتوسط والطويل لوقاية المجتمع من شرور نمـو الفكـر التكفيـري ونمـو الجماعـات الإرهابية.
- ✓ أن الحرب على الإرهاب ليست بالحرب الوقتية؛ أي أن الانتصار فيهـا ليس لحظيًا، بل هي حرب تستغرق مدى زمنيًا طـويلاً، وذلـك لأنهـا حرب فكرية، والفكر لا يتغير بسهولة، لهذا فإن المعالجة الأمنية تـؤتي

ثمارها سريعًا، لكن بقية جوانب المكافحة من معالجات فكرية واقتصادية واجتماعية تحتاج لمزيد من الوقت كي تؤتي ثمارها.

- ✓ أن الإرهاب الذي تُعاني منه مصر الآن في أعقاب ثورتي الخامس والعشرين من يناير والـ ٣٠ من يونيو هو إرهاب سياسي أي لأغراض وأهداف سياسية، وبالتالي فإن الحلول السياسية هي الحلول الأكثر فعالية لإدارة هذه الأزمة.
- ✓ الإرهاب في مصر هو نتيجة لارتفاع معدلات الفقر والأمية والبطالة لاسيما بين المتعلمين والجامعيين وعدم فعالية دور مؤسسات الاتصال الجماهيري كالأحزاب السياسية، والنقابات المهنية والعمالية، ومؤسسات المجتمع المدني والأهلي، ولتراجع دور المؤسسات الدينية في مصر سواء من قبل الأزهر الشريف أو من قبل الكنيسة، وذلك لأن التطرف في الجانبين، وهناك عناصر تزكي الفتنة الطائفية من الجانبين.

الإرهاب في مصر تتعدد صوره، فمصر منذ عقود تُعاني من كافة صور الإرهاب الاقتصادي.

أولاً: المحور الأول محاربة الفكر بالفكر

أي محاربة الفكر المتطرف المخرب بالفكر المعتدل الرشيد، لكن يبقى السؤال: ما الآليات المقترحة لمواجهة الفكر المتطرف بالفكر المعتدل المستنير؟

- ✓ تفادي مواجهة التكفير بتكفير مماثل

فهو لا يباشر حل المشكلة بقدر ما يفاقم من أوارها، ويفضي إلى تسارع وتائر الحضور التكفيري، كما أنه لا يحوّر في الذهنية التكفيرية، بقدر ما ينمـــي مـــن تماديها في تجديفها، ويساهم في تأجيج وصنع الأجواء التكفيرية «[81]».

أن مواجهة التكفير بتكفير مضادّ، لا يحلّ مشكلة، ولا يغيّر قناعة، بل ربّما يزيد المشكلة تعقيدًا والقناعة رسوخًا. ومن جهة أخرى، فإنّ الخُلق الإسلامي يأبى مواجهة الشتيمة بمثلها، والسيّئة بأختها، وإنّما يدعونا إلى الإغضاء والصّفح والدّفع بالتي هي أحسن « وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ»، ولنا في أمير المؤمنين(عمر بن الخطاب) أُسوة حَسَنة، فقد شتَمه الخوارج وكفّروه، لكنّه رفض أن يقابلهم بالمثل.

أمّا تبرير مواجهة التكفير بالتكفير المضادّ، بما ورد في مضمون الأحاديث الواردة عن رسول الله(صلى الله عليه وسلم): «من كفّر مسلمًا فقد كفر»، فلا يخلو من ملاحظة، وهي أنّ هذه الرّوايات لو صحّت سندًا، فهي واردة في سياق النهي عن التّكفير، لا التشجيع عليه، ولذا، يكون المراد بكفر المكفِّر، كفره من النّاحية العمليّة، لا العَقَديّة، كيف وقد عرفت أنّ أمير المؤمنين عمر لم يحكم بكفر الخوارج رغم تكفيرهم له!؟

✓ **إجراء دراسة مسحية استقصائية**

تتوخى إدراك بواعث التكفير الدافعة باتجاه تبلوره، ووعي منطلقاته التي تملـك عمقها الإستراتيجي في بنيته الذهنية، وتلمّس المعطيات الغائرة التي تشتغل على تغذية تجلياته، والوقوف عن كثب على نوعية الأرضية الخصبة التي ينمو مـن

---

[81]- عبد الله بن محمد السعوي، كيف نواجه خطر التكفير؟، http://www.al-jazirah.com/2008/20081019/ar6.htm، تاريخ الاطلاع هو ٢٠١٤/١١/٢٢.

خلالها. كل هذا يشكل مقدمة ضرورية لا مناص منها في سبيل التحرر من أسر هذا الفكر، وإيجاد الترياق الملائم لاستئصال شأفته، وتحسير دائـــرة حراكـــه، وتجفيف تمظهراته إلى أضيق مدى متاح. البحث العميق عن الجـــذور الســـببية للتكفير هو الخطوة الأولى في سبيل القضاء عليه واندحاره، فربما كانت الأجواء الاقتصادية والسياسية هي اللاعب المؤثر الأول في ترعرع المعطيات الفكريـــة ذات النزعة التكفيرية، وآلية المعالجة في هذه الوضعية تنحصـــر بإزالـــة تلـــك الموانع وإقصاء تلك الأسباب، أما لو كانت بواعث التكفيـــر ذات بعـــد ثقـــافي فالإشكالية هنا مضاعفة، ويتحتم في هذه الحالة مواجهة الفقه التكفيري القائم على محور المفاصلة، وبعث جذوة من الضياء لتضيء واقعه الحالـــك مـــن خـــلال المنطق البرهاني، وعبر الحجة العقلية بعيدًا عن السياق الجدلي السجالي، الـــذي قد يفضي إلى ارتدادات عكسية، قد يكون الحل الأمني علاجًا، لكنه (وحـــده) لا يكفي؛ فالفكر يحارب بالفكر، والقوة تأتي تبعًا له، وليس العكس، وقـــد شـــهدت وقائع التاريخ، ونطقت حقائق الشاهد أن القوة تقمع، لكنها لا تقنع؛ ولـــذا فلكـــي يجري إحداث زلزال في البنية التحتية لهذا الفكر الذي يفتقد قوة البرهنـــة، فـــلا تحكمه المعطيات الممنهجة، ولا يخضع لقوننة معرفية محكَمة، لا بدَّ من توظيف الفكر نفسه لتعريته وإثبات وهنه، وتجلية مدى افتقاره للماينبغيات الموضوعية، ومدى افتقاره للمسوغات النصية، مهما تفانى في سبيل تطويع النص وليِّ عنقه وإخضاعه لعملية إسقاط منظمة، والتأكيد على أنه فكر منشـــق علـــى الأســـس الشرعية ومناهض لأدبياتها الداخلية. إن هذا الفكر بطبيعته متـــرع بالدوغمـــة، واحتمال الخطأ عنده يضارع في استحالته اجتماع النقيضين!، فهو يقدم أطروحة جزمية قطعية، وضمن أطر نهائية وناجزة، إنه خطاب منغلق يشبع إثباتاته بجزم تعسفي يسد الباب على إثارة احتمالات أو تصورات متعددة. ولتجفيف منابع هذا الفكر الذي لا ريب أن في النهاية مصيره إلى تباب، ومؤداه إلى انكماش، لا بدَّ

من تسليط أنوار التصحيح عليه ومحاصرته بأشعتها النافذة والهاتكـــة لحندســـه وتحديد الشبهات التي ينبعث على ضوئها وتفنيدها – مع أنها تحمل تفنيدها فـــي ثناياها، وتحتوي في قاعها اللجي على عناصر تلاشيها – وتنقية ما علق بصورة الإسلام النقية من شوائب، في إطار من المعرفة والموضـــوعية المتناهيـــة. إن استخدام منطق القوة مع استصحاب قوة الفكر جنبًا إلى جنب هو الكفيل بنجـــاح عملية المحاربة، والضامن لإيجابية مشروع التجفيف؛ ليرجع هذا الفكر خاســئًا وهو حسير، ولتبوء محاولاته في مغازلة المخيال الشعبي للاندغام في إطـــاره، بالإخفاق التام. الحل الأمني (وحده) ليس مرشحًا للنجاح المتكامل، قد يخفف من حدته، قد يقلل من شراسته، قد يهدئ من ضراوته، قد يعمل على تواريه أحيانًا، لكن لا يجتثه من جذوره، إنه لا يلامس أصوله التي تمده بالنمـــاء والانتشـــار والتمدد، إنه لا يشتبك مع ركائزه المركزية التي ستبقي الذهنية التكفيرية ببقائها. كل هذا من شأن الفكر؛ فهو المؤهل للدخول في هذه المنازلة، التي يملك فيها كل أدوات الانتصار وإلحاق الهزيمة الساحقة بالعدو اللدود.«[٨٢]»

عن طريق الجهود الفكرية المنظمة تجري إزاحته خارج دائرة التأثير، وإلجاؤه إلى أضيق السبل، ودحرجته إلى مستنقعه الآسن الذي لا يجوز أن يغادره بحال، إنه لا بد من دراسات فكرية تضع هذا الفكر على طاولة التشريح، وتدرسه على أكثر من صعيد نفسي واجتماعي واقتصادي وسياسي، وتنفذ إلى أعماق بنيتـــه، على سبيل البحث عن فرص زحزحة لبعض المفاهيم التي تمده بهـــذا الـــزخم، وتفنيدها على نحو يسمح لمبدأ التسامح بين الفرقـــاء بالانبعـــاث الحقيقـــي. إن الواجب الشرعي والأمني يفرض علينا التنديد الصريح بهـــذا الفكـــر وشـــجبه واستنكار مواقفه، وعدم التحفظ في ذلك. إن المواقف المتحفظة من هذا الفكـــر هي في الحقيقة تغذيه، وتدفع عجلته إلى الأمام، إنها واقعة في شَرَكه، وشـــريكة

82– المرجع السابق ذكره.

له بشكل أو بآخر. لقد ابتلينا في مشهدنا الراهن بفئة من أرباع وأنصاف المتفقهين المسكونين بالمفاصلة الحدية مع مَن لا يتقاطع مع منظومتهم المفاهيمية، ولا يجدون ضيرًا باسم الإسلام وبشعارات قرآنية مقدسة في الحكم بالكفر والردة على من يباينهم في مسألة جزئية في العقيدة أو الفقه، بل أو التاريخ، ويتفرع عن ذلك اختراقهم لمبدأ إسلامي هام على المستوى الإنساني، وهو مبدأ عصمة الدماء، حيثُ يهدرون دمه، ويستحلون ماله، وينتهكون حرمته؛ الأمر الذي يفرض التوجه لتأسيس لثقافة متأنية تتحاشى – قدر الإمكان – الإقدام على نعت الآخر بالكفر ووصمه بالشرك وإقصائه عن الدائرة الإسلامية.

✓ تعزيز ثقافة التسامح وضخ مفاهيم الأخوة الإنسانية

بذل الجهد التنظيري المؤصل، في سبيل تقرير مبدأ التعايش، وضرورة احترام الآخر، ورعاية حقوقه، وحفظ إنسانيته، وتجنيبه الأذى، ما دام لا يتحرك في خط الظلم والعدوان. إن من الضروري إحسان التعايش مع الآخر، واستبقاء أسباب الود في النفوس بنظافة السلوك وروعة التعامل؛ فلعله أن يحل يوم منظور تتبدل فيه قناعات جملة من مكوناته؛ فينضموا إلى هذا الدين وينضووا تحت لوائه السامي. إنني أخال أن التسامح من أهم القيم التي يجدر التبشير بها، وفسح المجال لها، وخلق المناخات التي تظللها؛ فهي الكفيلة في حال تموقعها، بارتكاس هذا العفن الأيديولوجي في درك هابط لا حدَّ لمداه. هذا التسامح يعني فيما يعنيه الإقرار بحق الاختلاف بين الأناسي؛ لأن موجات التكفير والتكفير المضاد تجد في أجواء القمع والاستبداد ومصادرة الرأي أرضًا خصبة فيها، تنبت، وتدرج في مدارج النمو. إن التكفير يتحرك بمرونة هائلة، ويتمتع بخفة ظل ملحوظة في

ظل أحادية الرأي، والفكر الأحادي والقوالب الفكرية المنغلقة التي يراد فرضـــها على الآخرين بالقوة ومصادرة حقهم في الاختلاف «[83]».

قال تعالى: «لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ».

وأخال أنّ أهمّ قيمة يجدر بنا التّبشير بها والدّعوة إليها، بعد تأصيلها وتنظيمها، هي «حقّ الاختلاف» بين بني البشر؛ لأنّ التّكفير ينبت وينمو في أجواء القمع والاستبداد، ويتحرّك في ظلّ أحاديّة الرأي والفهم التي يُراد فرضها على الآخرين، ومصادرة حقّهم في الاختلاف.

إنّ الاختلاف لا يساوي التمزّق والتشتّت، ولا يعني أنّ مَن ليس معي فهو ضدّي، ومن لا يوافقني الرّأي فهو عدوّي، وإذا ما قاد الاختلاف إلى التّناحر والتنازع، فهو تخلّف وجاهليّة، قال تعالى «وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُم»، أمّا إذا تحرّك وفق قانون التدافع والتنافس، فهو ليس أمرًا جائزًا وممدوحًا فحسب، بل هو شرط لديمومة الحياة الاجتماعية والإنسانيّة، كما يؤكّد علماء الاجتماع، وفي ذلك جاء قوله تعالى «نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا»«[84]».

---

[83] المرجع الأسبق ذكره.

[84]- الشيخ حسين الخشن، كيف نواجه التّطرّف؟، http://arabic.bayynat.org.lb/ArticlePage.aspx?id=14189، تاريخ الاطلاع عليه ٢٤/١١/٢٠١٤.

✓ مواجهة الغلو والتطرف

إن الغلو والتطرف لخطر عظيم على كيان الأمة الإسلامية، فقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم آثارها بكلمة جامعة بليغة بقوله: «فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»، فهو هلاك في كل شيء على مستوى الأفراد وعلى مستوى المجتمعات، إنه هلاك للأنفس والممتلكات والبلاد والعباد؛ لذا يجب معالجة التطرف والغلو بأساليب مختلفة.

إن الإسلام بتشريعاته وعباداته ومعاملاته وأحكامه ومكارم أخلاقه أوسع وأشمل من أن يختزل في حزب سياسي، أو طائفة أو مذهب أو شيخ أو جماعة من الجماعات، وتحولت المذاهب الفقهية عند التكفيريين إلى أحزاب سياسية وأيديولوجية. وانطلقت فتاوى دعاة ومشايخ التكفير الذين ضلوا وأضلوا شباب الأمة معهم، على الشبكات العنكبوتية من فيسبوك وتويتر واليوتيوب، وأصبحت ظاهرة التكفير هي فتنة الأمة الإسلامية اليوم. علماء الأزهر يؤكدون أن استخدام الفتاوى التكفيرية لاستحلال الدماء والأموال والأعراض وتحقيق المكاسب السياسية والشخصية على حساب مصلحة الوطن محرم شرعًا، وأنه لا يجوز بأي حال من الأحوال تكفير شخص لشخص آخر.

✓ مواجهة الجهل بالدين

فلا بد من محاربة الجهل، وزيادة التفقه في الدين، ونشر العلم الصحيح بين أفراد المجتمع، خاصة فيما يتعلق بقضايا الولاء والبراء وتكفير المسلم، وحقوق ولي الأمر المسلم، وموقفنا من غير المسلمين أو بعض المذاهب الإسلامية، وغيرها من القضايا المعاصرة، ويجب أن تتصدى مناهج التعليم في العالم الإسلامي لمشكلة التطرف بشكل علمي، فيجب أن تتناول قضايا ومسائل مثل

سماحة الإسلام ويسره ووسطيته وحقوق الـولاة، وحقـوق الـوطن وحقـوق المسلمين وحرمة دماء المسلمين وأعراضهم وأحوالهم«[85]».

الاهتمام بإعداد حملات للتوعية بخطورة الفكر التكفيري ونشر الفكر المعتدل من خلال:

- قيام وسائل الإعلام المختلفة المسموعة والمرئية بالترويج لثقافة السلام والعدالة والتنمية البشرية، والتسامح العرقـي والـوطني والديني، واحترام جميع الأديان أو القيم الدينية أو المعتقدات أو الثقافات من خلال إعلانـات ولقـاءات ومـؤتمرات ونـدوات توعوية.
- تشجيع ثقافة الحوار بـين الحضـارات والثقافـات والشـعوب والأديان والعقائد وإشراك منظمات المجتمع المدني في ذلك.
- تأسيس مراكز لبناء القدرات الخاصة بمكافحة الإرهاب، وعقـد المنتديات بهدف تحسين تشريعات مكافحة الإرهـاب، وتـوفير التدريب، وتبادل المعدات والأساليب والخبرات الكفيلة بالتعامل مع المنظمات الإرهابية الناشئة، بما في ذلك منع سوء استخدام شبكات النت (السيبر).
- قيام منظمات العالم الإسلامية، والأزهر الشـريف الاضـطلاع بدورهما لتصحيح المفاهيم المغلوطة والمتطرفة عن الإسـلام، ونشر ثقافة الإسلام الوسطي والمعتدل.

85- الشيخ جمال الدين شبيب، كيف نواجه التطرّف والغلو في الدين؟، http://yasour.org/2012/list.php?go=fullnews&newsid=36468، تاريخ الاطلاع في ٢٠١٤/١١/٢٦

- تأسيس معهد ومركز أكاديمي للبحوث والدراسات، يعمل على بحث ظاهرة الإرهاب وأساليبه وكيفية إيجاد طرق الوقاية الاستباقية، على أن يقوم المعهد على أيدي خبراء وأساتذة على مستوى رفيع، يقومون بتدريب كوادر أمنية تختص بظاهرة الإرهاب وكيفية مكافحتها وكيفية وضع الخطط والإستراتيجيات الوقائية المناسبة.

المحور الثاني: تحقيق تنمية شاملة ومستدامة

هذا المحور يُمثل حلولاً على الأمد المتوسط والطويل، أي أنها آليات تحتاج لمزيد من الوقت والجهد، ولن تؤتي ثمارها بشكل آنيّ، فهي بحاجة لمزيد من الوقت؛ كي تحقق التنمية الاقتصادية والمجتمعية، وتظهر انعكاساتها جلية في انخفاض ظاهرة الإرهاب والفكر التكفيري؛ إلا أنها وكما سلف القول لابد منها؛ لأنه لا أمل في تجفيف منابع الإرهاب، دون تنمية شاملة ومستدامة وذلك من خلال:

- ✓ **خطة واضحة للتنمية الاقتصادية**

لابد لمُتخذ القرار أثناء وضعه لخطة قومية لتحقيق تنمية اقتصادية أن يهتم بعدة أهداف قومية، منها هدف الأمن القومي، وهدف تلبية الاحتياجات العاجلة للمواطنين، وهدف استمرارية النمو، أي الخطة التي تحدث التوازن الصعب بين العناصر الثلاثة الخاصة، بالدفاع والاستهلاك والاستثمار، وعلينا أن نتوخى الحذر، ولا نحاول تصوير التنمية الاقتصادية على أنها «الاستقلال الاقتصادي»، أو التصنيع، أو الاحتفاظ بالأصول القديمة، فخطة التنمية الاقتصادية تتحدد أساسًا ببلوغ عدد من «معطيات التحديث»؛ مثل زيادة الإنتاجية وتحقيق قدر من

المساواة الاقتصادية والاجتماعية، وترسيخ المعرفة الحديثة، وتطوير المؤسسات الإنتاجية والخدمية، ومن السائد ترجمة خطة التنمية بمجموعة من الأهداف الثانوية الأخرى مثل عدد المواطنين تحت حد الفقر، والحد الأدنى للاستهلاك، والحد الأقصى للبطالة، وتوزيع الدخل، وأشكال الاستهلاك، والتنوع في الاقتصاد القومي، وعلى سياسات الخطة محاولة «إحداث واستمرار» معدلات عالية من النمو دون معدلات مرتفعة من التضخم، كما عليها أن تحدث التوازن الدقيق بين مزايا الاندماج في الاقتصاد العالمي، وبين مخاطر هذا الانفتاح على إمكانات الصناعة الوطنية.

على أنه لابد أن تُراعي الحكومة المصرية في هذه الخطة القومية ما يلي أيضًا:

- تحسين الأوضاع الاقتصادية والمعيشية للمواطنين، وعلاج أوضاع الأجور، من خلال تشجيع الاستثمارات المحلية والأجنبية، والمشروعات الصغيرة والمتوسطة، وبالنسبة للأجور، توسيع درجات السلم الوظيفي؛ ليشعر العامل بأنه في حالة ترقٍ مستمرة، بدلاً من الوضع الحالي الذي يؤدي إلى الإحباط من طول فترات الانتظار للترقي، وتبسيط جدول الأجور، وجعله أكثر شفافية ووضوحًا.
- تقديم أقصى درجات الاحترام والحساسية والمساعدة المادية لضحايا الإرهاب.
- تحقيق وتعزيز خطط التنمية، والإدماج الاجتماعي، والاهتمام بمشاكل الشباب كالبطالة، والتهميش، وما يستتبعه من شعور بالظلم، ويدفعهم للمشاركة في العمليات الإرهابية؛ بغية الانتقام من الحكومة الظالمة بنظرهم وغير محققة للعدالة.

- تشجيع البلدان على التنفيذ الكامل للمعـــايير الدوليـــة الحاليـــة لمكافحة غسيل الأموال ومكافحة تمويـــل الإرهـــاب (المكتـــب الدولي للجمعيات الإنسانية والخيرية).
- اتخاذ إجراءات صارمة ضد المؤسسات الخيرية التي تساهم في تمويل الإرهاب، وتعزيز جهود مكافحـــة تهريـــب المخـــدّرات والنشاطات التجارية المحظورة الأخرى، التي تمول الإرهابيين، وتمكنهم من ممارسة أنشطتهم(NATO،2004).
- مضاعفة ميزانية وزارة الداخلية وتخصيصها لتطوير المؤسسة الأمنية ولتطوير قدرات أفراد الشرطة؛ لتمكينهم من تتبّع أموال الإرهابيين(NATO).
- مصادر تمويل الجماعات الإرهابية، وتجميد أموال التنظيمـــات الإرهابية المودعة لدى البنوك الأوروبية والأميركية، ومراجعة استثمارات هذه التنظيمات، والتأكد مـــن شـــفافيتها (السياســـة الدولية).
-

✓ **تنويع الإنتاج المصري**

أصبح من الضروري تقييم الصناعة المصرية، وتنويع إنتاجها، ليس فقط علـــى أساس المزايا النسبية لعوامل الإنتاج التقليدية (الأرض /العملـــة/رأس المـــال)، ولكن على المزايا التنافسية المبنية على المعرفة والتكنولوجيا، فلم يعد بإمكـــان المزايا النسبية تحقيق قدرات تنافسية بالمعدلات التي عرفـــت فـــي الســـتينيات والسبعينات، حيثُ تتشكل أسس المنافسة تدريجيًا من عمليات خلـــق واســـتيعاب المعرفة. وعند إعداد خريطة للصناعة المصرية، علينا أن نضع فـــي اعتبارنـــا مجموعة الحقائق التي ترسخت في نهاية هذا القرن. وأهمها أن الاقتصاد العالمي

هو اقتصاد عالمي عابر للحدود. فقد أصبح الاستثمار يتعدى الحدود الجغرافية والسياسية وأسواق المال تنظمها شبكة معلومات نشطة ودقيقة على مدار اليوم، واكتسب عنصر البيئة بعدًا عالميًا، كما صار التغير والتطور في التكنولوجيا والإدارة هما العنصر الحاسم في معركة الإنتاج على المستوى العالمي. وعلى أجنده الصناعة المصرية أن تحدد أولا الصناعات ذات الميزة النسبية في عوامل الإنتاج الأساسية. وهذا المحور هو نقطة البداية، ولكنه لا يضمن الاستمرار أو التقدم، فهذه الصناعات يجب أن تتحول إلى مرحلة الابتكار دون المرور بمرحلة الاستثمار، وهذا بالتالي يجعل الاختيار محكومًا بمجموعة الصناعات، التي لا تعتمد اعتمادًا كبيرًا على اقتصاديات الحجم (الصناعات الجلدية – النسيجية – الأثاث ــ الغذائية ــ الصناعات التعاقدية)، ثم تنتقل الأجندة بعد ذلك إلى الذي يمكنها من الاستمرار والتحول إلى الابتكار من خلال الحصول على أفضل تكنولوجيا متاحة، يلي ذلك تحديد الصناعات التي يتعين دخولها من خلال تحالفات عالمية لإمكان توفير أساليب الاستثمار والإدارة والتسويق العالمية«[٨٦]».

✓ **مواجهة البطالة**

مما لاشك فيه أن البطالة واحدة من أخطر القنابل الاجتماعية المؤقتة، التي تُساهم في كافة الظواهر السلبية التي يواجها الشباب المصري، فالبطالة سبب في سقوط العديد من الشباب المصري في براثن الإدمان، والإرهاب، والبلطجة وغيرها من الظواهر السلبية التي باتت تهدد منظومة القيم للمجتمع المصري.

---

[86]– شريف دلاور، التحديات العشرة التي تواجه الاقتصاد المصري، http://www.mafhoum.com/press3/111E20.htm، تاريخ الاطلاع عليها ٢٠١٤/١٠/٢٠

هذا وليس السبب الرئيس في هذه المعضلة هو الزيادة السكانية الهائلة، وكون أن المجتمع المصري هو مجتمع فتي، أي أن ثلث المجتمع المصري هو من الشباب في سن العمل، بل المعضلة في عدم وجود خطة رشيدة في الاستفادة وكيفية توظيف هذه الطاقات المهدرة.

والعجيب أن اليابان – وهي القوة الاقتصادية الكبرى –لم يكن لديها خلال الخمسين سنة الماضية سياسة اقتصادية بمعنى الكلمة، بل إن الحيرة تنتاب الآن القيادات السياسية اليابانية في وضع لأول مرة سياسة اقتصادية حديثة لا تتماشى مع الحكمة التقليدية اليابانية، فاليابان وعلى امتداد الفترة منذ الحرب العالمية الثانية اتبعت أساسًا «سياسة اجتماعية» نبعت منها التوجهات الاقتصادية، فالفرد والمجتمع اليابانيان كانا هما الهدف، ومصر بالذات لا يمكن أن تضع مشكلة تشغيل الملايين من العاطلين وطالبي العمل الجدد في مرتبة ثانوية، بل هي أهم التحديات، ليس أمام واضعي السياسات الاقتصادية فقط بل أمام المجتمع بأسره، وهي تتطلب الفكر الاقتصادي الكلاسيكي، ويأتي التوسع وتشجيع مشروعات الخدمات في مقدمة السياسات لامتصاص البطالة تليها الصناعات الصغيرة والحرفية، وسيكون للتكنولوجيا الجديدة تأثير على أنماط الأعمال والمهارات المطلوبة من القوى العاملة؛ حيثُ سيتم إلغاء كثير من المهن، وخلق مهن أخرى في مجالات جديدة، وخاصة في قطاع الخدمات، الذي سيستمر في التوسع لاستيعاب النمو المتوقع في القوى العاملة، ولكن التحول إلى مجتمع الاتصالات والمعلومات سوف يتطلب مجموعة لم يسبق لها مثيل من المهن والمهارات، ولا يجوز بالتالي مقاومة التكنولوجيات الجديدة؛ لأن ذلك سيؤدي على المدى الطويل إلى تدهور الصناعة المحلية وقدرتنا على المنافسة أي زيادة البطالة«[٨٧]».

[87] - المرجع السابق ذكره.

ويمكن طرح مجموعة من الآليات المُقترحة لمواجهة ظاهرة البطالة المتفاقمة في مصر ومنها:

- الوقوف ضد خصخصة المؤسسات الإستراتيجية والسلع الضرورية، مع ضمان شفافية وديمقراطية خصخصة القطاعات والسلع الأخرى بالرجوع إلى الشعب ورقابة الدولة.
- توجيه القطاع الخاص والاستثمار الأجنبي نحو المجالات الإنتاجية، التي تساهم في إيجاد فرص عمل جديدة، وتحفيزهما من خلال تخفيض الضرائب والرسوم في هذه المجالات.
- اتخاذ كافة الخطوات الممكنة تجاه الوحدة الاقتصادية بين الدول العربية والإسلامية، ومن ضمنها تسهيل حركه انتقال العمالة والاستثمار بين هذه الدول.
- دعم المشاريع الصغيرة وتفعيل التمويل الأصغر.
- تطوير النظام التعليمي لضمان مواكبته للتطور العلمي والتكنولوجي.
- تطوير التعليم الفني (التقني)
- زيادة في الاستثمار وزيادة في الاقتصاد الناتج عن بعض الدول، وذلك لتوفير العديد من فرص العمل للعاطلين عنه والذين يعانون من البطالة ومساوئها.

✓ التخصصية

نحن أمام عنصرين لا يمكن تجاهلهما في برنامج التخصصية: عنصر الإدارة المصرية وعنصر الرأسمالية المصرية، فلن تجدي مجرد نقل ملكية المصانع من الدول إلى الأفراد؛ لأن العنصر الحاسم في الثانية هو«الإدارة»، كما يجب أن

ندرك أن الرأسمالية الصناعية المصرية مازالت حديثة، ولم تحدث بعد تراكمات رأسمالية عالية، وبالتالي فإن الإسراع في تخصيص منشآت الصناعة، مع الاعتراف بأهمية رأس المال الأجنبي، وأنه مطلوب وخاصة في مجال التكنولوجيا والخبرات الإدارية وفي فتح أسواق خارجية، ولكن بالقدر الذي لا يقضي على الرأسمالية المصرية في المهد! وأن تركيز حوار التخصصية حول«إشكالية الإدارة» سينقلنا من الأيديولوجيا إلى الواقع العملي، حيثُ يتم قياس مزايا وعيوب التخصصية في كل حالة بمقاييس الإدارة الجيدة، ويرى بعض الاقتصاديين أن برنامج التخصصية يجب أن يتجه أولاً إلى فك الاحتكارات العامة في مجالات شبكات التوزيع والنقل والمواصلات والطيران والكهرباء والغاز وخدمات البريد وغيرها، وتحويلها للقطاع الخاص (وهو أقدر في هذه الحالة على إدارتها بشرط عدم وجود احتكار)، وذلك قبل عرض المشروعات الصناعية الكبيرة، كما أن تحقيق نتائج ملموسة وسريعة في هذه القطاعات الخدمية عند تخصيصها سيخلق الثقة لدى الجمهور في عملية التخصصية برمتها، ويحيي بالتالي تعاملات سوق المال بسرعة؛ مما لا يتوافر بنفس القدر في حالة الصناعة.

✓ **التشريعات المساندة لاقتصاد السوق**

تتطلب المرحلة القادمة من عمليات الإصلاح الاقتصادي فهمًا متعمقًا لآليات اقتصاد السوق، لما تقتضيه هذه المرحلة من ضوابط وتشريعات جديدة، تؤمن الانتقال السليم نحو الرأسمالية، وتقي الاقتصاد المصري من سلبيات التجربة، والتي قد تؤدي عواقبها إلى تعثر الإصلاح برمته، وتأتي ضوابط منع الاحتكار وحماية المنافسة في مقدمة تلك التشريعات، وتتعدد التشريعات؛ لتشمل حماية المستهلك، وحماية المساهم الصغير والممارسات غير المشروعة بالبورصة،

ونسب مشاركة الأجانب والشركات العالمية في المشروعات المصرية، وتيسير شروط تصفية النشاط، وحماية حقوق الابتكار والملكية الفردية، والجرائم الاقتصادية....الخ..

✓ الكيان الاقتصادي للحكم المحلي

إن الدور والمسؤولية في النهوض بمستوى معيشة الأفراد يقعان أساسًا على القطاع الخاص والحكم المحلي، وهما وجهان لنفس العملة في عملية التنمية الحديثة، فاقتصاد السوق يقوم على دعامتين أساسيتين «القطاع الخاص والنظام اللامركزي للحكم المحلي»، ولا يمكن بالتالي أن تتحقق كفاءة وفاعلية لدور القطاع الخاص في التنمية دون تطوير لنظام الحكم المركزي، بما يشمل قطاعات التعليم والصحة وبعض أنواع الضرائب والإعفاءات، كذلك في مجالات خدمات المياه والكهرباء والصرف الصحي.

✓ **المؤسسات الوسيطة بين الدولة والسوق**

دور الدولة جوهري في تنشيط واستمرار التنمية الاقتصادية، وهذا الدور يتضمن اتباع سياسة صناعية انتقالية لصالح المشروعات، التي تعاني من ارتفاع تكلفة البدء، ولصالح مشروعات التصدير ولصالح المشروعات التي تؤدي إلى خلق صناعات أخرى، والقضية التي نواجهها ليست أمرًا مبسطًا يضع «السوق» في مواجهة «الدولة»، ولكنها قضية بعث «المؤسسات الوسيطة»، التي يؤدي غيابها إلى قيام خلل في مكونات النظام الاقتصادي بحيث تقودنا التبادليات بين هذه المؤسسات إلى التصرف بأسلوب جماعي رشيد، فالاقتصاد الذي يلائم مصر هو «اقتصاد مؤسسي» مبني على التوازن بين المؤسسات، وتعتبر السوق إحدى هذه المؤسسات، وسيكون لها دور واضح وهام في هذا الاقتصاد

المؤسسي، يوازيه أيضًا قدر من التخطيط، فالاقتصاديات المؤسسية تنظر إلى الاقتصاد نظرة أشمل من مجرد كونه آليات للسوق.

✓ **بنية الاتصالات والمعلومات**

تشتد المنافسة في التكنولوجيا؛ لأن الرهان ليس فقط على الناحية الاقتصادية، ولكنه أيضًا سياسي وإستراتيجي، وبدأ يبرز نظام دولي جديد في العلم والتكنولوجيا من شأنه إعادة تقسيم كعكة الاقتصاد العالمي، وبمقتضاه صار الاختراع والابتكار والإبداع هي الأسلحة الرئيسية للريادة الاقتصادية، وصارت المعرفة هي التي تحرك الاقتصاد، وليس الاقتصاد هو الذي يحرك المعرفة، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال «بنية إلكترونية» للدولة، وهي نظام الاتصالات والمعلومات بها، الذي يربط أجهزتها ومؤسساتها المختلفة، كما يربطها بالعالم الخارجي وبنوك المعلومات الدولية، وهو ما اصطلح على تسميته «بالطرق السريعة الفائقة»؛ حيثُ تقوم شبكة الاتصالات والمعلومات بأي دولة بقيام شبكات الطرق السريعة في عصر الثورة الصناعية، وتمثل بالتالي «الجهاز العصبي الإلكتروني» لاقتصاد القرن الحادي والعشرين.

✓ **التجارة الدولية والتصدير**

لا يمكن اتباع نموذج دول شرق آسيا في إستراتيجياتها الأولية ذات التوجه التصديري؛ نظرًا لأنها تمت في ظل ثوابت عالمية في الستينيات، بينما سيناريوهات التبادل التجاري تأخذ حاليًا أشكالاً مختلفة ومتضاربة؛ متمثلة في دور اتفاقية الجات، وتزايد نصيب منتجات الصناعة التحويلية في الصادرات العالمية، وذلك يعني تراجع كافة الصادرات الأخرى، وأن المستقبل هو

للمنتجات الصناعية التحويلية، وبالذات تلك المعتمدة على التكنولوجيا، وهي منتجات ذات قيمة عالية مضافة، ويلزم ذلك أن تزيد قدرة مهندسينا في مجال «التصميم الصناعي»، وهي خبرة غير متوفرة لدينا حتى الآن، بالإضافة أيضًا إلى «تصميم الملابس»؛ حتى تأخذ صادراتنا من المنتجات المصنعة والنسيجية نصيبًا متزايدًا في الصادرات العالمية، كما أن مصر يمكن أن تلعب دورًا هامًا في التجارة العالمية للمنتجات اللينة؛ لتوافر الموارد البشرية المؤهلة في هذا المجال، وتقتضي العوامل المستجدة في التجارة الدولية عقد اتفاقات جديدة مع التكتلات العالمية، وتحالفات إستراتيجية مع الشركات العالمية، وبالذات شركات التسويق والتوزيع الكبرى، ودراسة إمكانية المشاركة على أرض دول التكتلات لإمكان التغلب على الحماية بها.

✓ نخبة الإدارة

لم يشهد تاريخ البشرية تطورًا لشكل مؤسسي بالسرعة التي نمت بها مؤسسة الإدارة في العالم الحديث، ففي أقل من مائة وخمسين عامًا غيّرت، الإدارة، من النسيج الاجتماعي والاقتصادي للعالم، بما لم تغيره أية مؤسسة من قبل. فهي قد خلقت نمطًا عالميًا للاقتصاد، ووضعت قواعد جديدة للدول التي تريد المشاركة فيه، هذه هي حقيقة التسعينيات، فنحن نعيش في عصر «رأسمالية الإدارة»، وعلينا الآن في مصر، أن نتحرك من خلال مؤسسات جديدة ومواقف ومفاهيم جديدة تهيئ لنا مقدرة التفاوض مع نظرائنا من قيادات الأعمال في العالم، فعصر الدعم والحماية الجمركية بدأ يتلاشى تدريجيًا، وتنتقل الحكومة من موقف التحكم إلى موقف المساندة، مما يدفع قطاع الأعمال إلى الاعتماد على الذات بدلاً من التبعية، ومن ثم فإن الإدارة المصرية تواجه تحديًا هائلاً في إعادة تشكيل عقليتها، وإعادة توجيه عملياتها لتواكب فكر وديناميكية السوق العالمي. إن

الإدارة هي ممارسة لنشاط فكري عالي المستوى، والمواجهة بين قيادات الأعمال في العالم هي في المقام الأول «مواجهة بين قدرات ثقافية»، فالذين يديرون المنشآت يتسمون بالمهارة والحذق في إدراك القضايا المعقدة، وتحليل المشاكل، ومناولة الأفكار، وتقييم الحلول، وبالتالي فإن إدارة الأعمال في مصر يجب أن تسند إلى النخبة المتميزة في المجتمع، ومن المصريين العاملين بالخارج، وعلى نظامنا التعليمي والاجتماعي أن يؤمن ضخ أحسن العقول المصرية في قطاع الأعمال والقطاع الحكومي على السواء وهو ترهل البيروقراطية.

✓ **آليات سياسية**

إن البُعد السياسي لهو واحد من أهم الأبعاد في محور التنمية الشاملة المستدامة، ولابد من الاهتمام به لإدارة هذه الأزمة بشكل متكامل الأبعاد، ومن أهم الآليات السياسية المقترحة:

- وضع إستراتيجية حكومية فعالة لمكافحة الإرهاب، تقوم على وضع أهداف واضحة ومدروسة لكافة الإدارات والوكالات المختصة، بما في ذلك وكالات إنفاذ القانون، وإدارات الاستخبارات، والإدارات العسكرية، ووزارتا الداخلية والخارجية.
- إنشاء آليات إنذار مبكر، وإقامة إدارة للأزمات وتحسين قدرات هؤلاء الذين يتعاملون مع الأزمات ومواقف الإرهاب.
- تعزيز التعاون مع المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية؛ لضمان مساهمة فعالة في المشاركة في المعلومات المتعلقة بمكافحة الإرهاب.

- العمل على سيادة القانون، وحماية حقوق الإنسان، والحريات الأساسية، من خلال وضع تشريعات وسياسات لمكافحة الإرهاب، وضمان حماية حقوق الإنسان.
- منع الإرهابيين من امتلاك أسلحة الدمار الشامل وحيازة وسائل نقلها.
- توقيع الاتفاقيات والبروتوكولات الدولية القائمة حاليًا بشأن مكافحة الإرهاب، وتنفيذها، وبذل كل الجهود الممكنة من أجل التوصل إلى اتفاق بشأن اتفاقية شاملة بشأن الإرهاب الدولي وإبرامه.
- تعزيز التعاون الدولي والإقليمي والثنائي بين الدول؛ لتحديد وتفكيك الخطر المالي للإرهاب، وكذلك أنشطة مجموعات الجريمة المنظمة، والاتجار غير المشروع في الأسلحة والمتفجرات والاتجار في المخدرات. وينبغي للبلدان السعي إلى إنشاء أطر قانونية تسمح بالتبادل المرن للمعلومات العملية بين السلطات المختصة على المستوى المحلي والإقليمي والدولي.
- تعزيز العلاقات مع المنظمات غير الحكومية؛ لضمان مساهمة فعالة في المشاركة في المعلومات المتعلقة بمكافحة الإرهاب.
- إنشاء قاعدة بيانات دولية لتنسيق الإجراءات فيما يتعلق بجوازات السفر المسروقة، وغيرها بغية الحد من تنقلات الإرهابيين بين الدول.
- وضع التشريعات اللازمة لمكافحة ظاهرة الإرهاب وتشديد العقوبة على المتورطين في العمليات الإرهابية.

- توسيع المشاركة السياسية والتعددية الحزبية بشكل يضم كافة الفصائل والتيارات

وفي الختام

إن إستراتيجية مكافحة الإرهاب والفكر التكفيري في مصر، التي قد تم طرحها على المحورين سالفي الذكر، لهي مفترض جزء من منظومة أكبر إقليميًا ودوليًا في مكافحة الإرهاب، الذي صار بدوره واحدًا من أخطر وأهم القضايا الدولية المعاصرة، التي تواجهها الدول قاطبة؛ سواء كانت متقدمة أو نامية، عظمى أو كبرى أو صغرى.

آملين بأن تتمكن مصرنا الحبيبة من تخطي هذه الأزمة، وكسر هذه الموجة من الإرهاب الأسود، وعودة الأمن والأمان والاستقرار لشعبها ومؤسساتها.

قائمة المراجع

المراجع العربية:

أولاً: الكتب

١- أحمد إبراهيم محمود، حرب الخليج الثالثة: الانعكاسات الإستراتيجية على البيئة الإقليمية، في أحمد السيد النجار، نكبة العراق: الآثار السياسية والاقتصادية.

٢- أحمد منسي، دول مجلس التعاون الخليجي والمسألة العراقية في: أحمد إبراهيم محمود "محرر"، الخليج والمسألة العراقية من غزو الكويت إلى احتلال العراق ١٩٩٠- ٢٠٠٣، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، ٢٠٠٣.

٣- أحمد يوسف أحمد، المواقف العربية من العدوان على العراق "أفكار أولية"، في: حسن نافعة، نادية محمود مصطفى "محرران"، العدوان على العراق: خريطة أزمة ومستقبل أمه، جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، مركز البحوث والدراسات السياسية، ١٩٩١.

٤- أحمد يوسف أحمد، النظام العربي وأزمة الخليج، في: أحمد الرشيدي "محرر"، الانعكاسات الدولية والإقليمية لأزمة الخليج الثانية، جامعة القاهرة: مركز البحوث والدراسات السياسية، ١٩٩١

٥- جيف سيمو نزد، عراق المستقبل: السياسة الأمريكية في إعادة تشكيل الشرق الأوسط، بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٤.

٦- حامد ربيع، نظرية الأمن القومي العربي والتطور المعاصر للتعامل الدولي في منطقة الشرق الأوسط، القاهرة: دار الموقف العربي ١٩٩٥.

٧- سمعان بطرس فرج الله، الرؤية الكويتية لأمن الخليج، في: عبد المنعم المشاط" محرر" أمن الخليج "دراسة في الإدراك والسياسات"، جامعة القاهرة، مركز البحوث والدراسات السياسية، ١٩٩٤.

٨- عبد الرحمن رشدي الهواري، إدارة الازمات الأمنية في وجهة النظر العسكرية، القاهرة، أكاديمية ناصر العسكرية، ١٩٩٥.

٩- عطا صالح زهرة، الأمن القومي العربي، بنغازي: منشورات جامعة قار يونس، ١٩٩١.
١٠- فاروق عمر، ١١ سبتمبر وإدارة الأزمات والكوارث، القاهرة: ميريت للنشر، ٢٠٠٢.

ثانياً: الرسائل العلمية:

١- أحمد فؤاد رسلان، مفهوم الأمن القومي: دراسة في النظرية السياسية مع تطبيق ميداني على المجتمع المصري المعاصر، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ١٩٩٧.
٢- عبد الجليل محمد حسين كامل،" الشرق الأوسط الكبير، دراسة تحليلية مقارنة للمشاريع الأمريكية في المنطقة "، رسالة ماجستير،(جامعة القاهرة : كلية الاقتصاد و العلوم السياسية ، ٢٠٠٨).
٣- على الصاوي، الأبعاد الداخلية لمفهوم الامن القومي" مصر من ١٩٧٤ – ١٩٨١"، (رسالة ماجستير، جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ١٩٨٨).
٤- محمد احمد علي عدوي، العشوائيات والأمن القومي في مصر ١٩٩٠ – ٢٠٠٠ "دراسة في الأبعاد الداخلية لمفهوم الامن"، (رسالة دكتوراه جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ٢٠٠٥).
٥- ممدوح شوقي مصطفي كامل، الأمن القومي والأمن الجماعي: بعض الجوانب القانونية، رسالة دكتوراة جامعة القاهرة: كلية الحقوق،١٩٨٦).
٦- ياسمين أحمد أسماعيل ،" الحرب على العراق في ضوء أحكام الشرعية الدولية " دراسة سياسية قانونية لقرارات مجلس الأمن٢٠٠١-٢٠٠٤" ، رسالة ماجستير، (جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد و العلوم السياسيةد.ت).

ثالثا: الدوريات:

١- إبراهيم عرفات، قمة مجلس التعاون الـ ٢٧ .... أمن الخليج وتحديات التكامل الإقليمي، شؤون خليجية، العدد ٤٨ ، شتاء ٢٠٠٧.

٢- احمد ابراهيم "الإرهاب الجديد الشكل الرئيسي للصراع المسلح في الساحة الدولية ، السياسية ، (القاهرة : مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، العدد:١٤٧، يناير ٢٠٠٤).
٣- أسامة الغزالي حرب ، " هل يستوعب الأمريكيون درس ١١سبتمبر ؟، السياسة الدولية، (القاهرة : مركز الدراسات السياسية و الإستراتيجية بالأهرام، العدد ١٤٧، يناير ٢٠٠٢.
٤- أسامه الغزالي حرب، أمن الخليج والأمن القومي العربي، شؤون عربية، العدد ٣٥ يناير ١٩٨٤.
٥- جاسم يونس محمد الحريري، تداعيات الاحتلال الأمريكي للعراق على الأمن الخليجي، شئون خليجية، العدد ٤٤، شتاء ٢٠٠٦.
٦- جمال عبد الجواد ،" السياسة الأمريكية تجاه العراق ، تشدد يميني وهوس أمنى، السياسة الدولية (القاهرة: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية و بالأهرام ، العدد ١٥٠ ، أكتوبر ٢٠٠٢).
٧- جمال زكريا قاسم، مشكلات الأمن في الخليج العربي منذ الانسحاب البريطاني إلى حرب الخليج، سلسلة محاضرات الإمارات، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، العدد (١١) ، مايو ١٩٩٧.
٨- حسن أبو طالب " النظام العربي : تحديات ما بعد احتلال العراق، كراسات استراتيجية ، (القاهرة: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام ، العدد ١٢٦،أكتوبر ٢٠٠٣).

رابعاً : تقارير:

١- التقرير الاستراتيجي الأفريقي ٢٠٠٤- ٢٠٠٥ ، " نظرية بوش والحرب على الإرهاب(جامعة القاهرة: معهد البحوث والدراسات الأفريقية، مركز البحوث الأفريقية، الإصدار الثالث).

٢- معتــز ســلامة، التفــاعلات الخليجيــة ٢٠٠٢ – ٢٠٠٣، التقريــر الاستراتيجي الخليجي، الشارقة، دار الخليج للصحافة والطباعة والنشر، فبراير ٢٠٠٣.

خامساً: ندوات ومؤتمرات:

١- جميل محمد حسين، " تطور ممارسات الأمن الجماعي الدولي في فترة ما بعد الحرب الباردة في ضوء أحكام ميثاق الأمم المتحدة، ندوة الأمم المتحدة في ظل التحولات الراهنة في النظام الدولي، (جامعة القاهرة: كلية الاقتصــاد و العلــوم السياســية، مركــز البحــوث والدراســات السياسية، ٣٠ -٣١ مارس ١٩٩٤).

٢- حسن نافعة، " الأمن الجماعي بين الواقــع والأســطورة : قضــايا للمناقشة"، ندوة الأمم المتحدة في ظل التحولات الراهنة فــي النظــام الدولي، (جامعة القاهرة : كلية الاقتصاد والعلــوم السياســية، مركــز البحوث والدراسات السياسية ، ٣٠-٣١ مارس ١٩٩٤).

سادسًا: المواقع الإليكترونية

✓ http://www.annabaa.org/nbahome/nba78/009.htm

✓ http://ar.qantara.de/content/lbhth-n-jdhwr-fkr-dsh-fy-ltrykh-lslmy-hl-mhdt-lwhby-ltryq-lswd-fkr-dsh-ltkfyr

✓ http://www.elwatannews.com/news/details/514331

✓ http://www.almasryalyoum.com/news/details/528287

✓ http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=88815

✓ http://www.alarabiya.net/ar

✓ http://www.islamist-movements.com/3105،

ثانيًا: المراجع الأجنبية

Documents:

١- Statement of President "Barack Obama" on Sudan Strategy, October 19,2009.

Book

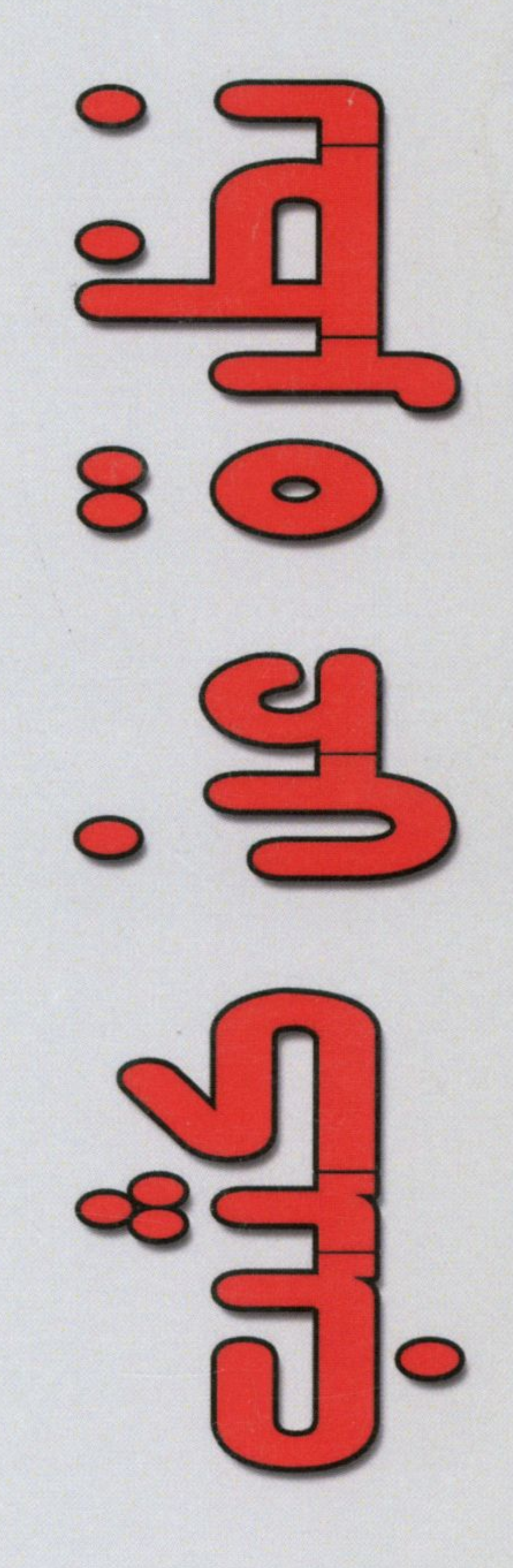
١- Micheal Dillon. Politics of security. London: Rutledge, 1996, p.121

٢- Peter Mangold, National security and international relations. London: Rutledge, 1991

Periodicals

١- Aysha. Emad El- Din, "September 11 and the Middle East Failure of US Soft Power': Globalization Contra Americanization in the 'New' US Century", International Relations. (Vol: 19, Number: 2, June 2005).

٢- D. Grant Thomas, "The Security Council and Iraq: An Incremental Practice", American Journal of International Law, (Voi:97, Number: 4, October 2003).



هذا الكتاب

لم يعد الإرهاب ظاهرة حديثة على المجتمعات البشرية، بل من أقدم الظواهر التي شهدتها المجتمعات البشرية، فهي ظاهرة مرتبطة بالاحتقان والعنف، وتكاد تكون من أولى الظواهر التي ارتبطت بظهور الإنسان على كوكب الأرض.

جميع الدول دون استثناء واجهت هذه الظاهرة، وعانت منها على اختلاف مستوياتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية، وغيرها، وقد يختلف شكل مواجهة الدول لموجات الإرهاب؛ فتارة تكون المواجهة عنيفة، وتارة تكون معتدلة، ويسهل معالجة الدولة لها.

في مصر مثلا عانت من الإرهاب لعقود طويلة، وكانت أشد موجات الإرهاب قسوة في التسعينيات، حيث تمكنت حينئذ الدولة المصرية من مواجهة هذه الموجة العتيدة بالعديد من المعالجات، فمزجت المعالجات الأمنية بالفكرية، وهو ما جعل معالجة الدولة حينئذ تؤتي ثمارها.

في أعقاب الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١ ظهرت في مصر مشاهد أصبحت شبه يومية لاحتقانات سياسية واجتماعية وطائفية، ويعقب هذه المشاهد عنف دموي غير مبرر، وغير محدد الفاعل، وانتشر مصطلح الطرف الثالث، الذي أصبح كلمة السر والصندوق الأسود لكل مشهد دموي في مصر.

لم يعد الشعب المصري يشعر بأمان، فالمحيط العربي والإقليمي مفتت، وتمكنت الجماعات المسلحة التكفيرية من تفتيت العديد من الدول العربية كسوريا، وليبيا، واليمن وغيرها.

وظهرت جماعة مسلحة تكفيرية أطلقت على نفسها تنظيم الدولة الإسلامية «داعش»، نصبت أبو بكر البغدادي خليفة عليها، تدعو لإقامة الخلافة الإسلامية، ولا تؤمن بفكر الحدود والدولة القومية. وتهدف لتفتيت كافة النظم السياسية العربية وإقامة دولة الخلافة الإسلامية. وتمكن هذا التنظيم من السيطرة على أجزاء ليست بالقليلة في سوريا والعراق وليبيا. وارتكبوا من الحماقات ومشاهد القتل الجماعي، والتمثيل بالقتلى وإقامة الحدود بلا أساس ودون اكتمال كافة الأركان كحد الزنا، مما جعل الكثيرين يخشون هذا التنظيم الوحشي.

جدير بالذكر أن تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» أصبح على حدود مصر بتواجده في ليبيا، علاوة على الفيديوهات التي ينشرها، والتي يؤكد فيها أن مصر أصبحت هدفا مباشرا للتنظيم. وزاد الأمر خطورة محاولة التنظيم لعقد تحالفات مع جماعات إسلامية مسلحة مثل أنصار بيت المقدس، التي يدور الصراع بين قادتها حول مبايعتها لتنظيم الدولة الإسلامية.



المكتب العربي للمعارف